



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه  
صلى الله عليه وآله  
السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

مصحف ابن كثير  
التفسير المأثور  
الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن كثير

# مُرْهُ عَلَى الْقُرْآنِ

الجزء السابع

سُورَةُ الْمَائِدَةِ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ

دار الفکر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

|    |                                    |
|----|------------------------------------|
| ٥  | الفهرس                             |
| ١٨ | من هدى القرآن المجلد ٧             |
| ١٨ | اشاره                              |
| ١٩ | اشاره                              |
| ٢١ | سوره مريم                          |
| ٢١ | اشاره                              |
| ٢٣ | فضل السوره:                        |
| ٢٥ | الإطار العام                       |
| ٢٧ | [سوره مريم (١٩): الآيات ١ الى ١١]  |
| ٢٧ | اشاره                              |
| ٢٧ | اللغه                              |
| ٢٩ | فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا  |
| ٢٩ | بيّنات من الآيات:                  |
| ٢٩ | دعاء زكريا:                        |
| ٣١ | شروط الوراثه:                      |
| ٣٣ | حكمه الاعتزال:                     |
| ٣٥ | [سوره مريم (١٩): الآيات ١٢ الى ٢١] |
| ٣٥ | اشاره                              |
| ٣٥ | اللغه                              |
| ٣٦ | يحيى مثل الوريث الصالح             |
| ٣٦ | هدى من الآيات:                     |
| ٣٩ | بيّنات من الآيات:                  |
| ٣٩ | وَآتَيْنَاهُ الْهُكْمَ صَبِيًّا :  |
| ٤٠ | وَكَانَ تَقِيًّا :                 |

٤٢ ..... وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا :

٤٤ ..... [سوره مريم (١٩): الآيات ٢٢ الى ٣٣]

٤٤ ..... اشاره

٤٤ ..... اللغة

٤٨ ..... يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا

٤٨ ..... هدى من الآيات:

٤٩ ..... بينات من الآيات:

٤٩ ..... المخاض الصعب:

٥١ ..... الخلف الطيب:

٥٣ ..... التهمه المفتراه:

٥٥ ..... من هو عيسى بن مريم:

٥٦ ..... رسالته؟

٥٧ ..... أخلاقه؟

٥٩ ..... [سوره مريم (١٩): الآيات ٣٤ الى ٤٠]

٥٩ ..... اشاره

٦٠ ..... لما ذا الامتراء و كيف نزيله؟

٦٠ ..... هدى من الآيات:

٦١ ..... بينات من الآيات:

٦١ ..... كن فيكون:

٦٣ ..... الصراط المستقيم:

٦٤ ..... الحزبيه طريق الضلاله:

٦٧ ..... الله الوارث:

٦٨ ..... [سوره مريم (١٩): الآيات ٤١ الى ٥٠]

٦٨ ..... اشاره

٦٨ ..... اللغة

٧٠ ..... وَاعْتَرِضْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

|    |                                    |
|----|------------------------------------|
| ٧٠ | هدى من الآيات:                     |
| ٧٢ | بينات من الآيات:                   |
| ٧٢ | اشاره                              |
| ٧٤ | ولايه الشيطان:                     |
| ٧٦ | الإرهاب فى المحيط العائلى:         |
| ٧٧ | مواجهه الإرهاب:                    |
| ٧٨ | الأسره الفاضله:                    |
| ٨٠ | [سوره مريم (١٩): الآيات ٥١ الى ٥٩] |
| ٨٠ | اشاره                              |
| ٨٠ | اللغه                              |
| ٨١ | القدوات الرساليه                   |
| ٨١ | هدى من الآيات:                     |
| ٨٢ | بينات من الآيات:                   |
| ٨٢ | موسى النبي المخلص:                 |
| ٨٤ | إسماعيل صادق الوعد:                |
| ٨٤ | ثلاث قواعد فى التربيه:             |
| ٨٥ | إدريس الصديق:                      |
| ٨٧ | الذريه الصالحه و الخلف الصالح:     |
| ٨٩ | [سوره مريم (١٩): الآيات ٦٠ الى ٦٧] |
| ٨٩ | اشاره                              |
| ٩٠ | الأخره حصاد الدنيا                 |
| ٩٠ | هدى من الآيات:                     |
| ٩٢ | بينات من الآيات:                   |
| ٩٢ | وعد الرحمن:                        |
| ٩٥ | الايمان بالله و بالبعث:            |
| ٩٨ | [سوره مريم (١٩): الآيات ٦٨ الى ٧٥] |

٩٨ ..... اشاره

٩٨ ..... اللغة

١٠٠ ..... وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...

١٠٠ ..... اشاره

١٠٠ ..... هدى من الآيات:

١٠٢ ..... بينات من الآيات:

١٠٤ ..... المقاييس المادية:

١٠٧ ..... [سوره مريم (١٩): الآيات ٧٦ الى ٨٤]

١٠٧ ..... اشاره

١٠٧ ..... اللغة

١٠٨ ..... وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

١٠٨ ..... اشاره

١٠٨ ..... هدى من الآيات:

١٠٩ ..... بينات من الآيات:

١٠٩ ..... اشاره

١١٥ ..... جزاء الكافرين:

١١٨ ..... [سوره مريم (١٩): الآيات ٨٥ الى ٩٨]

١١٨ ..... اشاره

١١٨ ..... اللغة

١٢٠ ..... وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا

١٢٠ ..... هدى من الآيات:

١٢٢ ..... بينات من الآيات:

١٢٢ ..... الحشر و الشفاعة:

١٢٤ ..... من يملك الشفاعة؟

١٢٥ ..... الشفاعة الباطله:

١٣١ ..... سوره طه



- ١٣١ ..... اشارة
- ١٣٣ ..... فضل السوره:
- ١٣٥ ..... الإطار العام
- ١٤٠ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١ الى ٨]
- ١٤٠ ..... اشارة
- ١٤٠ ..... اللغه
- ١٤١ ..... الداعيه و هموم الدعوه
- ١٤١ ..... هدى من الآيات:
- ١٤٢ ..... بينات من الآيات:
- ١٤٢ ..... الرسول و هموم الهدايه:
- ١٤٤ ..... هيمنه الله:
- ١٤٧ ..... الله يتجلى:
- ١٤٨ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٩ الى ١٦]
- ١٤٨ ..... اشارة
- ١٤٨ ..... اللغه
- ١٤٩ ..... النداء المقدس
- ١٤٩ ..... هدى من الآيات:
- ١٥١ ..... بينات من الآيات:
- ١٥١ ..... حديث موسى:
- ١٥٢ ..... النداء المقدس:
- ١٥٥ ..... خلاصه الوحى:
- ١٥٧ ..... الحتميه التي لا بدّ منها:
- ١٦٠ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١٧ الى ٣٦]
- ١٦٠ ..... اشارة
- ١٦٠ ..... اللغه
- ١٦٢ ..... موسى يحمل رسالات الله

١٦٢ ..... هدى من الآيات:

١٦٥ ..... بينات من الآيات:

١٦٥ ..... معجزتان:

١٦٧ ..... الضروريات الرسالية:

١٧٣ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٣٧ الى ٤٢]

١٧٣ ..... اشاره

١٧٣ ..... اللغه

١٧٤ ..... موسى بين يدي العناية الالهيه

١٧٤ ..... هدى من الآيات:

١٧٦ ..... بينات من الآيات:

١٧٦ ..... مته النجاه:

١٧٧ ..... من مأمنه يؤتى الحذر:

١٧٨ ..... / في تنميه المواهب:

١٧٩ ..... في بيت فرعون:

١٨٠ ..... ٣/ العوده الى الأم:

١٨٠ ..... ٤/ محنه القتل:

١٨١ ..... التريبيه المثلى:

١٨٢ ..... ما هو الذكر؟

١٨٤ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٤٣ الى ٥٥]

١٨٤ ..... اشاره

١٨٤ ..... اللغه

١٨٦ ..... الحركه الرساليه و أساليب الدعوه

١٨٦ ..... هدى من الآيات:

١٨٧ ..... بينات من الآيات:

١٨٧ ..... كيف يعالج القرآن الطغيان؟

١٨٩ ..... ما هو القول اللتين؟

- ١٩٠ ..... الجانب الاجتماعي للرسالة: .....
- ١٩٢ ..... الفكر الرجعي: .....
- ١٩٤ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٥٦ الى ٦٤] .....
- ١٩٤ ..... اشاره .....
- ١٩٤ ..... اللغه .....
- ١٩٤ ..... أساليب الطغاه في مواجهه الرساله .....
- ١٩٤ ..... هدى من الآيات: .....
- ١٩٧ ..... بينات من الآيات: .....
- ٢٠٢ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٦٥ الى ٧٣] .....
- ٢٠٢ ..... اشاره .....
- ٢٠٢ ..... اللغه .....
- ٢٠٤ ..... و ألقى السحره سجدا .....
- ٢٠٤ ..... اشاره .....
- ٢٠٥ ..... بينات من الآيات: .....
- ٢١٣ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٧٤ الى ٨٢] .....
- ٢١٣ ..... اشاره .....
- ٢١٣ ..... اللغه .....
- ٢١٥ ..... و اضلّ فرعون قومه و ما هدى .....
- ٢١٥ ..... هدى من الآيات: .....
- ٢١٥ ..... بينات من الآيات: .....
- ٢٢١ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٨٣ الى ٩١] .....
- ٢٢١ ..... اشاره .....
- ٢٢١ ..... اللغه .....
- ٢٢٣ ..... و مَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى .....
- ٢٢٣ ..... هدى من الآيات: .....
- ٢٢٤ ..... بينات من الآيات: .....

- ٢٣٠ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٩٢ الى ٩٨]
- ٢٣٠ ..... اشاره
- ٢٣١ ..... موسى عليه السلام يعالج الرده الجاهليه
- ٢٣١ ..... هدى من الآيات:
- ٢٣٢ ..... بينات من الآيات:
- ٢٣٢ ..... اشاره
- ٢٣٧ ..... ١- عزل السامرى عن المجتمع لأنه جذر الانحراف:
- ٢٣٨ ..... ٢- تحطيم رمز الواقع السلبي..
- ٢٤٠ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٩٩ الى ١١٠]
- ٢٤٠ ..... اشاره
- ٢٤٠ ..... اللغه
- ٢٤٢ ..... وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ
- ٢٤٢ ..... هدى من الآيات:
- ٢٤٣ ..... بينات من الآيات:
- ٢٤٣ ..... اشاره
- ٢٤٧ ..... من مشاهد القيامة:
- ٢٥١ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١١١ الى ١٢٢]
- ٢٥١ ..... اشاره
- ٢٥١ ..... اللغه
- ٢٥٢ ..... المسئوليه...بين التذکر و النسيان
- ٢٥٢ ..... هدى من الآيات:
- ٢٥٤ ..... بينات من الآيات:
- ٢٦٤ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١٢٣ الى ١٣٠]
- ٢٦٤ ..... اشاره
- ٢٦٤ ..... اللغه
- ٢٦٦ ..... هدى الله معراج الفضيله

٢٦٦ ..... هدى من الآيات:

٢٦٧ ..... بينات من الآيات:

٢٧٣ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١٣١ الى ١٣٥]

٢٧٣ ..... اشاره

٢٧٤ ..... سلبيات النفس البشريه

٢٧٤ ..... هدى من الآيات:

٢٧٥ ..... بينات من الآيات:

٢٨١ ..... سوره الأنبياء

٢٨١ ..... اشاره

٢٨٣ ..... فضل السوره:

٢٨٥ ..... الإطار العام

٢٨٩ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١ الى ١٠]

٢٨٩ ..... اشاره

٢٨٩ ..... اللغه

٢٩١ ..... إقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ

٢٩١ ..... هدى من الآيات:

٢٩٢ ..... بينات من الآيات:

٢٩٢ ..... معرفه المصير:

٢٩٣ ..... تخرصات البشر:

٢٩٤ ..... حقيقه الرسل:

٢٩٧ ..... دور القرآن:

٢٩٩ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١١ الى ٢٠]

٢٩٩ ..... اشاره

٢٩٩ ..... اللغه

٣٠١ ..... هدفه الحياه

٣٠١ ..... هدى من الآيات:

بينات من الآيات: ..... ٣٠٣

جزاء الظلم: ..... ٣٠٣

هدفه الخلق: ..... ٣٠٦

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٢١ الى ٢٩] ..... ٣٠٨

اشاره ..... ٣٠٨

اللغه ..... ٣٠٨

لا للتبرير..نعم لتحتمل المسؤليه ..... ٣٠٩

هدى من الآيات: ..... ٣٠٩

بينات من الآيات: ..... ٣١٠

اشاره ..... ٣١٠

شفاعه الرسل: ..... ٣١٥

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣٠ الى ٣٦] ..... ٣١٨

اشاره ..... ٣١٨

اللغه ..... ٣١٨

كل شيء يقول:الحياه جد لا لعب ..... ٣٢٠

هدى من الآيات: ..... ٣٢٠

بينات من الآيات: ..... ٣٢١

اشاره ..... ٣٢١

سنه الموت: ..... ٣٢٥

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣٧ الى ٤٥] ..... ٣٢٨

اشاره ..... ٣٢٨

اللغه ..... ٣٢٨

خلق الإنسان من عجل ..... ٣٣٠

هدى من الآيات: ..... ٣٣٠

بينات من الآيات: ..... ٣٣١

اشاره ..... ٣٣١

جزاء الاستهزاء: ..... ٣٣٥

و لا يسمع الصمّ الدعاء: ..... ٣٣٦

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٤٦ الى ٥٨] ..... ٣٤٠

اشاره ..... ٣٤٠

اللغه ..... ٣٤٠

نفحات العذاب علائم المسؤوليه ..... ٣٤٢

هدى من الآيات: ..... ٣٤٢

بينات من الآيات: ..... ٣٤٣

اشاره ..... ٣٤٣

حجج المسؤوليه: ..... ٣٤٤

الساعه و الغيب: ..... ٣٤٧

إبراهيم يحطم الأصنام جميعا: ..... ٣٤٨

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٥٩ الى ٧٣] ..... ٣٥١

اشاره ..... ٣٥١

اللغه ..... ٣٥١

وَ ارَادُوا بِهٖ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْاٰخِثِرِيْنَ ..... ٣٥٣

هدى من الآيات: ..... ٣٥٣

بينات من الآيات: ..... ٣٥٤

اشاره ..... ٣٥٤

يد الرحمه: ..... ٣٥٨

الهجره فى سبيل الله: ..... ٣٦٠

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧٤ الى ٨٢] ..... ٣٦٢

اشاره ..... ٣٦٢

اللغه ..... ٣٦٢

هكذا ينصر الله رسله بالغيب ..... ٣٦٤

هدى من الآيات: ..... ٣٦٤

- ٣٦٦ ..... بينات من الآيات:
- ٣٦٦ ..... نجاه لوط:
- ٣٦٧ ..... هكذا استجاب الله لنوح عليه السلام :
- ٣٦٩ ..... سليمان و القضاء الفصل:
- ٣٧٢ ..... النعمه و المسؤوليه:
- ٣٧٦ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٨٣ الى ٩١]
- ٣٧٦ ..... اشاره
- ٣٧٨ ..... وحده الرسالات و الأنبياء
- ٣٧٨ ..... هدى من الآيات:
- ٣٨٠ ..... بينات من الآيات:
- ٣٨٠ ..... قصه النبي الصابر:
- ٣٨٤ ..... صبر الأنبياء:
- ٣٨٥ ..... دعاء يونس:
- ٣٨٧ ..... دعاء زكريا:
- ٣٨٨ ..... مريم نموذج المرأة الفاضله:
- ٣٨٩ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٢ الى ١٠٤]
- ٣٨٩ ..... اشاره
- ٣٨٩ ..... اللغه
- ٣٩١ ..... الجزاء مصير حتمى
- ٣٩١ ..... هدى من الآيات:
- ٣٩٢ ..... وحده الرسالات و الأنبياء
- ٣٩٢ ..... بينات من الآيات:
- ٣٩٦ ..... نهايه الحضارات:
- ٣٩٧ ..... الوعد الحق:
- ٣٩٨ ..... الذين سبقت لهم الحسنى:
- ٤٠٠ ..... كلمه أخيره:



٤٠٢ ..... [سوره الأنبياء (٣١): الآيات ١٠٥ الى ١١٢]

٤٠٢ ..... اشاره

٤٠٢ ..... اللغه

٤٠٣ ..... رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ

٤٠٣ ..... هدى من الآيات:

٤٠٤ ..... بينات من الآيات:

٤٠٤ ..... اشاره

٤٠٧ ..... الصلاح بين تخلفنا و تقدم الغرب:

٤١٥ ..... تعريف مركز

سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار مجبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-۱۸؛ ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ۱

اشاره



سوره مريم

اشاره

ص: ۳



**فضل السوره:**

-١-

فى كتاب ثواب الأعمال باسناده عن أبى عبد الله عليه السلام قال :

«من أدمن قراءه سوره مريم لم يمت حتى يصيبه ما يغنيه فى نفسه و ماله و ولده، و كان فى الآخره من أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام، و أعطى من الأجر مثل ملك سليمان بن داود فى الدنيا».

تفسير نور الثقلين/ج ٣.ص ٣١٩-٢

فى مجمع البيان أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال :

«من قرأها أعطى من الأجر بعدد من صدق بزكريا و كذب به، و يحيى و مريم و موسى و عيسى و هارون و إبراهيم و اسحق و يعقوب و إسماعيل عشر حسنات، و بعدد من ادعى لله ولدا، و بعدد من لم يدع و له ولدا».

تفسير نور الثقلين/ج ٣.ص ٣١٩

ص:٥

روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال :

«من قرأ هذه السوره اعطى من الحسنات بعدد من دعا لله ولدا سبحانه لا إله إلا هو، و بعدد من صدّق زكريا و عيسى و موسى و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب عشر حسنات، و عدد من كذب بهم، و بينى له فى الجنه قصر أوسع من السماء و الأرض فى أعلى جنه الفردوس، و يحشر مع المتقين فى أول زمرة السابقين، و لا يموت حتى يستغنى هو و ولده، و يعطى فى الجنه مثل ملك سليمان (عليه السلام) و من كتبها و علقها عليه لم ير فى منامه إلا خيرا، و ان كتبها فى حائط البيت منعت طوارقه، و حرمت ما فيه و إن شربها الخائف أمن».

تفسير البرهان/ ج ٣. ص ٢

ص: ٦



كان الاتجاه العام لسوره الكهف هو بحث علاقته الإنسان بزينة الحياه الدنيا، فجاءت سوره مريم لتركز الضوء على علاقته الإنسان بالأسره و الأولاد أى قضيه الامتداد البشرى و إطارها السليم.

و ثمه ملاحظتان:

الأولى: يؤكد الإسلام على ضروره تحديد الإنسان لعلاقته بالطبيعه فى إطار علاقته الكبرى بربه و ربها، لان الأخرى، هى التى تحدد أعماله و سلوكه و كيفيه تكوين علاقته.

و يجب أن يضحى بكلّ شىء من أجل هذه العلاقه، فهو عبد لربه يحبّه و يحب من يحبّه و يبغض من يبغضه. فعلاقته الإنسان بالطبيعه امتداديه و ليست ذاتيه، فلأن الله أمرنا أن نعمر الأرض و نبني البيت، و نكون العائله، و نحبّ أولادنا أو نشفق عليهم. فأننا نقوم بكلّ ذلك فى حدود أوامر الله و توجيهاته.

ص: ٧

و لقد جاءت سورة مريم لمعالجه هذه الحقيقه،و لذلك

جاء فى الحديث :

«من أدمن قراءه سورة مريم لم يمت حتى يصيبه ما يغنيه فى نفسه و ماله..» و الإدمان يشير إلى العمل بهذه السوره، و تكييف حياه الإنسان و علاقته و فقها، و من يفعل ذلك فإنه خيرا فى علاقته و حينما يأمره الإسلام أن تكون علاقته بالطبيعه و زينه الحياه(من أموال و بنين و ما أشبه)علاقه امتداديه،فى إطار علاقته مع الله،فليس لأنه يريد للإنسان الحرمان من نعيم الدنيا و طبياتها،إنما يريد له أن يستفيد من ذلك أكبر فائده ممكنه،لأن الله هو خالق الحياه و البشر،و هو أعلم بما يصلحهم و يعود عليهم بالخير،و بالتالى هو القادر على أن يرسم لهم المنهج السليم فى السلوك و العلاقات.

الثانيه:إن هناك فرقا بين الوصفه الطبيه و الدواء الذى تشتريه بموجبها،فبينما تشير هى أن الدواء فقط يقوم بملاحقه ميكروب المرض للقضاء عليه.و الكتب التربويه و الأخلاقيه تشبه إلى حد بعيد الوصفه الطبيه،بينما القرآن دواء و شفاء لأمرض السلوك البشرى،فآياته تلاحق الجرائم و الأمراض النفسيه فى قلب الإنسان و تقضى عليها،لذلك لا يكتفى القرآن أن ينصحك بكيفيه تكوين علاقاتك مع أولادك فحسب و انما يتعمق حتى يصل إلى جذر المشكله النفسيه و يقتلعها، فيضرب الأمثال و يبين حقائق التاريخ و يحللها.

و قد سميت هذه السوره بمريم لأن علاقته مريم الصديقه بابنها عيسى عليه السلام كانت علاقته فريده و نموذجيه.

ص: ٨

## [سوره مريم (١٩): الآيات ١ الى ١١]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كهيعص (١) ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)

## اللغه

٤[وهن]:الوهن هو الضعف و نقصان القوه.

٥[عاقرا]:لا تلد.

٨[عتيا]:إذا غيره طول الزمان الى حال اليبس و الجفاف.

ص:٩



[١] كهيعص اختلف المفسرون في هذه الحروف و ما ترمز إليه، و ربما كانت اشاره إلى الألفاظ التي تدل على الذكر أو الحديث الذي كان زكريا عليه السلام يناجى به ربه، و جاء في حديث ان هذه الكلمات رموز إلى أسماء الله الحسنى،

فقد روى سفيان بن سعيد الثوري عن الامام الصادق عليه السلام- حديثا مفصلا جاء فيه-:

« كهيعص :معناه أنا الكافي الهادي الولي العالم الصادق الوعد » (١)و

جاء في حديث مأثور عن الإمام المهدي عجل الله فرجه:

«ان هذه الحروف ترمز الى واقعه كربلاء الفجيعه، فالكاف اسم كربلاء، و الهاء هلاك العتره، و الياء يزيد-لعنه الله- و هو ظالم الحسين، و العين عطشه، و الصاد،

ص: ١١

صبره « (١) [٢] ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا بين الإنسان و ربه خَطَان-صاعد و نازل-فالخط الصاعد هو الدعاء، أما الخط النازل فهو الوحي السماوى، و حسب ما أتصوره فان هذه الآيه تشير الى كلا-الخطين، فمن جهة ذكر الله لعبده عن طريق الوحي أو الكتاب السماوى، و من جهة ثانيه ذكر زكريا ربه طالبا رحمته عن طريق الدعاء، و قد قال المفسيرون فى معنى هذه الجملة: «اذكر كيف رحم الله عبده زكريا» و بتعبير آخر: هذا ذكر عن رحمه الله لعبده زكريا.

[٣] إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا فى غمره الأحداث الرساليه، و الصراعات المبدئيه، لم ينس أن له شعورا آخر هو الشعور الانسانى، و أن له رغبه أخرى هى رغبته فى الامتداد عبر الأولاد، يحملون رسالته من بعده، فقد كبت هذا الشعور طويلا و حينما أظهره كان خفيا، ربما لسببين:

الأول: حذرا من ألسنه الناس، فقد كان رجلا مسنًا، و كانت امرأته عجوزا عاقرا.

الثانى: إن من شأن العبد الصالح أن لا يرى لنفسه حقا على الله، بل يؤمن بأن كل ما يعطيه الرب فهو تفضل منه و إحسان.

[٤] قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي عِنْدَ مَا يَشِيخُ الْإِنْسَانَ فَان عظامه تصبح متراخيه هشّه و يشعر بالضعف الداخلى.

ص: ١٢

وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا أَى تحول الى البياض، و التعبير بكلمه «اشتعل» تعبير بلاغى يلفت النظر الى المشاق و الصعوبات التى لاقاها فى عمره الطويل، كما توحى أيضا بسرعه الشيب فى رأسه.

وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا أَى لم أكن شقيا بسبب دعائك، فكلما طلبت منك حاجه أجبته لى، و هذا الأسلوب يمثل غايه التأدب فى التوجه بالدعاء الى الله سبحانه.

### شروط الوراثه:

[٥] وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ الْمَوَالِي هُم أَوْلَادُ الْعَمِّ وَ الْخَالَ وَ الْأَقْرَابُ الْبَعِيدُونَ، و يبدو انهم لم يكونوا موضع رضى زكريا لفسقهم أو ضعف ايمانهم.

وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا [٦] يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا لم يكن أحد من موالى زكريا عليه السلام أهلا لوراثته، لذلك طلب من الله سبحانه و تعالى أن يرزقه وليا تكون فيه هذه الصفات الثلاث:

١/ أن يرث ماله و علمه ظاهرا و واقعا.

٢/ أن يرث عائلته، فبعض خصائص الفرد شخصيّه، بينما بعضها الآخر مرتبط بالعائله التى تمثل خطا معينا فى الحياه.

١٣/ أن يكون مرضيا عند الله و عند الناس.

و هذه هي الصفات التي ينبغي أن تكون في الوارث، و زكريا لم يقل ولدا بل قال ولها، و هذا طلب عام، فليس المهم الولد بل المهم أن يكون الوارث امتدادا للموروث حتى لو كان من غير ولده.

[٧] يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا سوف نرزقك ولدا، يحمل مواصفاتك، و رسالتك، و سوف يقوم بعمل جديد لم يسبقه إليه أحد، و هذا منتهى رغبة الإنسان في الولد: أن يكون وارثا له و مكتملا لخطه، فإذا قام بعمل إسلامي و لم ينتصر فيه، فإن ابنه يواصل هذا العمل، بنفس الاندفاع و الحماس الذي كان عنده حتى يكتب له النصر، و كان زكريا وارث أموال كثيره عبر زوجته التي كانت من نسل النبي سليمان (الذي وهب له الله ملكا عظيما، و لم يكن له مثل)، و كان يخشى على هذه الأموال أن تصرف في أي طريق غير طريق الله، و كان في ذات الوقت الحبر الأعظم، و خشي ان يرثه في هذا المقام الديني واحد من أولاد عمه غير اللاتقين بمقام قياده الأمة.

و قد استجاب الله له دعاءه، و آتاه من لدنه فضلا حيث رزقه يحيى. ذلك الولي الذي ليس فقط ورث أمجاد الماضي التليده، بل و يفتح عهدا جديدا حافلا بالمكرمات، إذ لم يجعل الله له سميا، و لعل في الآية اشاره الى أمرين:

أولا: ان يحيى عليه السلام سوف يحقق المزيد من الانجازات، لا توجد في التاريخ الرسالي السابق له، بلى.. ان يحيى قاوم السلطات الجائره التي استولت على قياده النصراري، و ضحى بنفسه في هذا السبيل، و كان مثله بين أتباع عيسى (عليه السلام) مثل الامام الحسين عليه السلام في أمه جده محمد صلى الله عليه و آله .



ثانياً: ان على الإنسان أن يتطلع الى ولد يرث الماضي، و يصنع المستقبل كما يحيى عليه السلام .

[٨] قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا كَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ، بَيْنَمَا الشَّرْطُ الطَّبِيعِيهِ اللّازِمَهُ غَيْرَ مَتَوَفَّرِهِ، فَامْرَأَتِي عَاقِرٌ لَا تَلِدُ أُسَاسًا، وَأَنَا عَجُوزٌ قَدْ تَجَاوَزْتُ مَرَحِلَةَ الْفِتْوَاهِ وَالشَّبَابِ كَثِيرًا؟! [٩] قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي خَلَقَ الْكَوْنُ كَمَا خَلَقَ الْقَوَانِينَ الطَّبِيعِيَةَ الْحَاكِمَةَ فِيهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِهَا حِينَ يَشَاءُ بِلَا صَعُوبَةٍ.

وَ قَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئًا حِينَمَا يَفْكَرُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ: كَيْفَ خَلَقَهُ اللَّهُ وَ أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ؟! فَانْه يَدْرِكُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَ بِالتَّالِيِ يَتَلَاشَى تَعْجِبُهُ مِنْ بَعْضِ الظُّوَاهِرِ الْغَرِيبَةِ غَيْرِ الْمَأْلُوفَةِ. فَلَمَّا سَكَنَ رُوحَ زَكَرِيَّا، وَ اطْمَأَنَّ نَفْسَهُ قَالَ: آمَنْتُ بِكَ، وَ لَكِنْ كَيْفَ أُوَاجِهُ النَّاسَ إِذَا قَالُوا: مِنْ أَيْنَ أَتَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ الْعَجُوزُ بِهَذَا الْوَلَدِ؟!

### حكمة الاعتزال:

[١٠] قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا عَادَهُ مَا تَكُونُ الْآيَةُ وَجُودِيهِ كَنَاقِهِ صَالِحٌ، وَ عَصَا مُوسَى، أَمَا أَنْ يَعْتَزِلَ النَّاسَ وَ لَا يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ فَهَذِهِ آيَةُ غَرِيبَةٍ..

لقد فكرت بهذا الموضوع و وصلت الى هذه النتيجة و هي: أن السكوت و الصمت فى بعض الأحوال يكون أبلغ أثرا من أى كتاب أو كلام لسبين:

١/ الآن هذا السكوت يجعل صاحب القضية غير عابئ بما يقول السفهاء عنه، و صامدا أمام محاولات التشكيك من قبل الأعداء.  
٢/ لأنه يجعل الناس يعودون الى أفكارهم، و يتحملون مسئوليتها، فليس بالضرورة أن يتكلم الداعية و يهدى الناس بلسانه دائما، بل يلزم عليه أحيانا أن يدعهم بدورهم يفكرون، و إذا فكروا فإنهم كثيرا ما يصلون الى الحقيقة، لذلك بعد الثلاثة أيام استغل زكريا عليه السلام الموقف، و أخذ يتحدث مع الناس فى مواضيع أخرى غير قضية ولاده يحيى عليه السلام و ما يحيط بها من ملاسبات كانت تستغرق منه وقتا طويلا لتبينها للناس.

و هكذا فان العمل فى سبيل الله يتطلب تجاوز الجدل فى القضايا الشخصية الى معالجة القضايا العامه، و نشر القيم الرساليه، و يشير القرآن الكريم الى هذه الفكره فيقول:

[١١] فَخَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا كانت الفتره التى اعتزل الناس فيها، و اعتكف فى المحراب يعبد الله و لا يتكلم مع أحد، كافيه لكى يفكر الناس، و يتأملوا، و بالتالى يتبهاوا الى موضوع طالما يغفل الإنسان عنه فى غمره أحداث الحياه و شؤونها، و هو قدره الله التى تدبر الكون، و تدبر أمور العباد، و لذلك وجد زكريا عليه السلام الأرضيه مهتأه لأن يدعوهم الى الالتزام بحكم الله و شريعته، و هذا هو معنى التسبيح العملى.

اشاره

يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١)

اللغة

١٦[انتبذت]:أصله الطرح و هي بمعنى تنحت ناحيه و جلست.

٢٠[بغيا]:زانيه.

ص:١٧

هدى من الآيات:

فى اطار الحديث عن الإنسان من بنيه، تحدثت الآيات الأولى من سوره مريم عن زكريا، ذلك الشيخ الطاعن فى السن، و الذى ظلت فى قلبه رغبه كامنه بثها لربه، فوهب له الله يحيى عليه السلام .

و ها هى الآيات القرآنيه تبين لنا صفات يحيى، و من خلال صفاته يتبين لنا كيف ينبغى أن يكون الولد، و كيف ينبغى أن يتطلع الوالد الى ولده فيما يرتبط به، و فيما يرتبط بالمجتمع.

و هناك وجه آخر لهذه العلاقه و هى علاقه الأم بابنها حيث بينها السياق من خلال قصه مريم، تلك الوالده الرساليه التى وهب الله لها غلاما زكيا، و كانت مثلا، و قدوه، و أسوه لكل الوالدات.

و من خلال العرض القرآنى لصفات يحيى و قصه مريم، تتبين لنا عدّه أمور:

الأمر الأول: ان التربيه المثاليه التي يتوجب على الوالد أن يقوم بها تجاه ابنه ينبغي أن تسير فى عده خطوات:

١/ أن يتطلع الوالد الى أن يكون ابنه امتدادا له، و مجسدا للميزات التي تتصف بها عائلته، فالإنسان وريث حضاره قد تعب من أجلها الآخرون، و قد تراكمت التجارب البشريه حتى تحولت الى حضاره ورثها الفرد، كما ان تجاربه هو، و مكاسبه، و خبراته، قد تجمعت هي الأخرى، و تراكمت عنده و تحولت الى قواعد سلوكيه، و قيم انسانيه، و عمرانيه، كل ذلك يتجمع عند الإنسان، و عليه أن يسلمها الى الجيل الثانى، و هذه هي مسئوليته الإنسان كما هي رغبته الفطريه، و ان رغبه الإنسان الفطريه تتلخص فى كلمه و هي: أنه يريد أن يرى إذا أغمض عينيه، و رحل عن الحياه، من يتابع مسيرته، و يجسد قيمه، و يحتفظ بخبراته و مكاسبه.

٢/ ينبغي أن يكون الوالد عالما، بأن الجيل القادم سوف لا يكون بالضبط مثل جيله، بل سيكون جيلا له خبراته، و عليه مسئوليته، و له ظروفه الخاصه، و بالتالى ينبغي أن تتوجه تربيته لابنه باتجاه بناء الجيل القادم، حسب ظروف و متغيرات و مسئوليات ذلك الجيل، ليعيش أبنائه لمبادئهم المتطوره كما يعيشون ماضيهم التليد، و لكى لا يكون لهم بعد واحد هو تكرار الماضى، و اجترار ما فيه، بل يكون لديهم بعد آخر هو بناء الحاضر و التطلع للمستقبل.

٣/ أن يربى الإنسان أبنائه على الارتباط بالماضى، و عدم الانفصال عنه، و أحد نتائج ذلك هو: أن الأب عند ما تقعد به السنون عن العمل، و يصبح جليس البيت، فان ابنه لا يتركه وحده، بل يحنّ اليه، و يكون بارا به.

و هكذا فان الصفات التي تتكون عند الأبناء هي: أن يكونوا امتدادا للحضاره التليده و حماه لها، بل يكونوا بناه لحضاره جديده، و هذه الصفات الثلاثه تجسدت فى

الأمر الثانى: ان القرآن الحكيم يضرب لنا أمثله مثيره، تتجسد فيها نوعيه خاصه من طبيعه ذلك الموضوع الذى يريد أن يبينه.

فاذا أراد أن يضرب مثلاً لعلاقه الأب بابنه فانه لا- يأتى أب و أى ابن، أو يضرب لنا من واقعهما مثلاً كلاً.. فذلك لا- يثير الإنسان، بل يبين قصه تاريخيه، ذات نوعيه فريده و يضربها مثلاً، لا لكى تبقى فى الذاكره فقط، و انما أيضا لأن ذلك المثل يبقى مثلاً بارزاً كالشمس لا يحتاج الإنسان للبحث عنها، و فى هذا المورد يذكر لنا القرآن قصه يوسف و والده يعقوب والده، و إذا أراد أن يضرب لنا مثلاً عن تطلعات الأب تجاه ابنه، و صفات الابن تجاه هذه التطلعات فانه يضرب مثلاً من قصه زكريا مع ابنه يحيى، و إذا أراد أن يضرب لنا مثلاً عن علاقته الأم بابنها فانه لا يبحث عن أى أم فى العالم، و إنما يضرب المثل من قصه مريم الصديقه التى كانت متحرره من الدنيا، و لكن الله سبحانه لم يشأ لها أن تبقى هكذا متحرره فأراد أن يبتليها بالابن و هذه هى سنه الحياه. لقد شاء أن يقول لها: عليك أن تتحملى مسئوليتك كام، الى جنب مسئولياتك كمريئه، و هاديه للناس، أو متعبده و زاهده فى المسجد، و هكذا بين القرآن الحكيم الحالات النفسيه، و الحالات الماديه الصعبه التى يجب أن تجتازها الأم و تبقى صامده، و هل هناك حاله أصعب من فتاه عمرها عشر سنوات، لم تتزوج، و لم تر بشراً، حملت فهجرت بيتها، و تركت أهلها الى الصحراء، فجاءها المخاض الى جذع النخله، و هى لا تعرف ما ذا تصنع؟! فلتكن هذه المرأه مثلاً لكل النساء لكى لا يتهربن من مسئوليات الأمومه التى هى مسئوليه الحياه الطبيعيه، بل ينتظرن العاقبه، تلك العاقبه التى انتظرتها مريم و رأته كما رأى الناس كيف كانت حسنه و خيرا و رحمه.

الأمر الثالث:الجمع بين رساليه الإنسان و طبيعته،فلكى تكون رساليا ليس من الضرورى أن تترك طبيعتك،و مسئوليتك الاجتماعيه فى الحياه،بل يمكن أن تكون رساليا،و فى نفس الوقت أبا أو ابنا أو أما،و تحتفظ بكل المسئوليات الاجتماعيه التى يقوم بها أى فرد عادى.

### بينات من الآيات:

### وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا :

[١٢] يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ولد يحيى و أعطاه الله الرساله،و أمره بأن يجعل كل حياته،و جماع عزمه،و شدّه بأسه فى الالتزام بتبليغ هذه الرساله،فقد يأخذ الإنسان شيئا و هو غير مطمئن الى طبيعته أو نتيجه، بينما يبحث فرد آخر عن نفس الشىء،و يأخذه بقوه و هو مطمئن به،مصمّم على الدفاع عنه،و هكذا أمر الله يحيى بأن يأخذ الرساله،و لعلّه لذلك بقى يحيى حصورا فلم يتزوج،شأنه شأن عيسى عليه السلام بل أعطى كل حياته للرساله الالهيه،متحديا الحاله الماديه التى طغت على بنى إسرائيل ذلك اليوم و انغماسهم فى الشهوات العاجله.

و نتساءل:لما ذا أعطى الله يحيى الحكم صبييا؟و الجواب:- أولاد:إكراما لوالده العظيم و لكى يكون آيه لبنى إسرائيل،و للناس جميعا، و لأنه جاء ليصحح مسيره الأمه بعد انحرافها،و قد استشهد فى سبيل الله،و كان من الطبيعى أن يكثر الطغاه الدعايات المضللّه حوله،فأعطاه الله آيه لصدقه.

ثانيا:لأنه منذ نعومه أظافره كان فى مستوى تلقى الوحي،

فقد جاء فى حديث مأثور عن أبى الحسن الرضا عليه السلام :

ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقنا، فأنزل الله تعالى: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . (١)

حينما طلب زكريا من الله سبحانه و تعالى أن يرزقه وليا فان أقصى ما كان يأمله هو أن يكون إنسانا رساليا، و لكن الله تفضل عليه، و فضله على الآخرين، فأعطاه ولدا يحمل مسئوليته الرساله، و جعله إماما للناس، و لما يزل صبيا.

و هكذا فلنعلم بأننا إذا أخلصنا لربنا، و دعوانه دعاء خفيا، متضرعين اليه، آئذ لا يستجيب الله لنا دعاءنا فقط بل و يعطينا أكثر مما كنا نأمل.

## وَ كَانَ تَقِيًّا :

[١٣] وَ حَنَّانًا مِنْ لَدُنَّا وَ زَكَاةً وَ كَانَ تَقِيًّا هذه هي الصفات النفسية التي كانت عند يحيى:

الصفة الأولى: هي أنه كان يحنّ على الناس، إننا نجد أن أكثر الناس يعيشون لأنفسهم، و قليل أولئك الذين يعيشون للناس جميعا، بعيدين عن السجن المحيط بذواتهم، و هذه هي الصفة الاجتماعية المثلى التي يجب أن يتحلى بها الابن، و على الوالد أن يربّي ابنه على الروح الجماعية، فلا يقل له: لا تخرج مع أولاد الجيران لأنهم يضربونك، أو لا تدعهم يرون هذا المتاع عندك لئلا يطلبونه منك، فهذا مثل للتربية الخاطئة، بل على العكس من ذلك إذا أعطيت لابنك درهما قل له: إذا اشترت شيئا تقاسمه مع زملائك، فيجب أن تربي ابنك منذ نعومه أظفاره على أن يحن على الناس، و يرى نفسه مسئوله عن الآخرين.

و ينبغي أن يكون هذا الحنان في اطار توحيد الله سبحانه، فقد يكون للحنان جانب سلبي، و هو أن يحن الإنسان على الآخرين فيخضع لهم، و يخرج عن حدود

ص: ٢٢



اللّه، و هذا خطأ، انما يجب عليه أن يحن عليهم، و يخضع لله، و هكذا كان يحيى، و لعل الآية تشير الى ذلك.

الصفه الثانيه:التقوى. و الأحاديث كثيره عن تقوى يحيى عليه السلام و كيف كان يخاف الله و يخشاه، يقال: بأن زكريا كان يمنع ابنه يحيى من أن يحضر مجالسه لأنه لم يكن يحتمل مواعظ والده، و لكن يحيى جاء و اختبأ تحت المنبر، فصعد زكريا و أخذ يخوف الناس نار جهنم، و إذا به يجد يحيى من تحت المنبر باكياً، و يهيم على وجهه فى الصحراء، فأخذ الناس يبحثون عنه فى كل مكان، فلم يجدوه إلا بعد فتره جالسا على ماء، يبكى بكاء مرّاً، و يناجى ربه، و يدعو أن ينجيه من نار جهنم، و

قد ورد فى حديث شريف، عن أبى بغير قال قلت لأبى عبد الله عليه السلام عن قوله فى كتابه «حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا» قال:

«انه كان يحيى إذ قال فى دعائه يا رب يا الله! ناداه الله من السماء لبيك يا يحيى سل حاجتك» (1) [١٤] الصفه الثالثه:- وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا انه كان يحسن معاملته والديه، و يعتنى بهما. و يبدو ان هذه الصفات الثلاث التى وردت فى الآية و هى: الحنان، و التقوى، و البرّ، تنبع جميعا من صفه واحده و هى: العلاقة الايجابيه مع أبيه و أمه و مجتمعه.

ان الولد المشاكس يسميه القرآن جبارا، و الجبار هو الذى يعيش لنفسه فقط، و حسب أهوائه، و يتصرف حسب بغضه و حبه، و يرى نفسه أعلى من الآخرين، و لكن يحيى لم يكن جبارا، و لم يكن عصيا، أى لم يكن يهدف العصيان و التمرد

ص: ٢٣

على والديه أو على الناس.

[١٥] وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ان من الأمور التي كان قد طلبها زكريا هي أنه قال: « وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا »، و في هذه الآيه نرى استجابه الله تعالى لهذا الطلب، فقد عاش يحيى سالما، و معه السلام، فالمجتمع أحبه، و الله أحبه، و في المستقبل -بعد موته- سوف يحبه الناس.

ان يحيى قد استشهد في سبيل الله، و لكن الشهاده في نظر الإسلام تعتبر سلاما بالنسبه إلى المؤمن، فالإنسان إذا كان يجب أن يموت و لا بد! فلتكن ميته الشهاده، ليحصل على السلام الذي يعنى النجاه و الخير، بلى ان للإنسان ثلاثه مواقع صعبه عليه أن يمر بها: يوم يولد، و يوم يموت، و يوم يُبعث حَيًّا، و إذا كان في هذه الأيام الثلاثه محاطا من قبل الله بالسلام فانه سعيد حقا،

جاء في حديث مأثور عن الامام الرضا عليه السلام انه قال :

إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن، يوم يولد و يخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، و يوم يموت فيرى الآخرة و أهلها، و يوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا، و قد سلم الله عز و جل على يحيى في هذه الثلاثه المواطن، و آمن روعته فقال: « وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا » و قد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثه المواطن فقال: « وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا » (١)

**وَ كَانَ أَمْرًا مَفْضِيًّا :**

[١٦] وَ اذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا تِلْكَ كَانَتْ قِصَّةَ يَحْيَى وَ أَبِيهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، و بعدها يبدأ ربنا سبحانه في سرد

ص: ٢٤

١-١) المصدر ص ٣٢٧.

قَصَهُ مَرِيْمٌ وَابْنَهَا عِيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حَيْثُ جَلَسَتْ مَرِيْمٌ فِي مَكَانٍ شَرْقِيٍّ، فِي الْغُرْفَةِ الَّتِي بَنِيَتْ فِي شَرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَ لَعَلَّ مَعْنَى «انْتَبَذَتْ» تَنَحَّتْ عَنْهُمْ، تَوَاضَعًا لِلَّهِ، وَ جَلَسَتْ مَكَانًا لَا يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، كَمَا أَنَّ اخْتِيَارَهَا لِلْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ رُبَّمَا كَانَ لِأَنَّهُ الْأَقْرَبُ إِلَى الطَّهَارَةِ لِشُرُوقِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ.

[١٧] فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا أَى جَعَلَتْ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ نَفْسِهَا لِكَى تَتَفَرَّغَ لِعِبَادَتِهَا بِإِخْلَاصٍ دُونَ أَنْ يَشْغَلَهَا أَحَدٌ، وَ لَعَلَّ الْآيَةَ تُوْحَى بِأَنَّ صَلَاةَ الْمَرْأَةِ فِي الْمَخْدَعِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ، وَ

جاء في الحديث :

«مسجد المرأة بيتها».

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا هُنَا ارْتَاعَتْ مَرِيْمُ الصَّدِيقَةِ الطَّاهِرَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَلأَوَّلُ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهَا تَرَى بَشَرًا سَوِيًّا يَأْتِيهَا، وَ لَمْ تَعْرِفْ لِمَا ذَا أَتَى؟ وَ مَا هُوَ هَدَفُهُ؟ خُصُوصًا وَ إِنَّهَا قَدْ احْتَجَبَتْ عَنْهُ، وَ مَجْرَدُ دُخُولِهِ عَلَيْهَا مِنْ دُونَ إِذْنِهَا كَانَ أَمْرًا عَجِيبًا.

وَ تَمَثَّلَ الرُّوحُ هُوَ ظُهُورُهُ فِي هَيْئِهِ مَعْيِنُهُ، وَ الْهَيْئَةُ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ لِرُوحِهِ كَانَتْ عَلَى هَيْئَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ، مُتَكَامِلٍ، لَعَلَّهُ لَا مَتَحَانَ مَرِيْمُ الصَّدِيقَةِ الْعِذْرَاءُ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْبَشَرَ السَّوِيَّ أَكْثَرَ إِثَارَةً لِعَرَائِزِ الْمَرْأَةِ.

[١٨] قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا كَانَتْ شَجَاعَةٌ، وَ كَانَتْ مُؤْمِنَةٌ، وَ عَرَفْتُ كَيْفَ تَتَعَامَلُ فِي الْمَوْقِفِ الصَّعْبِ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ قَائِلَةً: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ لَوْ كُنْتُ تَقِيًّا، فَحَذَّرْتَهُ مِنْ

اللّه حتى يرتدع عمّا قد يريد من الفاحشه، والاستعاذه باللّه دليل عمق الإيمان، إذ أن كثيرا من المؤمنين قد تذهلهم المفاجاه عن الركون الى ربهم فى الموقف الصعب، أما مريم فلقد استعاذت منه باللّه الرحمن، فهدفت أمرين:

تقويه ارادتها، وبعث الرعب فى قلب الطرف الآخر، ثم ذكرته بأن عمله مخالف للتقوى.

[١٩] قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا [٢٠] قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا هُنَا نَرَى ان مريم لا تزال محتفظه بكل أعصابها أمام هذه المفاجاه و هى فى سن مبكر فأخذت تحاور الملك، و تقول: إننى لست متزوجه، كما أننى لست باغيه، فكيف أرزق ولدا!! [٢١] قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: بِأَنَّ ذَلِكَ عَمَلٌ هَيِّنٌ بِالنَّسْبِ إِلَيْهِ، وَ هَدَفَهُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَلِيدُ آيَهُ لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَ يَبْدُو أَنَّ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ حَمَلَهَا مَسْئُولِيَهُ بِهَذَا الْقَوْلِ، إِذْ بَيْنَ لَنَا أَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تَحْمِلَ صَعُوبَةَ الْحَمْلِ وَ الْوِلَادَةِ، وَ تَهْمُ النَّاسِ وَ مَا أَشْبَهَ مِنْ أَجْلِ هِدَايَةِ النَّاسِ، لِأَنَّ وَلِيدَهَا سَوْفَ يَصْبِحُ آيَهُ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ.

وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِّمَّا بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ، عِلْمُهُ رَحْمَةٌ، وَ رِسَالَتُهُ رَحْمَةٌ، وَ أَعْمَالُهُ رَحْمَةٌ، وَ لَعَلَّ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ هَذَا خَاطَرَهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَإِنَّ آيَاتِ اللَّهِ قَدْ تَكُونُ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، بَيْنَمَا وَلِيدُهَا الْمَتَنَتَّرُ سَيَكُونُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ وَ لَهَا أَيْضًا.

وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا وَانْتَهَى جِبْرَائِيلُ الْمَلِكُ الَّذِي تَمَثَّلَ لِمَرْيَمَ فِي صُورِهِ بِبَشَرٍ سِوَى مِنَ الْإِجَابَةِ عَلَى تَسْأَلَاتِ مَرْيَمَ، وَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ، أَمَا كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا؟ وَلِمَاذَا يَحْدُثُ؟ هَذَا أَمْرٌ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدَّرَهُ.

ص: ٢٧

اشاره

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَمَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ إِمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)

اللغة

٢٢[قصيًّا]:القصى البعيد،و القاصى خلاف الدانى.

٢٥[جنيًّا]:الجنى بمعنى المجنى من جنى الثمر إذا قطعها.

٢٧[فريًّا]:عظيما.



## هدى من الآيات:

تحدثنا في الدرسين الماضيين للسوره عن العلاقة بين الإنسان و بين والده أو والدته، وأنه يجب أن يكون في إطار التقوى، ذلك ان المحور الأساسي في حياه البشر ينبغي أن يكون العبوديه المطلقه لله سبحانه.

و لكن يطرح هذا السؤال:لما ذا ينبغي أن تكون علاقتنا بأبنائنا، بل كل علاقاتنا في إطار التقوى و عبوديه الله؟ و الجواب:

أولاً: ان سنّه الحياه و طبيعتها هي: ان كل شيء من الله والى الله: **إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** بمعنى أن الحياه الطبيعيه و الفطريه قائمه بالعبوديه المطلقه لله، إذن يجب أن تكون علاقاتنا انعكاسا للحياه الطبيعيه الموجوده في الكون.

من الذى و هب لى ابنا؟



و من الذى قَدَّر لهذا الابن أن ينمو؟ و من الذى يسبغ هذه النعم ان شاء، أو يمنعها ان شاء؟ أو ليس الله؟! ثانيا: حينما تسوأ علاقتنا بأبنائنا بسبب ظلمهم، تبقى علاقتنا بالله سليمة، و إذا اعتمدنا على التقوى آنئذ لا نجد ركنا نلتجئ اليه سوى الله.

و نستوحى من هذه الآيات أيضا معنى الفرج بعد الكرب، و بالذات فى بناء الأسره الأصعب من كل بناء، الزواج هو تحمّل مسؤليه الحياه بكل أبعادها، فالزواج و الولوج فى امتحانات عسيره، و متعدده الجوانب، و من دون ثقه كامله بنصر الله قد تهاوى اراده الإنسان و تخور عزائمهم، و لهذا يضرب القرآن هنا مثلا للفرج بعد الكرب الذى أصاب مريم.

### بيّنات من الآيات:

### المخاض الصعب:

[٢٢] فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَيْتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا حينما أرادت مريم أن تتزهد لتعبد الله، انتبذت مكانا شرقيا، قريبا، فى بيت المقدس فى غرفه فيه، و اتخذت من دونهم حجابا، و أخذت تتبتل الى ربها، و لكنها بعد الحمل انتبذت مكانا قصيّا، أضف الى ذلك أن الحمل كان صعبا و مجهدا، لأنها لم ترد (عليها السلام) أن يظهر ذلك للناس، لذلك ابتعدت عنهم.

[٢٣] فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ كَم طالت الفتره بين حمل مريم و بين مخاضها؟ هناك أحاديث عديده: بعضها يقول: سته أشهر و هو الحديث الأقوى، و بعضها يقول تسع ساعات، لأنها حملت فى

بدايه النهار، و فرغت من حملها فى نهايته، و بعضهم يقول ساعتين -الله أعلم- و انما نحن مع هذه الآيه التى تصور لنا حاله صعبه كانت تعيشها مريم عليه السلام بحيث ان المخاض يجبرها على أن تلتجئ الى جذع النخله، فحينما جاءها المخاض، لم تجد دارا أو بيتا تلتجئ اليه، و انما وجدت شيئا واحدا و هو جذع نخله.

قَالَتُ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا فَتَاهُ عِذْرَاءٌ، تَرَكْتُ الدُّنْيَا وَ لَمْ تَرِ مَسْئُولِيَّاتِ الْحَيَاةِ، -سواء كانت مسئوليات البيت أو مسئوليات المجتمع- لأنها كانت متعبده، و متحرره من علاقات الدنيا، و يأتيها المخاض، و هذه أول تجربه لها فى الحياه، فلم تعرف كيف تتصرف تجاهها، كما انها كانت وحيده فى الصحراء، و لم تجد من يمد لها يد العون! آئنذ شعرت بمشقه بالغه و كرب عظيم فقالت:

وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا وَ الْإِنْسَانُ يَرِيدُ الْحَيَاةَ وَ مَا فِيهَا مِنْ عِلَاقَاتٍ لِيَشَاعَ لَهُ الذِّكْرُ الطَّيِّبُ بَيْنَ النَّاسِ، وَ لِذَلِكَ يَتَحَمَّلُ الْإِنْسَانُ كُلَّ الصَّعُوبَاتِ، فَهُوَ يَخُوضُ الْحَرْبَ مِثْلًا، وَ يُعْرِضُ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا بَطَلَ شَجَاعًا، وَ لَكِنْ مَرِيْمٌ تَنَاسَتْ حَتَّى هَذِهِ الرَّغْبَةَ فِي ذَاتِهَا، وَ تَمَنَّتْ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ نَسِيًّا مَنَسِيًّا.

و النسى المنسى، هو الذى نسى و نسى أنه قد نسى، فصار و كأنه لم يكن أبدا، فقد ينسى الإنسان شيئا، و لكنه يتذكر أنه قد نسى شيئا، فيفكر حتى يتذكر، أما ان تنسى و تنسى انك قد نسيت، فهذا هو النسى المنسى، و كأن مريم (عليها السلام) تمنى لو نسيت و لم يبق لها أى أثر يذكر.

[٢٤] فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا: اختلف المفسرون فيمن ناداهما؟ اهل كان جبرائيل باعتبار ان مريم كانت واقفه على ربوه و جبرائيل كان واقفا تحت الربوه، لذلك كان هو المنادى، أو كان عيسى، و أتصوّر أن المنادى هو عيسى الوليد الجديد، و هذا ينسجم مع سياق الحديث القرآنى، بينما جبرائيل لم يكن اسمه مذكورا فى سياق هذه الآيات.

□  
أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا يَبْدُو أَن مَرِيْمَ حِينَمَا حَمَلَتْ فَكُرْتِ فِي مَا بَعْدَ الْحَمْلِ.. مَا ذَا سَيَحْدُثُ؟ مَا ذَا سَيَقُولُ عَنْهَا النَّاسُ؟ وَ حِينَمَا وَضَعْتَ تَرَكَزْتَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ فِي ذَهْنِهَا فَاحْتَارَتْ مَا ذَا تَفْعَلُ؟ وَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟ لِذَلِكَ فَانْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ قَالَهَا عِيْسَى لَهَا هِيَ: أَلَا تَحْزَنِي -أى لا تحملى هموم المستقبل- و هكذا يجب أن تكون المرأة بالنسبة الى مسئوليات الحياه الزوجيه، فبعض النساء يقلقن من شؤون الحياه، و يفكرن كثيرا فى مستقبل الطفل، و هذه الأفكار غير صحيحه، لأن الذى خلق هذا الطفل، و قدّر للمرأة أن تكون أمًا سوف يعينها عليه، و علينا أن نعيش لحظتنا، بالرغم من ضروره التخطيط للمستقبل، إلا أن التخطيط عمل الفكر بينما الهم عمل القلب، و ليس من الصحيح أن نتحمل هذه اللحظه خوف همّ المستقبل، و حزن الماضى، فتصبح الحياه فيها جحيما، و يبدو من السياق ان كلمه السرى أقرب الى مفهوم النهر الرافد، إذ أنه عليه السلام أشار إليها بوجود نهر فى أسفل الربوه، هذا من جهه و من جهه ثانيه فقد أشار إليها ما ذَا تَطْعَمُ و قال:

[٢٥] وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا

١- فى الأحاديث أن مريم رفعت رأسها الى السماء-وقالت يا إلهى فى الأيام العاديه التى كنت فيها شابه،و لا أعانى فيها مرض و لا- ألم، كان الطعام ينزل على من السماء بدون صعوبه،و الآن فى هذه الحاله على أن أهرز جذع النخله حتى تتساقط على رطبا جنيا؟!لما ذا؟!فجاءها الوحي أو قال لها عيسى-لا أعلم بالضبط-انه فى ذلك اليوم كانت علاقتك فقط بى و ما كنتى تعرفين إلا الله،أما الآن فقد توزعت علاقتك بين الله و ابنك،و لذلك لا بد أن تهزى جذع النخله.

٢-و هناك تفسير آخر لهذه الآيه و هو:أن على الإنسان أن يتحمل صعوبات الحياه،و من دون التعب لا يحصل الإنسان على شىء،فقسم من التعب عليك، و القسم الآخر الله سبحانه هو الذى يدبره و يقدره.

تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَيِّدًا فى الأحاديث(إن أفضل ما تطعم النفساء من الأطعمةه الرطب)لأن الرطب يحتوى على كل المواد التى يحتاجها الجسم،و بنسبه احتياج الجسم،يقول بعض العلماء ان فى التمر ١٣ ماده حياتيه و خمسه أنواع من الفيتامين،لهذا تطعم المرأه الواضع فى بعض الدول التمر لمدّه أربعين يوما.

[٢٦] فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِي عَيْنًا لا تفكرى بهذا الولد كيف يصبح فى المستقبل؟ انه سوف يصبح قره عين لك.

فَإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا لقد بدأت مساعده عيسى لوالدته من تلك اللحظات الأولى،و السبب هو ان

عيسى كان معجزه في الحياه، أما في سائر الحالات الطبيعيه، فان على الولد أن يساعد أمه متى كبر و اشتدّ عوده، و يجب أن تفكر الأم و هي تخوض غمرات الحياه الصعبه أن مستقبلها سيكون مضمونا بسبب هذا الولد، و ان بعد العسر يأتي اليسر، و العبره التي نستلهمها هي: ان الصيام في الشرائع السابقه كان مقرونا بعدم التكلم، فعيسى أشار لمريم بأن تقول للناس: اننى صائمه من دون أن تقول كلاما، لأنها إذا تكلمت بطل صومها، و بالرغم من أنّ هذا النوع من الصوم قد نسخ في شريعته النبي محمد (صلى الله عليه و آله) إلا ان بعض ايجابياته لا تزال باقيه حيث

جاء في روايه مأثوره عن الامام الصادق عليه السلام :

ان الصوم ليس من الطعام و الشراب وحده، ان مريم قالت: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» -أى صمتا- فاحفظوا ألسنتكم، و غضوا أبصاركم، و لا تحاسدوا و لا تنازعوا (1) و انما تستعمل الاشاره بدليل الآيات التاليه التي تفيد بأن مريم أشارت بيدها الى ولدها ليعلم القوم انها لا تتكلم.

### التهمة المفتراه:

[٢٧] فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهَا امْرَأَةٌ عِذْرَاءٌ، غَيْرَ مَتْرُوجَةٍ، صَغِيرَهُ السِّنِّ، تَحْمِلُ وَلَدًا رَضِيعًا!! قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا أَى عظيمًا عجبيا.

ص: ٣٥

و يبدو أنهم في البدايه لم يتهموها بالفاحشه، و لكنهم شيئا فشيئا اتهموها بها بصورة غير مباشره:

[٢٨] يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأً سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا لِّقَدْ ذَكَرُوا بِأُنْتِ هَارُونَ، و الواقع ان مريم لم تكن أختا لهارون، و انما كانت من عائله زكيه طاهره نقيه يقف في رأسها هارون أخو موسى (عليه الصلاه و السلام) و من المعروف انه حينما كانوا يريدون أن ينسبوا أحدا الى عائله كانوا ينسبوناه الى عشيرته، و لأن هارون كان مشهورا بالتقوى و الطهاره، لذلك قالوا للمريم:

«يا أخت هارون» و هذا الأسلوب معروفا أيضا في اللغه العربيه، حيث ان العرب حينما كانوا يريدون أن ينسبوا شخصا الى عشيرته يقولون له: يا أخا فلان.

قالوا لها: نحن نعرف أباك، فلم يكن سىء الخلق، و أمك لم تكن بغيًا، فمن أين هذا الطفل؟! و من هذه الآيه نستطيع أن نستوحى مدى تأثير الوراثة و التربيه في حياه الإنسان، لأنهم عرفوا ان العائله الزكيه يجب أن تخرج منها امرأه زكيه، و العكس صحيح غالبا، فمن عائله غير شريفه لا يستبعد أن تخرج منها امرأه غير شريفه.

[٢٩] فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟! فظنوا ان مريم انما تستهزئ بهم، و لكن لم يلبث عيسى أن نطق بكلام فصيح، و بين:

أولا: ثلاث صفات أساسيه لنفسه: عبوديته لله— و هى أصل كل خير— و انه يحمل كتابا، و هو نبى.

ثانيا: ثلاث قيم لرسالته و دعوته: (البركه، و الصلاه، و الزكاه).

ثالثا: ثلاث سمات، لسلوكه و أخلاقه ( وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ، وَ لَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا، شَقِيًّا ) رابعا: ثلاث نتائج له و لمن يتبعه ( وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ، وَ يَوْمَ أَمُوتُ، وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ).

**من هو عيسى بن مريم:**

[٣٠] قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ لَدَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام) و هو يحمل الصفات المثلى، و بالتالى كان قدوة لنا، و انما نقلى على هذه الآيه الضوء لكى نقتدى بما يمكن أن نقتدى به من، صفاته (عليه السلام)، فما هى تلك الصفات؟ فى البدايه قال: إني عبد الله ليؤكد صفه العبوديه فى نفسه، و بالتالى ينسف قاعده عباده البشر، تلك القاعده التى كانت من الممكن أن ترسخ فى ذهنه بنى إسرائيل بسبب الولاده المعجزه أولا، و تكلمه فى المهد ثانيا، و معرفته بالكتاب صبيًا ثالثا.

و قد يتساءل البعض كيف نقتدى بعيسى (عليه السلام) فى هذه الصفات، و هل على الأم مثلا أن تبحث عن رساله لابنها حتى يصبح نبيا؟ الجواب: كلا..

ان ذلك ليس مهمه الأم، و لكن على الأم أن تربي ابنها لكى يصبح مبلغا، داعيا الى الله مثلما كانت امرأه عمران، عند ما نذرت ما فى بطنها محررا، فلما ذا لا تفكر كل امرأه حامل منذ البدء أن تجعل ابنها محررا عاملا فى سبيل الله؟! ان المرأه إذا فكرت منذ البدء أن يكون ابنها الذى لا يزال فى رحمها عاملا فى سبيل الله، و داعيا الى الحق، فان الله سبحانه و تعالى يبارك لها فى هذا الولد.

قالوا لأم الشيخ الأنصارى (و هو أحد كبار علمائنا الزاهدين): ان ابنك قد

أصبح مرجعا دينيا كبيرا!! فلم تتعجب و قالت: لقد كنت أتوقع ذلك، فقالوا لها:

كيف؟ فقالت: لأنى لم أكن أرضعه إلا و أنا على وضوء، حتى أنه فى منتصف الليل عند ما كان يستيقظ طالبا الحليب، كنت أنهض من الفراش لأتوضأ ثم أقمه ثديى.

ان هذه الأم كانت منذ البدايه تنشده لابنها ذلك المقام الأسمى، فأعطاها الله ما طلبت بفضله.

## رسالته؟

[٣١] وَ جَعَلَنى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ لَقَدْ كَانَ عيسى يشع بالخير، و يتفجر المعروف من جوانبه كما العين المعطاء.

و هكذا يجب أن يربى الإنسان أولاده على حب الخير، و العمل للآخرين و ان يكونوا أبدا مركز الحب و ينبوع البركه، أينما حلوا حلت معهم البركه.

و اننا نقرأ

فى التاريخ ان فاطمه الزهراء عليها السلام وقفت فى محرابها ذات ليله تصلى و تدعو حتى مطلع الفجر فدعت الله لكل الناس باستثناء نفسها و أولادها، و كان ابنها الحسين عليه السلام و هو صبى الى جنبها فقال لها:

«يا أمه دعوت لكل الناس ما عدانا؟ قالت: نعم يا بنى.. الجار ثم الدار» انظروا الى تربيته فاطمه الزهراء عليها السلام لابنها، انها منذ البدء ربّت أبناءها على حب الآخرين، و فعل الخير الى الناس جميعا، و هكذا كان عيسى عليه السلام مباركا، أينما كان، يفعل الخير، و يدعو اليه.

وَ أَوْصَانى بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا

ص: ٣٨



و الصلاة و الزكاه هما أسمى ركيزتين بعد عباده الله وحده و توحيده، و قد استدل عيسى على صدق رسالته بهاتين الركيزتين، حيث ان اقامه الصلاة و إيتاء الزكاه فريضتان معروفتان.

## أخلاقه؟

[٣٢] وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا الجبار هو الذى لا يرى لأحد حقا عليه، بينما يفرض على الناس حقوقه، أما الشقى فهو الذى يسبب لنفسه البلاء، و الصفات الثلاث التى هى سلوك النبى عيسى (عليه السلام) تعود فى الواقع الى جذر واحد، و هو الخروج عن شح الذات الى أفق الحق، و العيش للناس و ليس للذات، و جعل الحق و ليس النفس و اهوائها محورا.

و إن فى هذه الآيه تأكيد على دور الأم و ضروره البر بها، و قد وصّى أنبياء الله جميعا بها خيرا، و البرّ بها دليل الايمان و وسيله الزلفى الى الله، و قد أكد الإسلام على دورها، و ضروره البر بها،

فهذا النبى محمد (صلى الله عليه و آله) يسأله رجل:

«من أحق الناس عليّ؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك» (١)

و مره جاءت أم سلمه الى رسول الله تشكو اليه حاله بنات جنسها و تقول: ان كل الفخر للرجال، فيقول لها الرسول صلى الله عليه و آله:

«بلى.. إذا حملت المرأة كانت بمنزله الصائم، القائم، المجاهد بنفسه و ماله فى سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا يدري أحد ما هو لعظمه، فإذا

ص: ٣٩

أرضعت كان لها بكل مصه تعدل محرر من ولد إسماعيل، فاذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم على جنبها و قال: استأنفى العمل فقد غفر لك « (١) [٣٣] وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا فحقيقه السعاده أو الشقاء تتجسد منذ لحظه الولاده.

و إنّه بعد ما وضع عيسى (عليه السلام) أهداف و محتوى رسالته المبدئيه، أراد ان يكمل هذه الاهداف بتوضيح الإطار الاجتماعى لرسالته، بأنه لم يرسل جبارا، فيعشى فى الأرض فسادا، بل أرسل رحمه الى الناس و سلاما، يحمل السلام إليهم منذ لحظه ولادته، الى لحظه بعثه للحياه مره اخرى.

و كلمه اخيره: ان هذا الدرس يلخص قيم الرساله فيما يرتبط بدور الام، و كيفيه تربيتها لوليدها.

و ان وراء كل قصه فى القرآن قيمه حضاريه.

ص: ٤٠

---

١-١) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٤١.

اشاره

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨) وَانذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)

هدى من الآيات:

كنا مع عيسى (عليه السلام) و قد بشر برسالته صبيا، و أمر الناس بأن يعبدوا ربهم.

و القرآن الحكيم يوقفنا هنا ليبيّن لنا حقيقة هامه و هي: إنّ الخلاف العقائدي الذي انتشر حول عيسى (عليه السلام)، إنما كان بسبب عدم معرفه الله، و الجهل بصفاته و أسماءه و بقدراته الواسعه المطلقه، و بكيفيه خلقه للأشياء، و إن هذا الخلاف ينبع من ضعف الايمان بالآخره.

أن خلق الله للكون إنما هو خلق أرادى إذ يقول للشىء: كن، فيكون دون أدنى تأخير، لذلك فربنا تعالى لا يحتاج الى أن يتخذ ولدا أو معيناً يرثه، بل هو الذى يرث ما فى السموات و ما فى الأرض جميعاً، و الذين قاسوا ربهم بأنفسهم لم يعرضوا الفرق الشاسع بين طبيعه المخلوق و صفات الخالق، لذلك قالوا: عيسى ابن الله.

و الايمان بالآخـره يسقط الخـلافـات الدينيه، لأن قسما كبيرا من هذه الخـلافـات نابع من الأهواء و الشهوات، و من عدم تحمل مسئوليـه العلم، و من إن الذين كلفوا بيان العلم اختاروا شهواتهم على دينهم فباعوا علمهم بضع دراهم معدوده.

فالقرآن الحكيم يذكر الناس بيوم القيامة أبدا ليبيّن إن هذه الخـلافـات تبخر إذا كان الايمان بالمعاد إيمانا راسخا، ذلك أن الإنسان يختلف مع الآخـرين في الدين حينما لا يتخذ الدين محورا لحياته، بل تكون أهواؤه و شهواته هي المحور أما لو اتخذ الدين محورا بحث عنه بجد و فكر بموضوعيه. فإنّ الله سيؤيده لمعرفة الحقائق بسهولة.

## بينات من الآيات:

### كن فيكون:

[٣٤] ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ أَي إن هذه القصة التي نقلها القرآن الحكيم عن عيسى كانت قول الحق الذي لا ريب فيه، أما الناس فإنهم يمترون و يجادلون فيه لعدم معرفتهم بالله و بالبعث.

و يوضح القرآن ذلك فيما يلي من الآيات:

[٣٥] كَأَن لِّلّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَّلَدٍ سُبْحَانَہُ إِن من الصفات الألوهيه صفه القدره و الهيمنه و الخلق، فكيف يتخذ الخالق من مخلوقيه ولدا له؟! الولد واحد من إثنين: أما أن يكون ولدا بالتبني أو بالولاده، فالولد بالتبني إنما يكشف عن حاجه الأب الى ذلك الولد، و الله سبحانه أسمى من أن يتخذ ولدا بالتبني لأنه قادر لا يحتاج إلى شيء.

أما لو افترضنا أن الولد بالولادة فهناك نظريه فلسفيه معقده تقول بأن الكون قد خرج من الله كما تخرج أشعه الشمس من القرص، و كما تخرج الأوهام من القلب، و كما يصدر الماء الرافد من النبع-فسبحان الله!- إن هذا إلاً قول جاهلى بعيد عن صفه الألوهيه و الربوبيه و تناقض فى ذات الوقت، إن طريقه خلقه سبحانه للأشياء هى مجرد الاراده و المشيئه، فقد خلق الله المشيئه ثم خلق الأشياء بالمشيئه..

يقول: كُنْ فَيَكُونُ و ليس لفظه (كن) تعنى التلفظ بها، و إنما هى مجرد الاراده.

و ليس خلقه للأشياء عن طريق الممارسه و المعالجه، حتى يخرج شىء من شىء فيسمى بالولاده و إنما عن طريق الأمر و الإبداع، إذن فنسبه الأولد إلى الله خطأ، و إذا صحت هذه الفكره فلا بد أن تصح فى الكون كله فنقول بأن السماوات و الأرضين و ما فيهما أولد لله، لأنها كلها خرجت من الله-سبحانه-حسب هذا القول الجاهلى، و هذا قول متناقض فى ذاته فكيف يكون المخلوق خالقاً؟! حينما يلد شىء من شىء فلا بد أن يكون الوليد من جنس الوالد و مما لا جدال فيه أن الابن فيه كل الصفات الموجوده فى والده، و ليس فى مجال البشريه فقط و إنما كل شىء، فأشعه الشمس صفاتها نفس صفات الشمس، و الماء الذى يخرج من النبع صفاته نفس صفات النبع.. و هكذا فلا بد أن تكون الأشياء المخلوقه فى الكون تحمل صفات الخالق.. (صفه الحياه.. الخلود.. الثبات و عدم التغير) و هذه الصفات غير موجوده فى الخلق و إنما هى صفات منحصره فى الخالق فقط. و لو افترضنا وجودها فى المخلوق إذا لما كانت هنالك حاجه الى الخالق! و أساسا فان هذه الفكره متناقضه يرفضها العقل، و الله سبحانه ينسف هاتين الفكرتين معا فى آيه واحده حينما يقول:

« مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ » و لما ذا يتخذ الله ولدا؟ إن ذلك ليس من صفات الألوهيه، فالله سبحانه غنى عن

كل شىء، و غير محتاج الى شىء، فما حاجته الى أن يتخذ من بين مخلوقاته ولدا؟! و من جهة ثانيه ان خروج الولد من الله لا بد أن يكون عن طريق التناسل أو الانقسام و هذا غير وارد لأن الله سبحانه غير مركب من أجزاء و إلا أفتقد صفه الكمال المطلق التى تشهد له بها كل ذره من ذرات هذا الكون.

إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْكَوْنَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنَّهُ يَقْضِى أَمْرًا فَيَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، و ليست خلقته بصدور شىء عنه أو ولادته منه سبحانه. (١)

[٣٦] أما رساله عيسى فلم تكن رساله تدعو الناس الى عبادته، و إنما تدعوهم الى عبادته الله وحده، و كيف يدعو الإله الى عبادته غيره لو كان عيسى إلهًا-حاشا لله-؟!

### الصراط المستقيم:

وَ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ هناك تساؤل: ما هى العلاقه بين الجملتين فى هذه الآيه الجمله الأولى التى تقول وَ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ و الجمله الثانيه التى تقول: هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ؟ إن العلاقه هى علاقته العمل بالفكر، و بالتالى علاقته الحياه الدنيا بالآخره، إن إيمانك بالله و عبوديتك المطلقة له هما اللذان يرسمان خريطه مسيرتك فى الحياه و يعطيانك الضوء الكافى لتحركك نحو الله، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فاذا عبت

ص: ٤٥

(١- ١) عالج المؤلف هذا البحث بتفصيل فى كتاب «العرفان الإسلامى».

اللّٰه وحده فسوف ترسم لنفسك الصراط المستقيم الذى يؤدى بك الى اللّٰه، أما إذا لم تعبد ربك فان حياتك سوف تكون منحرفه، ولا يمكنك أن تصل الى أهدافك، وهذه هى العلاقه بين الجملتين.

بالرغم من إن هذه كانت رساله عيسى الى قومه إلا أنّ قومه اختلفوا فيه اختلافا واسعا حتى أن قسطنطين إمبراطور الروم جمع ألفين و مائه و سبعين من الأساقفه فى مجمع كبير و طرح عليهم سؤالاً- خلاصته: من هو عيسى؟ فاختلّفوا بينهم الى عشرات الآراء، بعضهم قال: إن عيسى هو اللّٰه نزل الى الأرض، ثم رجع الى السماء و بعضهم قال: إن عيسى إنما هو ابن اللّٰه و لنا إلهان هما: الأب و الابن، و بعضهم قال: إنه واحد من ثلاثة الأب و الابن و روح القدس، و بعضهم قال: هو جزءان: جزء إلهى و جزء بشرى، و بعض قال: إنه عبد اللّٰه..

و هكذا، و لم يتفق منهم سوى ثلاثمائه و تريف اجتمعوا على رأى واحد. فاعتبره الامبراطور الرأى الحائز على الأ-كثريه النسبيّه (حوالى سدس الآراء فقط) و جعله الرأى السائد الذى لا يزال أقوى النظريات الشائعه اليوم بينهم.

و فى الحقيقه إن هؤلاء اختلفوا فى عيسى هذا الاختلاف الشاسع، بالرغم من إن القضيّه كانت واضحه جدا [فالذى خلق الكون هو الذى خلق عيسى و طريقه خلقه لعيسى هى نفس طريقه خلقه للكون كُنْ فَيَكُونُ] أو هذه الآيه تشير الى الاختلاف بالرغم من أنها لا توضح أسبابه.

### الحزبىه طريق الضلاله:

[٣٧] فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ النَّاسَ الْعَادِيُونَ كَانُوا عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ بَيْنَهُمْ أَحْزَابٌ مُخْتَلِفَةٌ



و لم يكن هدف تلك الأحزاب (الحقيقه) إنما كان هدفهم شيئاً آخر و هو (أنفسهم أو طائفتهم) و لعله -لذلك ينسب القرآن الاختلافات الى التحزب.

فى البدايه ينشأ التحزب ثم يتبعه الاختلاف، فلكى أجمع أنا مجموعه من الناس حولى و لكى يجمع منافسى مجموعه أخرى من الناس حوله، فلا بد أن نخلق نوعاً من الاختلاف بيننا حتى أكون أنا شيئاً و هو شيئاً آخر، و خيال البشر يستطيع أن يكشف أبداً بعض الفروقات، و أن يخلق بعض الأمور الخلافية، لأن الخلاف ليس أصلاً إنما هو فرع للمتحوور الذاتى. و لكن تبخر هذه الخلافات التحزبيه المصطنعه فى يوم القيامة.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ عَظِيمٍ يَذْكُرْنَا الْقُرْآنُ بِأَنَّ هَذَا الْخِلَافَ لَمْ يَكُنْ خِلَافاً دِينِيًّا، و لم يكن من أجل الله، إنما كان من أجل شهواتهم و أهوائهم بدليل و صنفهم بالكفر، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا و عبارته مِنْ مَّشْهَدٍ عَظِيمٍ تشير الى موقفهم يوم القيامة.

[٣٨] أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَوْ تَرَاهُمْ و لو تسمعهم فى ذلك اليوم الذى يأتون فيه الى الله سبحانه لاكتشفت بأن الظالمين فى هذه الدنيا كانوا فى ضلال مبين، فبدل أن يبحثوا عن طريقه لانقاذ أنفسهم من نار جهنم، و من أهوال يوم القيامة، فإنهم أخذوا يبحثون عن الدنيا و عن بعض الشهوات البسيطة و الأنانيات و الخلفيات الضيقه.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ أى ليكن سمعك و بصرك متوجهاً الى هؤلاء فى ذلك اليوم حتى ترى و تسمع واقعهم و هم يقفون خائفين مرتجفين فى المشهد العظيم أمام الله سبحانه و تعالى.

لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِنَّ الظَّالِمِينَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ ظَاهِرٍ يَمْنَعُهُمْ عَنْ إِحْسَاسِهِمْ بِذَلِكَ عَدَمَ تَصَوُّرِهِمْ لِلْمَصِيرِ وَ لَوْ تَصَوَّرُوهُ لَمَا اخْتَلَفُوا، بَلِ اتَّخَذُوا الدِّينَ مِقْيَاسًا لَهُمْ، وَ لَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ بَدَلُ أَنْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ.

[٣٩] وَ أَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ أَعْمَالُهُمْ - أَفْكَارُهُمْ - طَاقَاتُهُمْ تَذْهَبُ سُدًى، وَ يَبْقَى لَدَيْهِمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ يَكُونُ زَادَهُمْ إِلَى الْقِيَامَةِ، وَ هُوَ الْحَسْرَةُ وَ النَّدَامَةُ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَجِدُونَ طَرِيقَهُ لِلْعُودَةِ وَ لَا يَجِدُونَ فُرْصَةَ أُخْرَى لِتَصْحِيحِ مَسِيرَتِهِمْ وَ إِصْلَاحِ مَا أَفْسَدُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَكِنَّ النَّاسَ الْيَوْمَ فِي غَفْلَةٍ عَنِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَ عِنْدَ مَا يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَمَا اخْتَلَفُوا، وَ لَمَا تَحَزَّبُوا، بَلِ اعْتَصَمُوا جَمِيعًا بِحَبْلِ اللَّهِ.

فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّهُ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُوضَعُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ أَهْلِ النَّارِ، بَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرُّ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ وَ أَصْحَابُ النَّارِ فِي جَحِيمِهِمْ، فَيَنَادِي الْمَنَادِيُّ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا الْكَبْشَ؟ إِنَّهُ الْمَوْتُ، فَيَذْبَحُ، فَأَنْتَذُ تَكُونُ الْحَسْرَةُ الْكُبْرَى لِأَهْلِ النَّارِ لِأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فَيَتَخَلَّصُونَ مِنَ الْعَذَابِ، وَ لَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ فَيَسْتَرِيحُونَ، وَ إِنَّهُ لَوْ ظَلَّ الْمَوْتُ مَوْجُودًا فِي الْآخِرَةِ لَمَاتِ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرِحًا بِنَقْلِ الْمَوْتِ عَنْهُمْ وَ بَقَاءِهِمْ خَالِدِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَ لَمَاتِ أَهْلَ النَّارِ حَسْرَةَ عَلَى خُلُودِهِمْ فِي النَّارِ.

[٤٠] إِذَا نَحْنُ نَرْتُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا وَ إِلَيْنَا يُرْجَعُونَ هذه الأرض و ما عليها من مباحج و متع ليست لهم، انها بالتالى تعود إلينا فنحن الوارثون لها، و هم بدورهم يعودون إلينا ليحاسبوا فلما ذا التحزب و الاختلاف من أجل هذه المتع الزائلة؟ من هنا نقول: إن الخلافات البشريه خصوصا تلك التى تتقوّل ضمن الأديان و الرسالات السماويه يجب أن ننسّفها بطريقتين:

الطريقه الأولى: بتذكره الناس برّبهم، ليؤمنوا بخالق الكون.

الطريقه الثانيه: بتذكره الناس بيوم القيامه.

و لو عرف الناس ربهم لانتهى الخلاف النابع من الجهل، و لو عرف الناس أنهم سيعثون فى القيامه لانتهى الخلاف النابع من الجهاله و لأن الخلاف اما يأتى من الجهل و أما من الجهاله، لا غيرهما فانه يتلاشى مع معرفه الله و الايمان بالآخره.

اشاره

وَ اذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّهٗ كَانَ صَدِيْقًا نَّبِيًّا (٤١) اِذْ قَالَ لِاَبِيْهِ يَا اَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَّ لَا يُبْصِرُ وَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا اَبَتِ اِنِّيْ قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيْ اَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا اَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا اَبَتِ اِنِّيْ اَخَافُ اَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُوْنَ لِلشَّيْطٰنِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ اَرَاغِبُ اَنْتَ عَنِ الْاِهْتِيْ يَا اِبْرٰهِيْمُ لِيْنُ لَمْ تَنْتَهَ لِمَا رَجَمْنَاكَ وَّ اُهْجَرْنِيْ مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيْ اِنَّهٗ كَانَ بِيْ حَفِيًّا (٤٧) وَّ اَعْتَرَلَكُمْ وَّ مَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَّ اَدْعُوا رَبِّيْ عَسَى اَلَّا اَكُوْنَ بِدُعَاۗءِ رَبِّيْ شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اِعْتَرَلَهُمْ وَّ مَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَّ يَعْقُوْبَ وَّ كَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَّ وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَّحْمٰتِنَا وَّ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)

اللغه

٤٦] و اهجرنى مليا]:فارقنى دهرا طويلا.

٤٧] حفيا]:برا لطيفا.

ص: ٥٠



## هدى من الآيات:

علاقه الإنسان بربه يجب أن تكون فوق علاقاته الأخرى بل تكون موجهه لسائر العلاقات، وإطارا لسائر الروابط الاجتماعيه، و فى طبيعتها رابطة الإنسان بأسرته.

و من القضايا الطبيعیه فى حياه الإنسان، استلهامه من أبيه:الفكره و الخبره، فالأجيال البشريه تتلاحق و يرث كل جيل، أفكار السابقين، و يورثها لللاحقين، و الله سبحانه قد أركز فى الإنسان غريزه التقليد و اتباع الآباء، كما أركز فى الآباء غريزه التعليم لنقل أفكارهم الى أبنائهم بل و إكراههم عليها.

بيد إن هذه الغريزه التى هى من السنن الكونيه يجب أن لا- تترك بعيده عن التوجيه، بل على الإنسان أن يوجهها فى ذاته و يوجهها فى الآخرين، فالابن الذى يطيع والده و يتبعه من دون تفكير لا يكون فقط عاجزا عن ابتداع تجارب جديده، بل يكون أيضا غير صالح لنقل تجربه فالتجربه ينقلها جيل يكتوى بناها، و يعرف قيمتها و يستهلمها بإرادته و حريره، أما الجيل الذى يضطر الى قبول تجربه السابقين

و استلهام أفكارهم فانه لا يمكنه أن يعرف قيمه التجربه،و بالتالى لا يمكنه أن يستفيد من هذه الخبره شيئا كثيرا،إذ يصبح آله عمياء لا يستوعب الحقائق التى تجرى حوله.

من هنا..يركز القرآن الحكيم فى هذه الآيات على مسأله نقل الأفكار من الجيل السابق الى الجيل اللاحق و يحدد فى ذات الوقت طريقه التعامل بين الأجيال.

كثيرا ما يفكر الجيل الناشئ فيجد أن أفكار الأجيال السابقه إنما هى أفكار خاطئه و غير سليمه،و لذلك يتوجه هذا الجيل نحو التغيير و الإصلاح و تطوير الأفكار و الأساليب،فيحدث الصراع بين الأجيال،كل جيل يوجه الحياه الى طرف معين و هذا ليس من مصلحه المجتمع،فالمجتمع الذى يعيش صراع الأجيال ينهار بسرعه و لا تكتسب الأجيال الناشئه فيه تجارب الأجيال السابقه.

و فى هذه الآيه الكريمه نجد القرآن الحكيم يركز على طريقه التعامل بين الأجيال ليقول:حتى لو كان الخلاف حول محور أساسى كعباده الله فينبغى أن يتم عبر أساليب مرنه،لذلك نجد إبراهيم يوجه خطابه لأبيه قائلا:«سَيَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي».

و لكن إذا لم تنفع المرونه ينبغى أن يكون الاعتزال،لأنه هو الحل الأخير، فحينما وجد إبراهيم إن أباه لم يهتد،و إن قضيه التوحيد لا- يمكن أن تخضع لأهواء والده و لضلالات الأجيال السابقه،فانه قرر أن يثور.و لكن كيف كانت ثورته؟ إنه لم يقتل أباه،و لم يتمرد عليه،و إنما اعتزل ما يعبد بعد أن جادله بالحسنى و أعتقد أن هذين الاسلوبين،الأسلوب المرن ثم أسلوب الاعتزال هما أمثل طريقه للتعامل بين الأجيال فى قضايا الصراع و فى حالات التغيير.

هناك ملاحظه تبدو فى هذه الآيات و هى: إن القرآن الحكيم يركز الضوء هنا على مشهد واحد فقط من قصه إبراهيم الخليل (عليه الصلاه و السلام)، و هو مشهد الحوار مع أبيه، بينما ترك سائر المشاهد كمشهد صراعه مع النظام القائم و مع المجتمع الجاهلى، و لعل السبب ان هذه السوره تركز على موضوع علاقته الإنسان بأسرته، و علاقته بالأقربين إليه.

كما إن القرآن الحكيم يبين حقيقه أخرى و هى: إن الإنسان الذى يترك أهله و يعتزلهم لوجه الله، فان الله سبحانه سوف يعوضه بأخرين، أحسن منهم، و القرآن الحكيم يؤكد هذه الفكره فى هذا المشهد من حياه إبراهيم الخليل، حيث يبين بأن الله قد عوضه عن أسرته السابقه بأسره جديده، و جيل جديد، و وهب له إسماعيل و إسحاق و يعقوب و ذريه طيبه منهم، و نجد تكرارا لهذه الفكره فى الدرس القادم.

## بينات من الآيات:

### اشاره

[٤١] وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا كَانَ اِبْرَاهِيمَ قَدُوهُ وَ كَانَ صَدِيقًا، صَدَّقَ بِكُلِّ مَا اَنْزَلَهُ اللهُ، ان بعض الناس يصدّقون و يعملون بما أنزل الله و لكن بشرط أن لا يتعارض و مصالحهم، أو لا يكون صعبا، بينما إبراهيم كان صديقا آمن بكل ما أنزله الله من هدى و برامج برغم كل الضغوط و الصعوبات، و كان نبيا مرسلا من قبل الله.

[٤٢] اِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا اَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَ لَا يُبْصِرُ وَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا لَقَدْ واصل إبراهيم بفطرته و بهدى ربه الى نتيجته و هى: إن عباده الآلهه الحجرية خطأ لأنها لا تبصر و لا تسمع و لا تستطيع أن تفعل شيئا.



فى كثير من الأوقات يصل أبناء البشر الى نقطه محوريه فطريه واضحه و لكنهم بعدئذ يتركون الأمر، و لا يفكرون تفكيراً جدياً فى متابعه ما توصلوا إليه، بل كل إنسان يعيش فى مجتمع فاسد تبرق له بعض الأحيان من هدى ربه بارقه هدى، لو سار وراءها لاهتدى، و لذلك نرى إن هؤلاء الذين يعيشون فى أقاصى الأرض بعيدين عن هدى الرسالات الإلهيه، تبقى لله عليهم حجه تتمثل فى أنهم فى بعض لحظات حياتهم يصلون الى بعض النتائج الأوليه، و يجب أن تكون لديهم الشجاعه الكافيه للاستمرار فى الأخذ بها و البحث عمّا وراءها، أما إذا كانوا جنباء فلله عليهم حجه، لما ذا جنوا و لما ذا لم يهتدوا بنور عقلهم حين أضاء لهم الطريق؟ بعد رحله قفل أبو ذر الغفارى راجعا الى قبيلته، و اتجه الى صنمها يتبرك به كعادتهم حين يعودون من سفر يبدءون بأصنامهم فبرقت فى نفسه بارقه هدى؟! فسأل نفسه: إن الصنم ليس إلا - صخره صماء، فلما ذا أعبد الحجر الأ-صم؟ و ما عساه أن يفعل بى؟ فقرر أن يجربه، ففكر فى خطه بأن يضع أمام الصنم شيئاً من الطعام و الشراب، فإذا أكل و شرب فلا بد أنه على حق و هكذا فعل، فوضع أمامه قدحا من اللبن و جلس عنده ناحيه يراقب، فلم يطعم الصنم شيئاً فقال: ربما يخجل منى، فذهب و اختبأ وراء صخره و أخذ يراقبه، و بعد فتره إذا بثعلبان يأتیان و يشربان اللبن، ثم يتبولان على الصنم و يغادران المكان دون أن يمسهما الصنم بأذى فأنشد أبو ذر يقول:

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

فترك عباده الأصنام.

إن مثل هذا المشهد كان يتكرر عند كثيرين فى التاريخ الجاهلى، و لكن لم يكن أحدهم يمتلك شجاعه أبى ذر، لذلك فإنهم كانوا يسايرون الأوضاع الفاسده، و لا يجدون فى أنفسهم حرجاً من ذلك؟

ص: ٥٥

إن الإنسان قد يفكر تفكيراً حرّاً و على أثر تفكيره هذا يكتشف انحرافاً كبيراً فيهدى بسببه الى كل البرامج الرسالية، فاذا عارضه والداه فى تلك النقطة ستتكشف له سائر النقاط و تصبح هذه النقطة البسيطة بدايه المسيره طويله، هكذا نجد إبراهيم يقول لوالده: «يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً»..

و حينما اكتشف إبراهيم تلك النقطة تشجع و استمر فى محاولات الكشف، فكشفت له نقطه أخرى و هى: إن إتباعه لأبيه خطأ، لأن أباه يعبد صنما لا يسمع و لا يبصر و لا يغنى شيئاً.

إن هذه قفزه جديده لا يصل إليها الإنسان عادة، خصوصاً الإنسان الذى يعيش فى جوّ عائلى مغلق يفرض عليه إتباع والده، لكن إبراهيم وصل الى تلك القفزه بشجاعته و باتباعه لفطرته...

### ولايه الشيطان:

[٤٣] يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ إِن مَقِيَّاسَ الطَّاعَةِ وَ التَّقْلِيدِ هُوَ الْعِلْمُ، فَاذَا كُنْتُ أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَطِيعُنِي وَ لَيْسَ الْعَكْسُ!..

فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا وَ اجه إبراهيم عليه السلام أباه بهذه الشجاعه، حيث طلب منه أن يتبعه لأنه يمتلك العلم، و هذه إشاره بأن الاعتبار الأول فى القيادة العلم، و ليس شرطاً عمر القائد أو منزلته.

[٤٤] يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا

عرض إبراهيم على أبيه فى البدايه أن لا يعبد الأصنام التى لا تسمع و لا تبصر، و هنا يقول له: لا تعبد الشيطان، فالشيطان هنا هو الذى يتجسد لهم على صورته صنم، أو على شكل و وساوس نفسه فيزين لهم عبادة غير الله، و ما دام الشيطان عصيا لله، فهو- بطبيعته الحال- لا يهذى الى سبيل الرشاد، بل يقود الناس على ما هو عليه من العصيان.

لما ذا وضع الله كلمه (الرحمن) فى مقابل الشيطان، و لم يضع مثلا «الرب»؟ ربما لكى يوضح حقيقته هامه، و هى إن الشيطان هو حاله ضد الرحمه و نقيض لها.

و عموما فليس المقصود من عبادتهم الشيطان مجرد عباده الصنم الذى لا- يضر و لا- ينفع، بل المقصود أيضا عباده الشيطان المتمثل فى الطواغيت أو سدنه الأصنام الذين ينتفعون مباشرة من عباده هؤلاء.

[٤٥] يَا أَيَّتُهَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَانْه سَيَجِدُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالْهُدَى قَدْ تَبَخَّرَا و لم يبق معه سوى الشر و الضلاله، إذ لا يمكن أن يجتمع عند الإنسان الخير و الشر معا و لا بد أن يذهب أحدهما و إذا تمادى البشر فى عباده الشيطان فان الله يسلب منه ضوء العقل فيصبح وليا للشيطان الى الأبد، و هذا عذاب عظيم يمس الذين يتبعون الشيطان.

و لعل الآيه تنفى- بصوره إيحائية- فكره ضاله يبثها الشيطان فى روع تابعيه خلاصتها: إن الله يبغضه و إنما الشيطان يحميه من غضب الرب.. و يسفه السياق هذا الزعم.

أولا: بأن الله هو الرحمن. و لا يبغض أحدا لذاته بل بسبب فعالة القبيحه.

و ثانيا: إن إتياع الشيطان عذاب و شر مستطير و ليس فيه أيه فائده.

هذا هو حوار إبراهيم الذي يتميز بعده سمات:

أولا: إنه حوار هادئ.

ثانيا: إنه يتدرج و يتصاعد شيئا فشيئا، ففي البدايه يقول لم؟ ثم يقول لا تعبد، ثم يقول اتبعني، ثم يقول: إنه يخشى أن تكون وليا للشيطان.

في الواقع إن عم إبراهيم الذي يخاطبه إبراهيم عليه السلام بالأب لأنه كان يعيش في بيته كان فعلا وليا للشيطان، بيد إن إبراهيم لم يجابهه بالحقيقه مره واحده، و لكن لتنظر الى الآخر ما ذا يقول في حوارہ...

### الإرهاب في المحيط العائلي:

[٤٦] قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَيْنَ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَقُلْ أُرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ الْحَقِّ يَا إِبْرَاهِيمَ، لَأَنْ الْحَقُّ وَ الْبَاطِلُ لَمْ يَكُنْ مَحْوَرًا لِعَمَلِ «أَزْر» عَمَّ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّمَا قَالَ عَنِ آلِهَتِي لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَفْرُضَ سَيَطْرَتَهُ وَ هَيْمَنَتَهُ.

لِئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِمَا رَجُمْنَاكَ هَذَا هُوَ الْإِرْهَابُ الْعَائِلِيُّ يَقُولُ: لِأَنَّ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمْنَاكَ، وَ أَرْجُمْنَاكَ أَمَا بِمَعْنَى أَنْ أَقْذِفَكَ بِالْحِجَارِ كَمَا يَرْجُمُ مَرْتَكِبُوا الْكِبَائِرَ، وَ هُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الْأَعْدَامِ، وَ أَمَا بِمَعْنَى أَنِّي لِأَرْجُمْنَاكَ بِالضَّلَالَةِ فَأَقُولُ إِنَّكَ مَارِقٌ، أَوْ أَتَهْمَكَ بِتَهْمَةٍ كَبِيرَةٍ أَمَامَ الْمَجْتَمَعِ. وَ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي لِلرَّجْمِ وَ لَيْسَ الْأَعْدَامُ.

وَ أَهْجُرْنِي مَلِيًّا

ص: ٥٨

فى البداهه هدده بالرجم و التشهير، ثم أمره بأن يهجره، أى يخرج من بيته نهائيا و هذه عمله نراها اليوم عاده بين الآباء، حيث يقوم الواحد منهم بطرد ولده إذا وجد لديه عملا ثورياً أو أنه ينتمى الى حركة إسلاميه أو يقوم بنشاطات سياسيه...

## مواجهه الإرهاب:

[٤٧] عند ما رأى إبراهيم إن الأمر قد وصل الى هذا الحد، و إنه إذا هجر أسرته فانه سوف تتكرس فيهم ضلالتهم، لذلك:

قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ لَعَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَ تَكْتِيكَآ آخَرَ بَعْدَ أَنْ وَصَلَتْ مُوَاظِهَتُهُ الصَّرِيحَةَ مَعَ أَبِيهِ إِلَى طَرِيقِ مَسْدُودٍ، وَ هُوَ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ وَسَائِلِ خَيْرٍ يُمْكِنُ أَنْ يَقْنَعُوا الْأَبَّ بِدَعْوَتِهِ الْحَقَّةِ، وَ هَذِهِ الْفِكْرَةُ الَّتِي نَسْتَوْحِيهَا مِنَ الْآيَةِ تَفِيدُنَا كَثِيرًا فِي حَيَاتِنَا الْعَمَلِيَّةِ، إِذْ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الشَّبَابِ الَّذِينَ تَتَفَتَّحُ بِصَائِرِهِمْ عَلَى الْهَدَايَةِ وَ الْإِيمَانِ يَرِيدُونَ أَنْ يَنْقَلُوا تِلْكَ الْهَدَايَةَ إِلَى آبَائِهِمْ أَوْ أَعْمَامِهِمْ أَوْ إِخْوَانِهِمْ الْكِبَارِ، وَ لَكِنَّهُمْ غَالِبًا مَا يَصْطَدِمُونَ بِالْحَوَاجِزِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ تَقْبُلِ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ هُمْ أَصْغَرُ مِنْهُمْ سِنًّا وَ تَجْرِبَةً، فَلَا يَكُونُ أَمَامَ الْأَوْلَادِ إِلَّا أَنْ يَلْجَأُوا إِلَى الطَّرِيقِ غَيْرِ الْمُبَاشَرَةِ فَيَبْحَثُونَ عَنِ أَصْدِقَاءٍ أَوْ مَعَارِفٍ لِآبَائِهِمْ يَشْتَرِطُ فِيهِمْ كِبَرَ السِّنِّ وَ الْوَعْيَ الثَّوْرِيَّ، لِيَقُومُوا بِدَوْرِ الْوَسِيْطِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

سَأَسْأَلُكَ تَغْفِيرًا لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ سَأَطْلُبُ لَكَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ يَحْبِنِي وَ يَبْرِّ إِلَيَّ، وَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي اسْتِغْفَارِهِ يَرِيدُ هَدَايَةَ أَبِيهِ، كَمَا جَاءَ فِي آيَةِ أُخْرَى، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ إِنْ أَبَاهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يَهْتَدِيَ وَ أَنَّهُ مَصْرٌّ عَلَى الضَّلَالِ تَرَكَهُ وَ شَأْنَهُ.

[٤٨] وَ أَعْتَرَلِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ وَ أَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا يَقول إبراهيم لأبيه أنت تريد أن تطردني من البيت، و تقول لي و اهجرني مليًا، حسنا-فأنا بدوري سوف أعتز لكم و أترككم، و لكن حين أترككم، فأن عندى ملجأ آخر ألتجأ إليه و هو الذى يبعد عنى الشقاء حينما أدعوه و ألتجأ إليه، بلى إنه الله ربى.

### الأسره الفاضله:

[٤٩] فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ لقد أصبح إبراهيم مؤسساً لحضاره، و لخط فكرى، فوهب له الله من رحمته إسحاق و يعقوب.

وَ كَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا إِنْ اللّهِ وَ هب لإبراهيم إسحاق و إسماعيل أخوين، و لكن القرآن يقول و هبنا له إسحاق و يعقوب ليين استمراريه الخط الرسالى.

[٥٠] وَ هَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا لقد أصبح هؤلاء مضرب الأمثال فى العالم، فحينما يريد الناس أن يضربوا مثلاً لأسره فاضله، فأنهم يضربون إبراهيم و أبناءه مثلاً لذلك، و لا يزال هذا الأمر منذ أكثر من خمسه آلاف سنه و إلى هذا اليوم، فهناك أكثر من ألفى مليون إنسان فى العالم يكرمون إبراهيم عليه السلام عبر التاريخ، و هذا بعض معانى لسان صدق علينا أى ان

الناس يلهجون بذكرهم، و صحيحا ما يلهجون و صادقاً ما يقولون.

و هكذا نجد إبراهيم عليه السلام ترك والده و قومه و هجرهم و لكن بعد أن أتمّ الحجه عليهم، و حاول بكل جهده هدايتهم، و حين تركهم عوّضه الله بأفضل منهم، و جعلهم قدوه صالحه للآخرين.

إذن فعلاقتنا بآبائنا و بمن حولنا يجب أن تكون علاقه رساليه يوجهها التوحيد و الايمان بالله تعالى.

و فكره أخيره: إن المجتمعات الثوريه الرساليه هي المجتمعات التي لا تخضع للإرهاب، و لكن كيف يمكن للإنسان أن يتحرر من الإرهاب و كيف يقاومه؟ إن ذلك يكون عن طريق بناء أسرته على أساس الحريه، لأنّ الفرد الذي يخضع في بيته للإرهاب والده، لا يمكنه أن يقاوم إرهاب النظام، فإنّ النظام صورته للإرهاب الأسره، و إذا تحرر الإنسان من إرهاب الأسره و استطاع أن ينقذ نفسه من ذلك المجتمع الضيق الخناق، فانه يستطيع غدا أن يقاوم إرهاب السلطات الجائره، و أمّا الذي يخضع لوالده كلياً خشيه بطشه اليوم فكيف لا يخضع للنظام الفاسد غدا؟! إن الأسره هي الأم الحقيقيه للمجتمع لذلك فأن قصه إبراهيم مع والده تبين لنا: إن الخطوه الأولى في تحرير المجتمع هي تحرير الأسره من الإرهاب و الضغط الفكرى..

ص: ٦١

اشاره

وَ اذْڪُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسٰى اِنَّهٗ كَانَ مُخْلِصًا وَّ كَانَ رَسُوْلًا نَبِيًّا (٥١) وَ نَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْاَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا اٰخَاهُ هَارُوْنَ نَبِيًّا (٥٣) وَ اذْڪُرْ فِى الْكِتَابِ اِسْمٰعِيْلَ اِنَّهٗ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَّ كَانَ رَسُوْلًا نَبِيًّا (٥٤) وَ كَانَ يَأْمُرُ اَهْلَهٗ بِالصَّلٰةِ وَ الزَّكٰوةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهٖ مَرْضِيًّا (٥٥) وَ اذْڪُرْ فِى الْكِتَابِ اِدْرِيسَ اِنَّهٗ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَةِ اٰدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ اِبْرٰهِيْمَ وَ اِسْرٰئِيْلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا اِذَا تَتَلٰٓى عَلَيْهِمْ اٰيٰتِ الرَّحْمٰنِ خَرُّوْا سُجَّدًا وَ بُكِيًّا (٥٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُوْا الصَّلٰةَ وَ اتَّبَعُوْا الشَّهْوٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (٥٩)

اللغه

٥٩[غيا]:جزاء الضلال.

ص:٦٢



لكى تكون علاقات الإنسان إيمانيه سليمه مع أسرته، و بالذات مع والده و أبنائه و أخواته فانه يحتاج إلى أن يقتدى بأولياء صالحين يتخذ من حياتهم أسوه لتصرفاته.

و فى سوره مريم يذكرنا القرآن الحكيم ببعض تلك القدوات الصالحه، كما يضرب لنا مثلا من أمثله السوء الذين عكسوا الآيه، و كانت علاقاتهم سيئه بالنسبه الى أسرهم.

فمن جهة نرى موسى عليه السلام يتخذ من أخيه هارون مساعدا له فى تبليغ رسالته، و تربطه مع أخيه علاقه رساليه هدفها تبليغ الرساله الالهيه، و ذلك لأنه كان ملخصا قد أخلص نفسه لله، و انصهر فى بوتقه الايمان فانزاحت عنه سلبات البشر، لذلك فهو لم يفكر أن يتخذ من أخيه وسيله للفخر و الغرور أو أن تكون علاقته بأخيه مصلحيه شخصيه، بل إنه استفاد من هذه العلاقه من أجل الرساله.

و نرى إسماعيل الذى كان صادق الوعد مع الآخرين، تربطه بأهله علاقه فريده، حيث انه كان يأمر أهله بالصلاه و الزكاه، و لذلك فقد كان مرضيًا عند الله سبحانه.

إن هؤلاء زكريا و ابنه يحيى، و مريم و ابنها عيسى، و كذلك موسى و أخاه هارون، و إسماعيل و أهل بيته إبراهيم و أبناءه، يجب أن يصبحوا قدوات لنا.

من جهة أخرى نرى فى الطرف الآخر ذريتهم الذين كان ينبغى أن يكونوا لا أقلًا مثلهم أو فى مستواهم، قد ضيعوا الصلاه، و تركوا عباده الله، و اتبعوا شهواتهم.

## بينات من الآيات:

### موسى النبي المخلص:

[٥١] وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ذَكَرَ مُوسَى، وَ ذَكَرَ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ، إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَّخِذُوا قُدْوَةً وَ أُسْوَةً.

إن من المستحبات الأساسية، بل أحيانًا من الواجبات، الصلاه على محمد و آل محمد لأننا حينما نذكر رسول الله صلى الله عليه و آله فاننا نتذكر صفاته و سلوكه، و بالتالى نبحث فى حياتنا عمًا يوافق حياه الرسول و نهتدى بهداه، و هكذا يستحب ذكر النبيين و السلام عليهم بين الحين و الآخر لتوثيق الصله الروحيه بهم، و ذلك بهدف إتباع نهجهم الصائب و القرآن الحكيم يؤكد هذه الفكره هنا فيقول: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى، وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ، وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ.. إلخ لكى نشعر بأننا لسنا وحيدين فى رحله الايمان الطويله، فحينما نتحرك و معنا إبراهيم و عيسى و يحيى و موسى و إسماعيل فاننا سوف نستلهم منهم

الاستقامه و الصمود كلما ضعفنا أو أصابنا الوهن.

□ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا لَقَدْ كَانَتْ عَلاَقَهُ مُوسَى بِاللَّهِ خَالِصَهُ، وَإِذَا كَانَتْ عَلاَقَتُكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ كَذَلِكَ، فَأَنْ لَكَ عَلاَقَهُ أَيْضًا مَعَ مُوسَى، إِذْ أَنَّهُ سَيَصْبِحُ أَحَا لَكَ فِي الْإِيمَانِ. وَقَدُوهُ صَالِحُهُ.

□ وَكَانَ رَسُولًا- نَبِيًّا فَمُوسَى هُوَ أَخُوكَ فِي الْإِيمَانِ وَأَبُوكَ بِالِاقْتِدَاءِ، مِنْ جِهَةٍ هُوَ أَخُوكَ لِأَنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي عَلاَقَتِهِ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى هُوَ بِمَنْزِلِهِ أَبِيكَ لِأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا إِلَيْكَ.

[٥٢] □ □ نَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَشْعُرُ بِالِاطْمِئْنَانِ حِينَمَا يَرَى إِنْ وَاحِدًا مِنْ بَنِي جَنْسِهِ قَدْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِهَذَا الْمَسْتَوَى، حَيْثُ نَادَاهُ اللَّهُ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ بِصُورِهِ مُبَاشِرَةً مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ الطُّورِ هُوَ الْجَبَلِ.

□ □ وَ قَرَّبْتَاهُ نَجِيًّا لَوْ أَنَّ أَحَدًا كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ مِنْكَ وَ هُوَ يَحْدِثُكَ فَأَنْ ذَلِكَ لَا- يَعْتَبِرُ نَجْوَى، بَيْنَمَا حِينَ يَقْتَرِبُ مِنْكَ وَ يَكَلِّمُكَ حِينَذَاكَ يَصْبِحُ حَدِيثُهُ نَجْوَى. لَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ مُوسَى وَ تَنَاجَى مَعَهُ، فَأَيُّ مَسْتَوَى هَذَا الَّذِي يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ حِينَمَا يَتَكَلَّمُ اللَّهُ مَعَهُ وَ يَنَاجِيهِ؟! إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْبِحَ اللَّهُ، وَ لَكِنْ يُمْكِنُهُ أَنْ يَصْبِحَ قَرِيبًا مِنَ اللَّهِ، وَ هَذَا هُوَ أَفْضَلُ كِرَامَةٍ لَهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِ اللَّهِ.

ص: ٦٥

[٥٣] وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ان من النعم العظيمة التي تفضل الله بها على موسى أنه استجاب لدعائه فجعل أخاه هارون نبيا معه ليؤازره في مهمته العظيمة.

### إسماعيل صادق الوعد:

[٥٤] وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

لقد جاء في الحديث الشريف ان إسماعيل هو إسماعيل بن حزقيل و ليس إسماعيل بن إبراهيم الخليل، و انه قد تواعد مع شخص خلف جبل، فنسى الرجل مواعده و لكن إسماعيل ظلّ ينتظره في مكانه عاما كاملا. و حدث ان مر الشخص صدفه في نفس المكان فوجد إسماعيل ينتظره، فلذلك سمي بصادق الوعد.

### ثلاث قواعد في التريه:

[٥٥] وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا لقد كان يستفيد من علاقه الأبوه التي تربطه بأبنائه من أجل الله لكي يأمرهم بالاتصال الدائم معه عن طريق الصلاة و الزكاه.

في هذه القطعه من الآيه ثلاث ابحاث:

الإيحاء الاول: ان من أهم أركان التريه العائليه هي تربيه الأبناء على الصلاة، لأنها أساس سائر الأعمال الصالحه، و هي تقرب الإنسان الى الله.

ليس من المهم أن تلقن طفلك كل صغيره و كبيره من الواجبات و الاخلاقيات، بل الأهم من ذلك هو أن تربطه بالله برابطه الايمان، و ذلك عن طريق الصلاة، فاذا

أصبح الولد مؤمنا صادقاً في طفولته، فإنه سوف يبحث عن الواجبات بل المندوبه عند ما يكبر، أما إذا كان إيمانه غير ثابت من الأساس، فلن ينفعه علمه بكل تعاليم الدين.

ان الصلاة عمليه منتظمه و القيام بها خمس مرات فى اليوم شىء صعب، لذلك فان الإنسان يحتاج الى ان يتعود عليها من الصغر، و إذ ذاك تصبح جزءاً من حياته، و ضروره لا يستغنى عنها.

الإيحاء الثانى: الزكاه قد تكون بمعنى الفريضة الخاصه التى تتعلق بالغلات الأربع و الانعام الثلاث و النقدين، و قد تعنى مطلق العطاء و الإنفاق، و هى بنوعيتها تربي الأبناء على الخروج من الذات الى الاهتمام بالآخرين.

الإيحاء الثالث: اننا نجد فى سوره مريم تكرار معنى: الرضا و ما يخالفه من التجبر و الشقاء، و هذا التكرار يعود لسببين:

الاول: أن الإنسان يجب ان يربى طفله على أن يكون متكامل الشخصيه، حتى يكون مرضياً، يرضى الناس عنه فى سلوكياته و تصرفاته، و بتعبير علمى يجب تنميه حسّ التوافق الاجتماعى عند الطفل تنميه سليمه، لكى لا يصبح غير مبال بالآخرين، بل يفكر فيهم و يرضيهم.

الثانى: ان طبيعه الإنسان ان يكون مقبولاً فى المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه، و من واجب الوالدين ان يربيا أولادهما بحيث تكون هذه الصفه الطبيعيه فيهم متجهه الى الله، أى فى حدود تقوى الله و مناهج رسالته.

### إدريس الصديق:

[٥٦] وَ اذْكَرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا

اما إدريس فان القرآن يذكرنا بصفه من صفاته التي يجب أن تتوفر عند الإنسان و هي كونه صديقا.و الصديق صيغه مبالغه من صفه الصادق و هو الذي يصدق في المواقف الصعبه،و يكون الصدق صبغه لحياته كلها.

يمكن ملاحظه ان ذكر الأنبياء في عدة آيات يكون مسبوقا بصفات مختلفه،فترى مثلا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ، إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا .مما يوحي إلينا فيما يبدو:ان من أسباب نبوه هؤلاء هي تلك الصفات الفاضله التي تحلوا بها.

فمن دواعى نبوه أحدهم رسالته،فحينما يبدأ شخص بحمل رساله الله بفطرته، فان الله يختاره نبيا،لقد كان إبراهيم منذ طفولته يحاور والده و يتكلم معه حول عباده الأصنام، و كثير من الأنبياء كانوا يحملون الرساله قبل النبوه،و ذلك لان الرساله موجوده فى وجدانهم،فإذا حملها الإنسان و رأى الله منه الصدق فانه يرزقه النبوه.و أميا لما ذا سبقت كلمه(الرسول)كلمه(النبي)فى الآيه(رسولا نبيا) للاشاره الى ان وسام الرساله اقدس من وسام النبوه و أعلى درجه.

و بالنسبه لإسماعيل ربما كان صدقه لوعده هو السبب الذى أهله لحمل الرساله، كما أن صفه الصدق هي التي أهلت إدريس لحمل رساله الله،حيث ان الله يختار رسله من الصادقين العاملين،و لا يختار من لا تتوفر فيهم هذه الصفات فيقول ربنا:

□  
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ .

[٥٧] وَ رَفَعْنَا<sup>□</sup>هُ مَكَانًا عَلِيًّا إِذَا أَرَدتَ الْعُلُو،فكن صديقا مثل إدريس،لان الصادق يحبه الناس و يرفعونه، فيرتفع بين جماعته الى منزله عاليه.

[٥٨] أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا هَؤُلَاءِ هُمُ الذَّرِيَّةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُكَيَّفَ أُسْرَتُكَ وَفِي هِدَايَاها. و لعل تأكيد القرآن الحكيم على كلمة الذرية هنا يشير الى هذه الفكرة.

إِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ان الصفة الهامة التي وجدت في هؤلاء بعد هداية الله و اجتبائه لهم هي علاقتهم بالله و قربهم الروحي منه، و هذا أعلى و سام يحمله الإنسان المؤمن الصادق.

ان المؤمنين حينما تتلى عليهم آيات الرحمان و ما فيها من أوامر و نواهي و برامج و اخلاقيات، فإنهم يسجدون دلالة على تقبلهم، و علامه على استعدادهم لتطبيقها.

ان السجود هو إظهار الخشوع خارجيا، اما البكاء فهو إظهار الخشوع نفسيا، لان نفسه الإنسان تتفاعل مع الموعظة فتجربى دموعه، و هؤلاء قد خشعوا بهياتهم و كذلك بنفوسهم فخرؤا سجدا و بكيا.

[٥٩] فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا وَ هَؤُلَاءِ هُمُ النَّمُودَجُ الْآخِرُ وَ هُمُ الْأَمْثَلَةُ السَّيِّئَةُ، فقد أضاعوا الركن الاساسى للدين مما سبب فساد حياتهم، و الركن الأساسى هو الصلاة.

و القرآن لم يقل تركوا الصلاة، بل أضاعوا الصلاة، و هذا يشمل بالاضافة الى معنى ترك الصلاة معنى آخر و هو تحويل الصلاة الى هيئه فارغه لا محتوى فيها،

فالصلاه الحقيقيه هى صلاه المؤمنين الذين يقول عنهم ربنا سبحانه: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وهؤلاء الذين أضعوا الصلاه و اتبعوا أهواءهم و شهواتهم فإنهم سوف يسرون فى طريق الغوايه و الضلاله بدل الهدى..

ص: ٧٠



اشاره

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ  
كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسِيحُ فِيهَا لُغُؤٌ إِلَّا سَيْلًا مَاءً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ  
كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمِمَّا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا  
يَذُكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)

### هدى من الآيات:

الاسره الفاضله فى الدنيا هى الاسره التى تصنع فى بيتها جنه معنويه تشبه الى حدّ بعيد جنّات عدن فى الآخرة. و من عاش فى الجنان فى الدنيا فحرىّ به ان يعيشها فى الآخرة، فجنه الآخرة توفر للإنسان الراحة الروحيه و الرفاه الجسدى، و كذلك الاسره الفاضله فى الدنيا، أما الراحة المعنويه فهى السلام، البعيد عن اللغو، و الذى هو قمه تطلع الإنسان فى الحياه، فحين لا يوجد ألم و لا مرض و لا خوف و لا حزن و لا عقد نفسيه و لا حسد، و ما الى ذلك مما تنغص حياه الإنسان، فأنشد يعيش الإنسان فى جوّ من السلام يشمل العافيه بكل أبعادها و النجاه من الأخطار جميعها.

و يوم القيامه يدخل ربنا سبحانه المتقين جنه السلام الخالده، لان المتقين قد ابتعدوا عن كل ما يسبب لهم انحرافا أو فسادا فى الدنيا، فالآخرة حصيله الدنيا و انعكاس لها، و حسب ما يفيدنا القرآن الحكيم: ان الآخرة هى إرث الدنيا، فما تعمل فى الدنيا ترثه فى الآخرة.

ان الصفات السيئه لها جزء فى الدنيا و جزء فى الآخره، فنار الحسد تأكل الإنسان فى الدنيا مره، و فى الآخره مره، و ثعبان الحقد يلدغ الإنسان فى الدنيا بطريقه، و يلدغه فى الآخره بطريقه اخرى، و فى الآخره يرى الإنسان الحقد فى صورته ثعبان عظيم أو عقربه ضخمة تلدغه، أما فى الدنيا فان ذات الحقد يلدغ قلب الإنسان، و لكن دون أن يتجسد فى ثعبان ظاهر، و لا فرق بين أن يلدغ جسمه هناك أو يلدغ قلبه هنا. و هكذا سائر الصفات « وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ».

و هكذا نعلم بأن جهنم الآخره انعكاس لجهنم الدنيا و لا أقول: ان جهنم هناك رمز لجهنم هنا كلاً.. لان عذاب جهنم فى الآخره أشدّ ألماً و أشدّ ظهوراً و هى حصيله هذه و حصاده، من هنا تأتى آيات القرآن تعبر لنا عن الإرث، فما هو الإرث،؟ أليس يعنى: أن تعمل ثم يأتى الآخرون ليأخذوا نتيجة عملك بعد ما تموت، و قد لا يأتى إنسان آخر ليأخذ ارثك و انما تكون أنت نفسك بعد موتك تأخذ ما كسبت، و هذا نوع آخر من أنواع الإرث « وَ نَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَ يَاْتِينَا فَرْدًا ».

هناك شبهه عميقه الجذور فى فكر الإنسان، تقول بأنه كيف يمكن للإنسان ان يبعث من بعد الموت؟ ان مصدر هذه الغرابه جهل الإنسان ببدايه خلقه، فلو عرف الإنسان كيف خلقه الله و ما ذا كان قبل ذلك، و لو تذكر الإنسان أنه كان نطفه فى صلب أبيه أو مضغه فى رحم أمه أو طفلاً وليدا لا يتجاوز وزنه (٣) كيلو غراماً، لو تذكر كل ذلك آتئذ يتحسس بأن الذى خلقه و ربّاه قادر على أن يحيله الى تراب ثم يخلقه مره اخرى.

ان تذكر هذه الحقيقه بصوره مستمره يرفع عن الإنسان حجاب الغفله عن

الآخره.

ان شبهات الجهل فى قلب الإنسان تشبه (الفطر) الذى يتكاثر باستمرار، هذه هى طبيعه الشبهه الناتجه عن الضعف البشرى، أنت تجوع و تشبع، ثم تجوع فتشبع..

و هكذا تحتاج أبدا الى الطعام حتى تمنع عن نفسك الجوع، لماذا؟ لان الجوع من طبيعتك، كذلك الشبهات فى قلب الإنسان..هى من طبيعته، إذ طبيعه الإنسان الجهل و الغفله و النسيان.فاذا قرأت كتابا ثم لم تعد قراءته، أو سمعت خطابا ثم لم نستمع اليه مره أخرى، فانك بمرور الزمان تنسى ما قرأت و ما سمعت، لان الجهل و الغفله من طبيعتك، كذلك الشبهات من طبيعه الإنسان، لذلك على الإنسان ان لا يكتفى بدفع الشبهات عن نفسه مره واحده، لأنه إذا رفعها عادت و نمت نفس الشبهه.

إذا يحتاج الفرد الى مبضع يقوم بواسطته بعملية جراحيه مستمره لقلع الخلايا السرطانيه الفاسده التى تتكاثر فى قلبه، و ذلك عن طريق التذكر المستمر.

و هكذا يوجهنا القرآن الحكيم فى مجال الحديث عن البعث الى ان نتذكر أبدا، كيف كنا؟ و كيف خلقنا؟ و كما كنا و خلقنا و ترعرعنا، كذلك يعيدنا الله سبحانه مره أخرى.

**بينات من الآيات:**

**وعد الرحمن:**

[٦٠] إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا يبين القرآن فى هذا السياق ثلاث مراحل مرّ بها المجتمع:

ص: ٧٤

مرحلة الرواد والقاده وهم (الأنبياء) ومرحلة الانحراف بعدهم الذى قال عنه ربنا فى آيه أخرى: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ، و من رحم هذا الجيل جاءت طائفه مثلت المرحله الثالثه حيث أنهم تحدوا سلبيات هذا الجيل الفاسد و تابوا و أصلحوا، فهىء الرب لهم الجنات.

[٦١] جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ان الجنات لا ترى بالشهود، بل بالغيب و قد قلت فى حديث مضى: ان الطالب الذى يجسد امام ناظريه قاعه الامتحان، و التاجر الذى يتصور يوم خسارته، و الجندى الذى يتخيل فى ذهنه ساحه المعركه، ان هؤلاء أنفع من غيرهم، و هكذا الحياه كلها و القرآن الحكيم يقول: وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ فالرحمن برحمته الواسعه يريد أن يرحم عباده الذين خلقهم فجعل لهم جنه كبيره مليئه بالطيبات و النعم، و لكن بشرط أن يؤمنوا بها بالغيب.

إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ما دام ذلك الوعد هو وعد الله فهو لا ريب آت.

[٦٢] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا اللغو هو الانحراف مثل السب و الفحش، و الجدل، و كل ما يعكس حاله العداء بين الناس، و يقابله السلام ذلك النور الذى يضىء الجنه و إن أول و أهم تجليات السلام هو سلام القلب حيث يعيش الجميع فى ظل رب السلام يشربون من كأس السلام، و يسرحون فى وادى السلام، و يسمون الى أفق السلام، و لا يبقى غل فى قلوبهم، و لا طمع و لا حسد، و إذا التقى بهم خزنه الجنه حيّوهم بالسلام:

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤/ق)

و رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ يَحْيِيهِمْ بِالسَّلَامِ:

سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٧/١يس) و سلام القلب يعكس سلامه الأعضاء و العافيه من جميع الأخطار الحاليه و المستقبلية.

و لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا يظهر من هذه الآيه و من النصوص ان أفضل وجبات الرزق ما كان أول النهار و آخره (١).

و لعله فى الجنة يتبدل الوقت الى ما يشبه الليل و النهار بازدياد النور و نقصه و نتسائل: أ ليست الجنة تفيض أبدا بالنعيم، فلما ذا إذا الرزق بكره و عشيا. و الجواب:

ان المؤمن يزداد رزقا كل يوم و يسير نحو التكامل هناك أبدا.

فقد جاء فى حديث نبوى شريف و نعطيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلاه التى كانوا يصلون فيها فى الدنيا (٢).

[٦٣] تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا الجنة ميراث العباد الذين قاموا باكتسابها فى الدنيا عن طريق التقوى.

[٦٤] وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَا تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ، كما

جاء فى

ص: ٧٦

---

١-١) راجع تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٥١

٢-٢) روح المعاني ج ١٦ ص ١٠٣

الحديث: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرئيل:

ما منعك ان تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت الآية: وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ، وهذه الآية توحى بأن الوعد الذى وعد الله سبحانه و تعالى عباده بالغيب انما هو وعد أكيد اثبتته القرآن، لا ينزل الا بأمر الله سبحانه.

لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ان الله تعالى هو الذى وعد و ليس (الملائكة) التى وعدت، و انما الملائكة رسل لله تأتى بالوعد الى البشر و من ثم فان الله لا ينسى وعده.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا الله سبحانه و تعالى وعدكم و هو يعلم وعده و سيفى لكم به، و لو كان ربنا سبحانه ينسى، إذا لاختل نظام الكون، و لما استطاع ان يلجئ نداء الكائنات، و لما استطاع ان يحفظ جزاء المحسنين، أو يميز المحسن من المسىء حين لقائه.

### الايمان بالله و بالبعث:

[٦٥] رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَ اضْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ان طاعه الله و عبادته و الاستقامه عليها بحاجه الى صبر عظيم (و اضطبر لعبادته) لان عباده الله تعنى التحرر من كل القيود، و الارتفاع فوق كل السفاسف، و الصبر أمام كل الضغوط، لذلك فان القرآن الحكيم يقول (و اضطبر) اى حمّل نفسك الصبر حتى تستطيع أن تعبد ربك...

هَلْ تَعَلَّمْ لَهُ سَمِيًّا لَعَلَّ أَحَدَ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَةِ هَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ يَدْعَى وَ لَوْ مَجْرَدَ ادْعَاءٍ بِأَنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَ رَبُّ هَذِهِ الْآفَاقِ الْبَعِيدَةِ اللَّامِتْنَاهِيَةِ؟!

كلا، ليس هناك أحد يدعى الالهيه بهذا المعنى، اما هؤلاء الطواغيت الذين يدعون الالهيه صراحه أو ضمنا، فان أقصى ما تصل اليه ادعاءاتهم هو أن يقولوا:

نحن نمتلك جنودا نسيطر عليهم، أو اننا نسيطر على قطعه ارض.

[٦٦] هذا عن الايمان بالله سبحانه و تعالى، و هناك بعد آخر من الايمان هو الايمان باليوم الآخر، و إذا ما آمن الإنسان بهذين البعدين (مبدأه و معاده) فانه يصبح إنسانا متكاملًا، لذلك يركز القرآن الحكيم دائما عليها.

وَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَ إِذَا مَاتَ مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَتُصَوَّرُ أَنَّ الْقُرْآنَ حِينَما يَسْتَعْمِدُ كَلِمَةَ (الْإِنْسَانِ) دُونَ كَلِمَةِ النَّاسِ أَوْ الْبَشَرِ وَ مَا أَشْبَهَ فَانْ ذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى طَبِيعَتِهِ، فَهُنَاكَ غَرِيْزَةٌ ارْكُزَتْ فِي خَلْقِهِ الْبَشَرِ وَ هِيَ:

ان هذا الإنسان كثيرا ما يتساءل إذا ما مت لسوف اخرج حيا؟! هل الموت نهايه أم بدايه، أم مرحله بين هذه و تلك؟! [٦٧] أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا عَلَى الْإِنْسَانِ ان يفكر.. ما ذا كنت قبل أن أخلق، ان الذى خلقنى و أوجدنى يستطيع أن يعيدنى، و هذا الكلام ليس كلاما يمكن ان يقنعك بمجرد طرحه عليك، انما هذا يوافق الوجدان، فاذا عدت الى وجدانك و تذكرت أحوالك الماضيه، و تخيلت العدم الذى كنت فيه، و كيف جئت بعد ذلك الى الوجود، آتئذ تفهم قدره الله



سبحانه و تعالیٰ، و تحیط ببعض أسمائه الحسنیٰ، و كذلك تعرف نفسك، و تعرف انك مخلوق، و انك مقدر، و ان الله هو الذى يدبر حياتك و بذلك تستطيع ان تؤمن بالآخره.

ص: ٧٩

اشاره

فَو رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩)  
ثُمَّ لَنُنَجِّيَنَّ أَغْلَمَ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا- وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ  
نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (٧٢) وَإِذَا تَتَلَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا  
(٧٣) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًّا (٧٤) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مِدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا  
يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَ أَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥)

اللغه

٦٨[جثيا]:الجثي جمع جاثي و هو الذي برك على ركبتيه.

٦٩[عتيا]:العتى مصدر كالتعو و هو التمرد و العصيان.

٧٣[نديا]:الندى و النادى المجلس الذى قد اجتمع أهله.

٧٤[رئيا]:الرئى ما يراه الرجل من ظاهر أحوال القوم.



## إشارة

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا

## هدى من الآيات:

الآخره صوره مصغره عن الدنيا من أعمال و تصورات و أفكار،و القرآن الحكيم حين يعرض لنا مشاهد الآخره فإنه يشير إلى تلك الحقائق التى صنعت هذه المشاهد لكي يقرب فهم الإنسان من واقع عمله فى الدنيا،و كيف يتحول الى شىء حى فى الآخره.

و القرآن الحكيم فى هذا المشهد الرهيب يبين لنا: كيف ان العلاقات التى كانت فى الدنيا تتطوّر و تتغير لتتجسد فى الآخره،فتصبح هنالك شيئاً آخر و بالتالى تحدد طريق الإنسان اما الى الجنة أو الى النار.

إن الرجل الذى تتبعه و تطيعه فى الدنيا سوف يكون إمامك اما الى الجنة أو الى النار،و يركز القرآن فى هذه الآيات حول أولئك الذين يهدون الناس الى النار، إذ لا بد أن نتفكر جيّداً لكي لا نربط مصيرنا بالبعض بصوره عفويه،و من دون تفكير.

ثم يحدد القرآن لنا جانبا من واقع الآخرة، وارتباط الدنيا بذلك الواقع وهو: إن الدنيا تحتوى على خير و شر، صلاح و فساد، فالخير و الصلاح يتحولان فى الآخرة الى جنه و نعيم أما الشر و الفساد فيتحولان الى عذاب شديد، و من اتقى فى الدنيا الشر و الفساد، و ابتعد عنهما بالرغم من انهما كانا يحومان حوله و يحوم حولهما، فانه فى الآخرة يدخل نار جهنم و لكنه يخرج منها بسرعه.

القرآن الحكيم يوضح لنا حقيقه فيقول: إن الناس جميعا سوف يدخلون نار جهنم لأنهم جميعهم فى الدنيا كانوا قريبين من الشر و الفساد، لذلك تجدهم فى الآخرة قريبين من نتائجهما، و لكن الذى ابتعد عنها عمليا فى الدنيا فإنه يستطيع أن ينقذ نفسه من نتائجهما عمليا فى الآخرة، و من لم يفعل ذلك فان شر جهنم سوف يحيط به.

لنتصور الشر الذى يقوم به الإنسان فى الدنيا، حين يؤذى الناس (بلسانه-بقلمه-بعمله)فأن أعماله هذه تتحول فى الآخرة، الى حيه حجمها بقدر حجم الأذيه التى سببها للآخرين فى الدنيا، و عند ما يأتى الإنسان فى يوم القيامة يتحتم عليه أن يعبر جهنم لكى يدخل الجنه و فى حاله عبوره يلتقى بصاحبه تلك الحيه..

إذن دعنا نتصور ان الحياه الدنيا هى نفسها الآخرة، إلا أنها فى الآخرة أكبر.

و هنالك فكره تذكر بها هذه الآيات و هى: إن بعض الناس يحسبون ان النعم التى يوفرها الله لهم دليل على إنهم قريبون منه سبحانه، فاذا لم يكن الله يحبهم فلما ذا أعطاهم القوه و المال و الأولاد و الجاه و الجمال و الحيويه؟! هناك آيات كثيره من القرآن تنفى هذه الفكره و تقول: كلا.. إن النعم التى يسبغها الله على الإنسان فى الدنيا قد تكون بسبب رضا الله عنه، و قد تكون بسبب

سخطه عليه، و إن الذى يكفر و يظلم، يوفر له النعم حتى يستدرجه أكثر فأكثر، فيأخذه مره واحده، أما العذاب فى الدنيا، و أما العذاب فى الآخرة.

### بينات من الآيات:

[٦٨] إن الله سبحانه لا يحضر الإنسان وحده فى يوم القيامة و إنما يحضره مع شياطينه، فكما إن الشياطين كانوا يغوون الإنسان و يضلونه فى الدنيا، فهم فى الآخرة يقومون بدور تعذيبه فالشيطان كان يتبعه فى الدنيا (يظلمه و يؤذيه و يجرح كبرياءه) و إنّه يراه يوم القيامة أمامه يتلقاه بالصفع و الضرب، و الشيطان الذى كان فى قلبه يدفعه الى اتباع الشهوات و لم يره و لم يشاهد صورته هنا، و لكنه سيأتى فى يوم القيامة بأقبح وجه و أول عمل يقوم به اللعين هو أن يبصق فى وجهه و يقول للإنسان: ما ذا جنيت عند ما اتبعتنى، فبئس المصير مصيرك، فيقول له: لقد اتبعتك فخلصنى من النار، فيجيبه: دعنى أخلص نفسى أولاً (!)..

إذن فعلاقتنا السيئه فى الدنيا مع الشياطين (شياطين الجن و الإنس) ستستمر الى الآخرة و يصبح هؤلاء إن لم نتب، قرناء لنا فى الآخرة منذ المطلع و الى دخول النار و العياذ بالله. القرآن الحكيم يقول:

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ أَي لَنَبْعَثَنَّهُمْ مَحْشُورِينَ مَعَ شَيَاطِينِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ.

ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّ لَهُمْ جَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ حَوْلَ جَهَنَّمَ جَائِثِينَ عَلَى رُكْبِهِمْ، ذَلِكَ إِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ إِذْ يَمْنَعُهُمُ الزَّحَامُ الشَّدِيدُ مِنَ الْاسْتِلْقَاءِ أَوْ اتِّخَاذِ جَلْسِهِ مَرِيحِهِ، وَ لَذَلِكَ هُمْ يَضْطَرُونَ إِلَى اتِّخَاذِ الْجِثْوِ عَلَى رُكْبِهِمْ وَ فِي ذَلِكَ مَزِيدٌ

من العذاب لهم..

[٦٩] ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَشِيرُ اللَّهُ إِلَى إِمَامِ الْمَجْرُمِينَ فَيُعْزِلُهُ، لِيَكُونَ قَائِدًا لِاتِّبَاعِهِ إِلَى النَّارِ.

و الشيعة: كل مجموعه يشايعون أحدا و يتبعونه..

[٧٠] ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا مِنْ الَّذِينَ يَكُونُونَ أَوْلَىٰ بِدُخُولِ نَارِ جَهَنَّمَ؟ أَنَّهُمْ أُمَّةُ الضَّلَالِ وَ قَادَةُ الْأَنْظَمَةِ الْفَاسِدَةِ فَهَمُ أَوْلَىٰ مِنْ يَدْخُلُهَا، ثُمَّ يَتَّبِعُهُمْ شِيعَتُهُمْ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ، الْمَلِكُ أَوْلَىٰ ثُمَّ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ، ثُمَّ الْوُزَرَاءُ ثُمَّ الْمَوْظُفُونَ، وَ هَكَذَا حَسَبَ دَرَجَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ اتِّبَاعَهُمْ لِلْإِمَامِ الظَّالِمِ، فَأَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْضًا يَتَّبِعُونَهُ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ..

[٧١] وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سِيرِدٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ..

كَانَ عَلِيٌّ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا إِنْ هَذَا حَتَمَ قَطْعَهُ اللَّهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَدْخُلُ الدُّنْيَا لِيَمْتَحَنَ فِيهَا، كَذَلِكَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَدْخُلُ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ وَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْقِذَ نَفْسَهُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ فِي الدُّنْيَا وَ

لقد جاء في حديث عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال:

«يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كمرّ الريح

ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشد الرجل ثم كمشيه « (١)و

جاء في حديث عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول:

«تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» (٢) [٧٢] ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا يَبْقَى الظالمون جاثين على ركبهم في جهنم ليدوقوا العذاب، لأنهم ظلموا أنفسهم و لم يتقوا نار جهنم في الدنيا.

يقول رسول الله صلى الله عليه و آله في خطبته التي ألقاها قبل شهر رمضان :

«اتقوا الله و لو بشق تمره» إن شق التمر الذي يعطيه الإنسان سوف يكون له خلاصا من نار جهنم بقدره، و كل عمل صالح يعمله في الدنيا يصبح زادا لمسيره الخروج من نار جهنم.

### المقاييس المادية:

[٧٣] وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا هُنَا يعالج القرآن مشكله نفسه أخرى و هى مشكله تقييم الحقائق بالماديات، فقد تتلى آيه من القرآن على إنسان فلا يستمع إليها باعتبارها آيه قرآنيه نزلت من السماء، لماذا لأن الذى يتلو عليه تلك الآيه رجل فقير، فيقول فى نفسه: كيف أسمع كلامه؟! فى الحقيقه أنت لا تسمع كلامه، و إنما تسمع كلام الله، و هكذا فهو يقيم

ص: ٨٤

١-١) نور الثقلين ج ٣ ص ٣٥٣

٢-٢) المصدر ص ٣٥٤



الحقائق بحسب وضعه المادى، و يقول: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا .

خير مقاما: يعنى أحسن مكانا، و أكثر نديًا: أكثر أصحابا و جماعه.

[٧٤] وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَ رِيًّا لَقَدْ أَهْلَكْنَا كَثِيرًا مِنْ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَمَلَّكُونَ الْأَمْتَعَةَ وَ مَظَاهِرَ الْأَبْهَةِ وَ الْعِظْمَةَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفَكَّرُوا أَوْ يَتَّبِعُوا.

إن الحقائق تقاس بذاتها لا بما يملك الإنسان من ماديات و مظاهر، و إن هذه المظاهر ليست دليلا على أن الله يحب صاحبها أو أنه يرضى بعمله.

[٧٥] قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا إِنْ اللَّهُ يَمُدُّ فِي ضَلَالِهِ الْإِنْسَانَ الضَّالَّ، بِأَمْدَادِهِ بِالنَّعْمِ، حَتَّى يَفْقِدَ الْأَمَلَ فِي الْعُودَةِ إِلَى الْهَدْيَةِ، أَنْتَدُ بِأَخْذِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ أَمَا عَذَابًا بئيسا فى الآخرة.

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَ أضعفُ جُنْدًا أَنْتَدُ يَعْلَمُونَ بِأَنْ أَمْوَالَهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ لَا تَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، كَمَا أَنَّ أَصْحَابَهُمْ وَ جُنُودَهُمْ وَ رِجَالَهُمْ لَا يَغْنُونَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِذَا حَانَتْ سَاعَةُ الثَّوْرَةِ، وَ أَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ عَلَى يَدِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الدُّنْيَا، أَوْ سَبَقَ الْأَجَلَ ثَوْرَهُ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَأَخَذَهُمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، حِينَئِذٍ سَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ الْغُرُورِ بِالدُّنْيَا وَ زِينَتِهَا. إِنْ فَخَّرَ الْإِنْسَانَ وَ مَبَاهَاتِهِ يَجِبُ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَى الْآخِرَةِ، وَ إِذَا خَطَرَ بِأَلِهِ أَنْ يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا فَعَلِيهِ

أن ينهى نفسه عن ذلك و يقول لها: انتظري الى يوم القيامة، حينما تكون الجنة من نصيبك فأئذ يحق لك الافتخار و الاختيال أما إذا رموك مثلما ترمى القمامة فى نار جهنم فهل تستطيع فى هذه الحالة أن تدعى لنفسك شرفاً؟ كلا... انه فى نفس الوقت الذى يمد الله فى ضلاله الضالين فانه يمد فى هدايه المهتدين بهداه، و هذا هو الفرق، فانك إذا أصبحت مهتدياً فان الله يزيدك هدى، أما الإنسان الضال فان الله يزيده شهرة و أموالاً و أنصاراً و يملئ له الى حين.

اشاره

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاطِلَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) أَمْ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَيَنْكُتُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزِعُهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)

اللغه

٨٣]توزهم[:الأز الإزعاج وقيل توزهم أزا اي تغريهم بالمعاصي إغراء.

### إشاره

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ

### هدى من الآيات:

فى إطار الموضوع العام لسوره مريم فى ترشيد العلاقه بين الإنسان و بين أولاده و أسرته. و لكن لا تضل هذه العلاقه عن الصراط المستقيم. تعالج آيات هذا الدرس مرض النفس البشرى و هو الغرور بالمال و الولد، و تبين أن اهتداء البشر من مسؤليته إلا إن الله يزيده هدى، و إن من أهم ما يهدى إليه الربّ عبده العمل للمستقبل.

ذلك إن الأعمال الصالحات التى تبقى خير عند الله ثوابها، و خير مصيرها، أما الضالون الذين يكفرون بآيات الله، و يفترون بما أوتوا من مال و ولد. و لكن هل اطلعوا على الغيب و علموا ان الله لا يعذبهم، أم اتخذوا عند الرحمن بذلك عهدا.

كلا.. إن ادعاء الكاذب بذلك سوف يصبح بذاته وبالا عليه. و سوف يمدّ الله له من العذاب مدّا، و سوف يورثه الله أقواله، و يمثّل أمام ربه للجزاء وحده من دون مال و ولد.

و تراهم اتخذوا آلهه من دون الله، ليعتروا بهم. كلاً.. بل سوف تكون عبادتهم

للآلهه وبالآلهه عليهم، فيكفرون بعبادتهم، و ينقلبون ضدهم. إن الشياطين يثيرون الكافرين، و يسوقونهم نحو الضلاله، فلا تعجل في طلب العقوبه لهم. إذ أن استمرار ضلالتهم و كفرهم سيكون سببا لمزيد العقاب عليهم.

هكذا ينبغي أن يتقى البشر الاعتماد على المال و الولد و الآلهه، و تكون صلته بالله هي الأسمى و الأعلى و الأمتن.

## بينات من الآيات:

### إشاره

[٧٦] بما أن آيات الذكر لا تسدى إلينا الوصايا و المواعظ فحسب، بل تعالج بعمق الانحرافات النفسيه التي تعجل الإنسان يتورط في علاقات شاذه مع زينه الحياه الدنيا، من مال و ولد، سواء بالغرور بها أو بالاستسلام لها من دون إرادته أو تفكير، و هكذا يؤكد السياق هنا أن (قرار) الاهتداء الى الله من مسئولييه البشر، فعليه أن يخطو الى ربه الخطوه الأولى. حيث سيتولاه الله بعدئذ برحمته فيزيده هدى.

وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَ لَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَلْحَظَ لِحَظَاتِهِ الْحَاضِرَةَ فَقَطْ، وَ إِنَّمَا يَنْظُرُ بَعِيدًا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، وَ مَاذَا يَجِبُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ.

إن الأعمال الحسنه بالرغم من أنها قد تبدو ضائعه في بادئ الرأي، الا أنها باقيه، و ستعود الى صاحبها بصوره مضاعفه، لذلك نجد القرآن الحكيم يقول، عن الباقيات الصالحات، «وَ خَيْرٌ مَرَدًّا» أى أنها ترد إليك أضعافا مضاعفه بعد أن تزكو و تنمو.

وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا

بلى إن كل فعل صالح تقوم به اليوم يصبح غدا جنات واسعة تعيش فيها بإذن الله خالدا. حتى الكلمات التي يلهج بها اللسان، و قد يستهين بقدرها المرء تصبح موادا أوليه لبناء قصوره فى الجنة.

جاء فى حديث مأثور عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) عن جده الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله) انه قال :

«لما أسرى بى الى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعانا يقفا (١) و رأيت فيها ملائكه يبنون، لبنه من ذهب و لبنه من فضه، و ربما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم ربما بنيتم و ربما أمسكتم؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقه، فقلت لهم: و ما نفقتكم؟ فقالوا: قول المؤمن فى الدنيا: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر، فاذا قال بنينا، و إذا أمسك أمسكنا» (٢) [٧٧] ثم يبين بأن أولئك الذين يتعلقون بأموال الدنيا، و يزعمون بأن سعيهم و عملهم ينبغى أن يكون من أجل الدنيا، و من أجل الحصول على المال و الولدان هؤلاء على خطأ كبير، لأن زينه الحياه الدنيا ليس من المؤكد الحصول عليها، فقد يحصل الإنسان عليها و قد لا يحصل.

و لو افترضنا أنه حصل عليها فليس من المضمون أن تكون رحمه، بل قد تكون عذابا له، اما فى الدنيا أو فى الآخرة، و أخيرا فان ما يحصل عليه الإنسان قد يسعده فى الدنيا، و لكن هل الدنيا نهايه رحله الإنسان؟ كلا..

إذن عليه أن لا يحصر كل اهتمامه، و كل سعيه من أجل الحصول على المال

ص: ٩٢

١- ١) أى أراضى بيضاء.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٥٦.

و الولد، كما عليه أن لا يتعلق بغير الله و يجعله إلها يعبد من دونه، فان المال قد يصبح معبود الإنسان، كذلك الولد، و العلم، و الغنى.

و عموما إنّ على الإنسان أن لا يفقد ذاته من أجل شيء، أنّى كان ذلك الشيء.

فاذا عشقت العلم لمجرد العلم، و ليس لمنفعتك و لا- لمنفعه الناس، و إذا أحببت الفن للفن لا لمنفعتك و لا لمنفعه أحد، و أى شيء فى الحياه لو عشقته عشقا مجردا من دون أن تفكر فى مدى منفعته لك أو لمجتمعك أو لقيمك، فان ذلك لن يكون مجديا.

لأن هذا الشيء سوف ينتهى و لن يعطيك شيئا، بل سوف تخسر نفسك، و تخسر آمالك و تطلعاتك.

نعم: العلم فى حدود الإيمان، و الفن من أجل سعادتك و سعادة الناس، و السلطه من أجل العدالة، و الثروه من أجل العماره، و هكذا سائر أشياء الحياه الدنيا إن كانت من أجل القيم و فى حدود القيم كانت نافعه لأننا آئذ نحب تلك الأشياء لأننا نحب القيم، أما إذا انعكست الآيه و أردنا أن تكون القيم وراء الأشياء، و تحولت الحياه الى شيء يعبد من دون الله، فان هذا لن ينفعا، لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، يقول ربنا سبحانه:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا فِي مَقَابِلِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ الَّتِي يُدْخِرُهَا الْإِنْسَانُ لِمُسْتَقْبَلِهِ، هُنَاكَ مِنْ يَسْعَى وَ يُدْخِرُ جُوهْدَهُ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ، وَ لَا رِسَالَتَهُ، وَ لَا مِنْ أَجْلِ الْمَجْتَمَعِ، إِنَّمَا لَكَ يَصِيحُ أَكْثَرَ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا.

و القرآن الكريم يقول: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ أَي انظر و تدبّر فى عاقبه هذا الرجل الذى كفر بآياتنا. إن الإنسان الذى يسعى من أجل المال و الولد فى حدود

الايمان بالله و فى حدود القيم فلا بأس عليه، أما الذى يكفر بالآيات من أجل المال و الولد و غرورا بهما فما عليه إلا أن ينتظر عاقبته، و يبدو من الآيه: إنَّ الإنسان يشعر فى قراره نفسه بالضعف، و فطرته تدعوه إلى أن يجبر هذا الضعف الذاتى بالايمان بالله، و بآياته الماثوثة فى الكون، و المنزله على النبى فى الكتاب، إلا أن الشيطان قد يضلّه عن هذا السبيل الحق، و يغويه بالتمسك بالمال و الولد بزعم انهما يغنياه شيئاً و يجبران ضعفه الذاتى، و لكن هيهات.

هل يعلم هذا الإنسان بأنه سيحصل على المال و الولد حتى يؤكد ذلك تأكيداً و يقول: «لَأُوتِينَ مَالاً» بلام التأكيد و نونه؟ كلا.. و أبسط دليل على عدم علم الإنسان بالغيب هو أن يحاول كتابه قائمه تفصيليه لما سيعمله غدا ثم يحاول فى اليوم الثانى بكل جهده أن يعمل كل الأعمال التى كتبها فى برنامجه، و لكنه سيجد نفسه قد فشل فى تطبيق كثير من بنوده لأى سبب من الأسباب..

يقول الامام على عليه السلام :

«عرفت الله بفسخ العزائم و نقض الهمم» [٧٨] أَطَّلَعَ الْعَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا إِنْ ضَمَانَ تَطْبِيقَ شَيْءٍ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ طَرِيقِ أَمْرَيْنِ: أَمَا الْعِلْمُ بِالْمُسْتَقْبَلِ، و أَمَا قَدْرُهُ اللَّهُ، و لكن الإنسان الذى ليس لديه ضمانه من الله و لا علم له بالمستقبل كيف يعتمد على شىء غير موجود. جاء فى حديث فى سبب نزول الآيه ما يلى:

عن أبى جعفر (عليه السلام) فى قوله عز و جل: أَمْ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَ قَالَ لَأُوتِينَ مَالاً وَ وَلَدًا (ان العاص بن وائل بن هشام القرشى ثم السهمى و هو أحد المستهزئين، و كان لخباب بن الأرت على العاص بن وائل حق، فأتاه يتقاضاه، فقال له العاص: أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ ان فى الجنة الذهب و الفضه و الحرير؟ قال: بلى، قال: فموعد ما بينى و بينك الجنة فوالله لأوتين



فيها خيرا مما أوتيت في الدنيا، يقول الله عز وجل: أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَيَنْكُتُ مَا يَقُولُ وَ نَمِيدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِيدًا وَ نَرِئُهُ مَا يَقُولُ وَ يَأْتِينَا فَرْدًا وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عَزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا وَ الضد القرين الذي يقرب به (١) [٧٩] كَلَّا سَيَنْكُتُ مَا يَقُولُ وَ أما ما يحصل عليه عمليا من نعم و مكاسب مادية في الحياة الدنيا، فمن يضمن أنها ستكون مصدر سعادته له، بل على العكس من ذلك قد تجرّه الى تعاسه و عذابه.

وَ نَمِيدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِيدًا إن هذه النعم ليست سعادته بالنسبة إليه، وإنما هو ذنب عجّلت عقوبته، كما جاء في الحديث و هو لا يشعر بذلك.

[٨٠] وَ نَرِئُهُ مَا يَقُولُ وَ يَأْتِينَا فَرْدًا معنى الآيه- كما ذكروا- إن الله يرث ما يقوله الفرد عن المال و الأولاد، و بتعبير آخر: يرث الله منه ما يعتمد عليه.

إن ما يحصل عليه من المال و الولد سيذهب عنه بعد حين، و الذين كان لديهم أموال و أولاد ذهبوا عن أموالهم و أولادهم أيضا، و لم يصبحوا معهم الى القبر سوى قطعتين من الكفن.

الله سبحانه هو الباقي و هو الذي يرث الأرض و من عليها، فالأولاد و الأموال لا

ص: ٩٥

تبقى له ولا هو يبقى لها، و يوم القيامة يأتي وحده عاريا حافيا حاسرا، لا يملك أى شىء « وَ يَأْتِينَا فَرْدًا ».

[٨١] إنَّ البشر يبحث عن شىء أو شخص يعتمد عليه، و يجبر به ضعفه الذاتى، و يعالج به شعوره بالضعفه و الذله. فقد يتخذ المال و الأولاد جابرا لضعفه فيعتز بها، و قد يبحث عن آلهه من أصنام بشرية أو حجرية- فيقول عنه ربنا:

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا هُوَ لَاءَ بِدورهم اتخذوا آلهه انتموا إليها من أجل أن يكونوا أعزاء، و أساسا الانتماء الى جهه ما سواء كانت عشيره، أو حزبا، أو تيارا سياسيا، أو سلطه حاكمه، أو ما أشبه، إن لم يكن من أجل الله، و من أجل القيم و الرساله، فلا- بد أن تكون من أجل العزه الدنيويه، ذلك ان الإنسان حينما يشعر بنقصه الذاتى فيرى نفسه مهينا ضعيفا يحاول الانتماء الى جهه معينه، كأن ينتمى الى تيار حزبي مثلا- لكى يعطيه العزه التى يبحث عنها، و هناك طائفه كبيره من الناس- و للأسف- يسيرون على هذا النهج، فهم بالاضافه الى أنهم لن يجدوا عندهم العزه، فإنهم سيكونون عليهم ضدا.

[٨٢] كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا آنذ سيندمون ندما شديدا، و يتحسرون على شبابهم الذى ضيعوه فى خدمه هذا التجمع الزائف، و قيادته الكافره، و يقولون: لقد اتبعناه، و وفرنا له العزه و السلطه على حساب مصلحتنا، و مصلحه أمتنا، و قيم رسالتنا، و لم نحصل مقابل ذلك إلا على سخط الله من جهه، و عداوه من انتمينا إليهم. و هذه النهايه المأساويه ليست مقصوره على يوم القيامة، بل هى كثيرا ما تتحقق فى الدنيا قبل الآخره. إنَّ الطاغية

الذى نتخذه من دون الله إلهها، تسمع له، و تطيع أمره، و تزعم انه عز لك، إنه يكفر بعبادتك و لا يوفر الحماية لك، بل إنه سيكون ضدك لأنه يعيش لنفسه فحسب، و إذا خالفت مصالحه مصالحك فانه سوف يضربك عرض الحائط، و كل تاريخ الطغاه شاهد حق على هذه الحقيقه، و لعلك تقول: إنى لا أعبده، بل أطيعه. كلا.

إنك تعبده حين تسمع له، و تطيع أمره، و ما جوهر العباده إلا الطاعه. جاء فى حديث شريف فى تفسير هذه الآيه.

عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى قوله: « وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِيقًا » يوم القيامة أى يكون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهه من دون الله ضدا يوم القيامة، و يتبرءون منهم و من عبادتهم الى يوم القيامة ثم قال: ليس العباده هى السجود و لا الركوع، و إنما هى طاعه الرجال، من أطاع مخلوقا فى معصيه الخالق فقد عبده، و قوله عز و جل:

« أَذْأَ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا » قال: لما طغوا فيها، و فى فتنتها، و فى طاعتهم، و مد لهم فى طغيانهم و ضلالتهم، أرسل عليهم شياطين الانس و الجن تَؤْزُهُمْ أَزًّا أى تنخسهم نخسا، و تحضهم على طاعتهم و عبادتهم، فقال الله عز و جل: فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فى طغيانهم و فتنتهم و كفرهم (١)

## جزاء الكافرين:

[٨٣] أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا إِنْ الشَّيَاطِينَ يَدْفَعُونَ الْكَافِرِينَ دَفْعًا إِلَى الْعَذَابِ، إِلَى حَيْثُ النِّقْمَةُ وَالشَّقَاءُ.

هكذا يفعل الشياطين بالكافرين، و لكن الله ليس بظلام للعبيد، فهو لا يبعث

ص: ٩٧

الشياطين على المؤمن المخلص الذي انتهج منذ البدء طريق الهدى، والشيطان لا يقدر عليه مهما حاول جهده، أما ذلك الإنسان الذي كفر بالله ابتداءً، وترك الاعتصام بحبله، وظل بدون محور صحيح يدور عليه، ولا قاعده ثابتة يعتمد عليها، فإن الله يرسل عليه شيطاناً يدفعه الى النار في الآخرة، والعذاب في الدنيا، والآيه هذه شاهده على الآيه السابقه، إذ إنّ الشياطين وهم الحكام الظلمه، والأحزاب الكافره، وإبليس وجنوده، لا يزالون ينخسون مريديهم وتابعيهم، ويحرضونهم على طاعتهم حتى يوردونهم نار جهنم.

[٨٤] فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ لَدَلِكْ لَا تَعْجَلْ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَمْشُونَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، وَيَنْتَمُونَ إِلَى هَذِهِ الْأَحْزَابِ الْمَشْبُوهَةِ الْبَاطِلَةِ، فِي سَبِيلِ تَثْبِيتِ الْأَنْظُمَةِ الْفَاسِدَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ سَوْفَ يَدْفَعُهُمْ إِلَى مَصِيرِهِمُ الْمَحْتَمِ.

جاء في حديث عن قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا» قال: نزلت في مانعي الزكاه والمعروف، يبعث الله عليهم سلطاناً أو شيطاناً فينفق ما يجب عليه من الزكاه في غير طاعه الله، ويعذبه على ذلك (١) إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا إِنْ كَلَّ خَطْوَهُ يَخْطُونَهَا، وَكُلُّ سَعْيٍ يَسْعُونَهُ، يَتَحَوَّلُ إِلَى عَذَابٍ يَعْذِّهُ اللَّهُ لَهُمْ، وَيَحْصِيهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ جَعَلَ لَدَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَقِيبًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَسْجَلُ عَلَيْهِ كُلُّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ بِدَقِّهِ بِالْغَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَفُوتُهُ أَدَقُّ الْأُمُورِ، وَهَذَا الرَّقِيبُ لَا يَمْلُ، وَلا يَتَعَبُ، وَلا يَعْتَرِيهِ الْخَلَلُ أَوْ الْعَطَلُ، وَرَبَّمَا لَدَلِكْ يَسْتَغْرَقُ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَقَتًا طَوِيلًا، قَدْ يَبْلُغُ مَلَائِينَ السِّنِينَ، وَهِيَ الْفِتْرَةُ اللَّازِمَةُ لِمَعَاقِبِهِ الْمَجْرَمِ عَلَى كُلِّ مَا اقْتَرَفَهُ فِي الدُّنْيَا

ص: ٩٨

فنفس واحد يتنفس المجرم فى مجلس الشيطان، أو فى مجلس الظالمين، أو فى مجلس السوء أو..أو. يسجل عليه إثمًا، فكيف إذا كان يدفع الجنود الى الحرب؟! إن كل عمل تقوم به مهما كان صغيرا سوف يتحول الى عقرب يلدغه يوم القيامة، و سواء كان يؤمن بهذا الشىء أو لا يؤمن، فذلك غير مهم، فليس من الضرورى أن تؤمن بأن هذا الشىء الذى تأكله إنما هو سم قاتل حتى يضرك، فاذا أخذت قرصا و بلعتها زاعما انها قطعه سكر و كان سما، فهل ذلك يدفع عنك تأثير السم؟ كلا..

هكذا إذا كانت تخدم الظالم و لا تؤمن بأنك تقوم بجريمه، فان ذلك سوف يكتب عليك جريمه، لأنك اخترت طريق الخطأ، و سواء رضيت أو لم ترض، فهذا قدر الله و قضاؤه، و يجب أن تخضع لأمر الله سبحانه.

إن من يريد أن يخلص نفسه يجب عليه أن يتوب سريعا، أما إذا جاءه الموت أو الساعه، و قرّر أن يتوب فتوبته ستكون غير مقبوله.

جاء فى حديث شريف حول هذه الآيه :

«قال لى: ما عندك؟ قلت: عندى عدد الأيام قال: لا، إن الآباء و الأمهات ليحصون ذلك، و لكن عدد الأنفاس» (1)

اشاره

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً (٨٥) وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدَاءً (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُنُّ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسْرُونَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هَلَّ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكزًا (٩٨)

اللغه

٨٦[وردا]:الورد الجماعه التي ترد الماء.

٨٩[إدًا]:الأمر العظيم.

٩٠[هدًا]:الهدم بشده صوت.

ص:١٠٠

٩٧[لدا]:الله جمع ألد و هو المخاصم الشديد الخصومه.

٩٨[ركزا]:صوتا خفيا.

ص:١٠١

**هدى من الآيات:**

فى الدرء الأءىر من سورة مرىم ىذكرنا القرآن بسلسله من الحقائق، تلك اللى ذكرت بها الدرء السابقه، وهى تصلح علاقتنا بالناس و الأشياء: و أبرزها:

تذكره الإنسان بىوم القىامه، ءىث ىءشر المءقون مكرمىن الى ربهم وفءاء، بىنما ىساق المءرمون الى ءهنم لىردوها و رءاء، و هذه التذكره لىست تذكره عقائءىه فءسب، و إنما ءءلق أىضا معاءله فى فؤاء الإنسان ذلك لأنه، إذا عرف الإنسان بءاءىه شىء و نهاءته، فانه ىعرفه بءوره أفضل، و بءون ذلك فان معرفته ءكون ناقصه.

و إذا عرف الى أين ءءهى ءىاءه الءنبا، و ما هو مصىرها فانه ىكون قء ءصل على معرفه عمىقه بها، فىءعامل معها معامله سلىمه، علما بأن آىاء سورة مرىم، كما الكءىر من آىاء القرآن- ءهءف فىما ءهءف- ءعل علاقه الإنسان بالءىاه الءنبا علاقه سلىمه.



و تشير آيات هذا الدرس الى فكره نفى الشرك، وبالذات فيما يرتبط برفض فكره الولد، ولعل الحكمة فى ذلك أن فكره الولد هى التى تكمن وراء النزعه العنصريه و هى من العلاقات الشاذه بين الإنسان و بين الآخرين.

إن الإنسان الذى يحسب نفسه ابنا لله، أو يحسب آباءه هكذا، تكون علاقته بآبائه و جماعته و عشيرته شاذة، تتمحور حول (الشيء)، بينما القرآن الحكيم يهدف تحرير الإنسان من العلاقة (الشيئية) فى الحياه، سواء كانت العنصريه أو العصبية اللتان هما من أبرز العلاقات الشاذه بين الإنسان و بين الآخرين. أو غيرهما من العلاقات الشيئية التى تخالفها علاقة القيم المعنويه التى تؤكد أنه ليس هنالك علاقة بين الله و الإنسان سوى علاقتين، علاقة الخلقه، أى أن الله خلقنا و نحن عبيده، و علاقة الايمان و العمل الصالح، و بالتالى علاقة القيم، أما أيه علاقة أخرى كعلاقة الانتماء العصبى الجاهلى، فانها مرفوضه فى الإسلام.

يذكرنا القرآن بهذه الفكره، ثم ينطلق بنا الى آفاقها البعيده فتبين أن الإنسان عبد داخر لله، و إن كل من فى السماء و الأرض آت للرحمن عبدا، و يوم القيامه تسقط كل الانتماءات و العلاقات. و يحشرون الى ربهم أفرادا لا جماعات عنصريه أو عصبية. لتتصور ذلك اليوم.. و لنبرمج حياتنا وفقه.

فلاذ ابن من؟ أخو من؟ ينتمى الى من؟ لنحذف كل هذه الكلمات من حياتنا، لكى نرى الحقيقه، التى تتلخص فى أن الإنسان ابن عمله و ابن إيمانه فقط، أما الانتماءات الأخرى، فانها جميعا باطله و ليست بحقيقه.

و أخيرا تذكر الآيات بأن القرآن جاء لكى ينذر الإنسان، و لكن من الذى يستفيد من نذر القرآن؟ إنهم المتقون، أما المعاندون الذين قزروا سلفا: عدم الايمان بآيات القرآن، و لم يخشوا المستقبل، و لم يهدفوا خلاص أنفسهم و نجاتها من

العذاب، فان هؤلاء لن يستفيدوا من نذر القرآن و مواعظه، و سيكون مصيرهم مصير تلك القرون، التي هلكت و لم يعد يسمع لهم صوتا عاليا أو خفيا.

## بينات من الآيات:

## الحشر و الشفاعة:

[٨٦/٨٥] يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً\* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً هَذَا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَيْثُ يَرَى الْمُتَّقُونَ فَوْدًا مَكْرَمَةً، يَحْشُرُونَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِمْ، بَيْنَمَا يَسَاقُ الْمُجْرِمُونَ كَمَا تَسَاقُ الْبَهَائِمُ إِلَى جَهَنَّمَ. إِنَّ هَذَا الْمَنْظَرَ وَحْدَهُ يَكْفِينَا عِبْرَةً لِكَيْ نَخْتَارَ طَرِيقَ الْمُتَّقِينَ وَوَفْدَهُمْ، عَلَى طَرِيقِ الْمُجْرِمِينَ وَوَرْدَهُمْ

جاء في حديث شريف مأثور عن تفسير علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل علي (صلوات الله عليه) رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن تفسير قوله عز و جل:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً قَالَ:

«يا على الوفد لا يكون إلا ركبانا، أولئك رجال اتقوا الله عز و جل فأحبهم، و أخصهم و رضى أعمالهم، فسامهم الله متقين، ثم قال: يا على أما و الذى فلق الحبه و برىء النسمة أنهم ليخرجون من قبورهم بياض و جوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلأأ» و

فى حديث آخر قال :

«إن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق الجنة، عليها رحائل الذهب مكللة بالدر و الياقوت، و جلالها (١) الإستبرق و السندس و خطامها جذل الأرجوان (٢)

ص: ١٠٤

١- ١) جلال- ككتاب- جمع الجبل و هو للدابة- كالثوب للإنسان تصان به.

٢- ٢) الجذل- أصل الشجر الخشبي و الأرجوان: شجره صغيره الحجم من فصيلة القرنيات زهر وردى يظهر فى مطلع الربيع قبل الأوراق.

و أزمتهم من زبر جد، فتطير بهم الى المحشر، مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه و عن يمينه و عن شماله، يزفونهم (١) حتى ينتهوا بهم الى باب الجنة الأعظم، و على باب الجنة شجره، الورقه منها يستظل تحتها مأه ألف من الناس. و عن يمين الشجره عين مطهره مكوكبه (٢) قال: فيسقون منها شربه فيطهر الله عز و جل قلوبهم من الحسد و يسقط عن أبشارهم الشعر. و ذلك قوله عز و جل: وَ سَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا من تلك العين المطهره، ثم يرجعون الى عين أخرى عن يسار الشجره فيغتسلون منها: و هى عين الحيوه، فلا يموتون أبدا» ثم قال:

«يوقف بهم قدام العرش و قد سلموا من الآفات و الأسقام و الحر و البرد، قال فيقول الجبار جل ذكره للملائكه الذين معهم: أحشروا أوليائى الى الجنة و لا تقفوهم مع الخلائق، قد سبق رضائى عنهم و وجبت لهم رحمتى، فكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات و السيئات، فتسوقهم الملائكه الى الجنة، فاذا انتهوا الى باب الجنة الأعظم ضربوا الملائكه الحلقه ضربه فتصرّ صريرا (٣) فيبلغ صوت صريرها كل حوارء خلقها الله عز و جل و أعداها لأوليائه، فيتباشروا إذ سمعوا صوت صرير الحلقه و يقول بعضهم لبعض: قد جاءنا أولياء الله فيفتح لهم الباب، فيدخلون الجنة و يشرف عليهم أزواجهم من الحور العين و الآدميين، فيقلن: مرحبا بكم فما كان أشد شوقنا إليكم، و يقول لهم أولياء الله مثل ذلك» فقال على (صلوات الله عليه): من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

يا على هؤلاء شيعتك المخلصون فى ولايتك، و أنت إمامهم و هو قول الله

ص: ١٠٥

١-١) رف العروس إلى زوجها: أهداها-قال المجلسى «ره» فى مرآه العقول، أى يذهبون بهم على غايه الكرامه كما يزف العروس إلى زوجها.

٢-٢) كذا فى النسخ، لكن فى المصدر و كتاب الروضه و المنقول عنهما فى البحار «مزكيه» و هو الظاهر.

٣-٣) صر صريرا: صوت و صاح شديدا.

عز و جل: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً عَلَى الرَّحَائِلِ، وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا (١)

### من يملك الشفاعة؟

[٨٧] لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا الشفاعة في الدنيا نوعان: شفاعة باطله و شفاعة صحيحه، فإذا قلت: أنا ابن فلان، و أنتمى الى الدين الكذائى دون أن أعمل بتفاصيله و أعماله، فهذه شفاعة باطله، و كذلك لو قلت: إننى أنتمى الى هذا الحزب أو تلك المنظمه مما تعبد من دون الله، فأنت لا تشفع لهم و لا هم يشفعون لك و إنما أنت شفيع عملك، أى إنك قرين عملك، و هو الذى يبقى معك، و من عمل الإنسان انتماءه الصحيح الى رساله، فإذا انتميت انتماء صحيحا إلى قائد أو إمام عادل، و أطعته طاعه مخلصه لوجه الله سبحانه، ثم أذنبت ذنبا صغيرا فان الله يعهد الى ذلك الامام بالشفاعة لك، و هذه هى الشفاعة الصحيحه. و من ثم فأنت فى وفد المتقين، و هذه فكره الطاعه الواعيه، التى تستتبع الشفاعة حتى و لو لم يكن هناك رابطه عنصريه و لا- عصبية و لا- قومية بينك و بين ذلك الإمام، و لكنك تطيعه لوجه الله، فأنت تكون وئيا له، و فى وفده يوم القيامه و من هنا

جاء فى حديث شريف تفسير العهد باتباع الإمام العادل عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: قوله: « لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا » قال:

«إلا من دان الله بولايه أمير المؤمنين و الأئمه من بعده، فهو العهد عند الله» (٢)

ص: ١٠٦

١-١) نور الثقلين ج ٣ ص ٣٦٠/٣٥٩.

٢-٢) المصدر ص ٣٦٢.

[٨٨] ثم يعود القرآن-بعد ذلك-لينسف فكره الشفاعة الباطله فيقول:

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِيُكْرِسُوا فِكْرَهُ الشَّفَاعَةَ إِذْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ:لأننا أولاد الله، أو أبناء المتقين، فسوف ندخل الجنة ولا يعذبنا الله شيئاً! و القرآن ينفي هذه الفكره أساسا فيقول:

[٨٩] لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا أَي ان فكرتكم هذه كذب عظيم فالله هو الذى خلق السماوات و الأرض، و خلق المنظومات الشمسيه و المجرات و الفضاء اللامتناهى، و لو كان له ولد سبحانه لوجب أن يكون ولده بمستواه سبحانه.

[٩٠] تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ وَ تَنشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَيْدًا السَّمَاوَاتُ و الأرض و الجبال لا- تتحمل تلك الكذبه المبتدعه، و القرآن الحكيم يعطينا هذه الصوره ليوضح لنا: بأن هذه الكلمه ليست صغيره فى مقياس الحق، فالذى خلق السماوات التى لا يمكن أن تحصى نجومها، و الذى خلق الأرض الواسعه، هل يمكن أن يتخذ ولدا؟! إن هذه فكره غير متناسبه و عظمته سبحانه، و لا مع أيه قيمه من قيم الفكر، و اى مقياس من مقياس العقل!! يتفطرن:أى يفتتن و يتشققن.

و لعلّ هناك إيجاء آخر فى هذه الآيه، هو: إن الكذبه الكبيره هذه، قد سببت جرائم كبيره، بحجم تفطر السماوات و انشقاق الأرض، و هذّ الجبال، مثل الجرائم التى قامت بها النازيه فى العالم، أو التى قام بها العنصريون فى جنوب إفريقيا، و حتى الجرائم التى تقوم بها أمريكا و روسيا و سائر المستكبرين فى العالم. و كلها،

حين نبحث عن جذورها، نجد أنها تنمو من أرض العنصريه الخبيثه، حيث أنها ناشئه من تمحور الإنسان حول ذاته، و اعتقاده بأنه أفضل من نظائره.

أنظر-مثلا-الى الأفكار العنصريه التي زعمت بأن الحضاره، إنما تنشأ من العنصر الآرى لأنه العنصر الذى خلقه الله بشكل أفضل، هذه السفاهه التي انتشرت بعد الثوره الفرنسيه، و التزم بها بعض النبلاء و الأشراف، و تورط فيها بعض علماء الاجتماع و التاريخ علما بأن الآريين لم يخلقوا الحضاره أصلا فى أى فتره من فترات التاريخ، و غايه ما فى الأمر أنهم كانوا أسلاف اليونان الذين صنعوا الحضاره فى التاريخ، و من بين واحده و عشرين حضاره نشأت فى العالم، فان هذه واحده منها فقط أما العشرون الباقية فهى غير أوربيه، و إنما الأوربيون استفادوا منها، كما إنهم قد اقتبسوا من الحضاره الإسلاميه كثيرا.

[٩٢/٩١] أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا\* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمَلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ عِبَادِهِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ جِنْسٍ وَ آخَرَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ الْبَيْضَ أَوْ السُّودَ، أَوْ الْأُورِيبِيِّينَ أَوْ الْأَسْيُويِيِّينَ أَوْ غَيْرِهِمْ، هُوَ لِأَنَّ دُونَ غَيْرِهِمْ، يَسْتَحِقُّونَ رَحْمَتِي.. إِنَّهُ الرَّحْمَنُ وَ آثَارَ رَحْمَتِهِ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

-نعم-إذا رأيت الشمس أشرفت فقط على آسيا، أو على أوروبا أو أن الرياح حملت السحب الى المدينه الكذائيه، أو أن قاره أوروبا فقط هي التي أنبتت الزرع و احتوت على المعادن، إذا رأيت مثل ذلك فربما يكون لك الحق فى أن تقول: أن أولاد هذه القاره هم أبناء الله سبحانه، لكن شيئا من ذلك لا يشاهد، فأثار رحمه الله تشمل كل شىء. إذن فهو لا يتخذ من بين عباده ولدا دون آخر و هذه هي العلاقه بين فكره نفى الولد عن الله، و استخدام كلمه الرحمن المكرره فى هذه الآيات، فلأنه الرحمن، فهو لا يفضل بعض الناس على بعضهم دون أن يكون ذلك التفضيل نابعا من عملهم و سعيهم.

[٩٣] إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا هُوَ لَآ جَمِيعًا مَتَسَاوُونَ أَمَامَ الرَّحْمَنِ فِي عِبَادَتِهِمْ لَهُ.

[٩٤] لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا إِنْ اللَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْسِيَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ أَبَدًا، سِوَا مَا كَانَ فِي غَيْبِهِ أَوْ فِي كَهْفٍ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَاللَّهُ قَدْ كَتَبَ لَهُ أَسْمَاءَ، وَقَرَّرَ لَهُ مَوَاهِبَ، وَأَجْرَى لَهُ رِزْقًا، وَكَذَلِكَ الْمَتَرَبِّعُ عَلَى الْكُرْسِيِّ فِي قَصْرِ الْعَظِيمِ. وَالَّذِي مَلَأَ أَرْضَهُ الْبَنُوكَ الْأَجْنِيَةَ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَأَحْصَى ذُنُوبَهُ.

وَلَعَلَّ تَكَرُّرَ الْآيَةِ بِمَعْنَى الْإِحْصَاءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (أَحْصَاهُمْ - وَعَدَّهُمْ - عَدًّا) يَعْنِي أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْلُتَ مِنْ حِسَابِ اللَّهِ شَخْصٌ أَبَدًا لَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، وَلَا غَنِيٌّ وَلَا فَاقِرٌ، فَكُلُّهُمْ سِيحَاسُهُمْ وَيَجَازِيهِمْ بِمَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالٍ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا.

[٩٥] وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْدًا كُلَّ الْعَلَاقَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمَزِيْفَةِ سَتَسَاقُطُ، وَسَيَأْتُونَ الرَّحْمَانَ بِشَكْلِ أَفْرَادٍ - نَعَمْ - أَنْ الْعَلَاقَةَ الْوَحِيدَةَ الْمَجْدِيَّةَ بَعْدَ عِلَاقَةِ الْخَلْقِ وَالْعِبَادِيَّةِ الَّتِي تَرْبِطُ الْعَبِيدَ بِرَبِّهِمْ هِيَ عِلَاقَةُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

[٩٦] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ هَؤُلَاءَ وَهُمْ يُحِبُّونَهُ، وَهَذِهِ هِيَ الْعِلَاقَةُ الصَّحِيحَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، لِذَلِكَ أَمَرَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ لِيَرْزُقَهُ الْوَدَّ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ التَّالِي:

فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا فَإِنَّهُ قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ جَالِسًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَقَالَ لَهُ:

«قُلْ يَا عَلِيُّ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَدًّا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ثُمَّ خَاطَبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ» يَعْنِي الْقُرْآنَ «لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا» قَالَ: أَصْحَابُ الْكَلَامِ وَالْخُصُومَةِ.

[٩٧] وَ مِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ، أَنَّهُ يَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَ سَهَّلَ آيَاتِهِ وَ أَوْضَحَهَا، لِكَيْ يَسْتَطِيعَ الرَّسُولُ أَنْ يَبَشِّرَ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ وَ يَنْذِرَ بِهَا الْمَعَانِدِينَ.

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا قَوْمًا لُدًّا: جَمَاعَةَ مَعَانِدِينَ وَ جَاحِدِينَ.

إِنْ أَكْبَرَ مَا يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ هُوَ الْمَوْتُ،

«كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعْظَا» لَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ، لَيْسَ مِنَ الْمَهْمِ أَنْ نَمُوتَ فَأَوْلَادُنَا سَوْفَ يَبْقُونَ، وَ خَطْنَا سَوْفَ يَبْقَى، وَ بِهَذِهِ الْأَفْكَارِ يَهْوَنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْمَوْتَ، وَ لَكِنَّ الْقُرْآنَ يَنْفَى ذَلِكَ وَ يَقُولُ: لَيْسَ أَنْتُمْ وَحْدَكُمْ الَّذِينَ تَمُوتُونَ، بَلْ سَيَمُوتُ مَعَكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ، وَ نَهْجُكُمْ وَ خَطُّكُمْ، وَ كُلُّ شَيْءٍ يَرْتَبِطُ بِكُمْ، يَهْلِكُ وَ يَفْنَى، وَ هَذَا أَكْبَرُ إِنْذَارٍ لِلْإِنْسَانِ، وَ إِذَا لَمْ يَتَعِظْ الْإِنْسَانُ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يُوَاجِهُ مَصِيرَهُ الرَّهِيْبَ.

[٩٨] وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هَلَّ تُحُسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا قَدْ لَاحَظْنَا مِنْ الْأُمَمِ أَحَدًا، وَ لَكِنْ يَبْقَى أَثَرٌ مِنَ الْآثَارِ فِي بَعْضِ الصُّورِ أَوْ بَعْضِ



الكتابات أو..أو، ولكن القرآن يقول: لقد صَفَّيناها تصفيه كامله، و لا حتى صوت يخرج منها لا عال و لا خفي،

جاء في حديث مأثور عن أئمة آل البيت (عليهم السلام) فيما وعظ الله عز و جل به عيسى (عليه السلام) :

«و طيء رسوم منازل من قبلك و أدعهم و ناجهم هل تحس منهم من أحد، و خذ موعظتك منهم، و اعلم أنك ستلحقهم في اللاحقين» و كلمه أخيره: إن فكره اتخاذا الولد لها و جهتان:

الأولى: إنها تعطى للظالم حق الظلم.

الثانية: إنها تسلب من المظلوم حق التمرد و لذلك نجد المستعمرين أشاعوا هذه الفكره بين الشعوب المستضعفه، و انهم إنما تقدّموا لأن الله أراد لهم ذلك، و لأن الطبيعه التي كانت حولهم كانت أسخى، و لأن عقولهم كانت أكبر و لأن حظهم كان أوفر، و لأي شيء.

و ينسف القرآن الحكيم هذه الفكره و يقول: لا- تفكر أيها الإنسان، إن للجنس الفلاني ميزه عليك و إن الله فضّله عليك تفصيلا، كلا..بل ربما يكون أقل منك عقلا، و أرضه أقل سخاء و بالتالي فهو أقل تعرضا لرحمه الله منك، و بالتالي فان الحضاره أقرب إليك، و إنما تقدم من تقدم، و تأخر من تأخر بسبب عمله..

و أتصوّر إن إشاعه هذه الفكره المعاكسه و ترسيخها في الشعوب المستضعفه، تلهمهم الاندفاع و تعطيهم المدافع نحو بناء حضارتهم و التخلص من نير المستكبرين.



سوره طه

اشاره

ص: ۱۱۳



بسم الله الرحمن الرحيم

## فضل السوره:

-١-

عن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال :

«من قرأها أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين و الأنصار».

الثقلين/ص ٣٦٦/ج ٣ -٢

عن الإمام الحسين عليه السلام قال :

«لا- تدعوا قراءه طه فان الله سبحانه يحبها و يحب من قرأها، أعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه و لم يحاسبه بما عمل فى الإسلام و اعطى من الأجر حتى يرضى».

م البيان/ص ١٧/ج ٧

ص: ١١٥



من المعروف إن اسم هذه السوره مستلهم من الكلمه الأولى التي نجدها فيها، و هكذا أسماء كثير من سور القرآن تستلهم من الكلمات الأولى أو من بعض المشاهد البارزه في تلك السوره، فسوره يس استلهم اسمها من كلمتها الأولى، أما سوره الطارق فقد استلهم اسمها من كلمه بارزه فيها.

و السؤال: ما هو الموضوع الذى تبحته آيات سوره طه؟ يحدد البعض من المفسرين نظراته حول سور القرآن عبر الموضوعات العامه و المشتركه بينهما و بين سائر السور، فكلّ سور القرآن فى تصوره تدور حول ضروره توحيد الله، و الايمان بحاكميته المطلقه على الأرض و السماء و الإنسان و هكذا.

و لا- شك ان هذا صحيح، و لكن لا- يكفى ذلك وحده فالمواضيع الهامه موجوده فى كلّ السور، فلما إذا تكررت؟ و ما هى الفوارق بينهما؟ و هل يكفى لنعرف مدينه أن نقول بأنها بنيت من الطوب و الاسمنت، و ان شوارعها معبده؟ أم انه يجب أن

نرسم خريطه تفصيليه لها و لشوارعها، و أسواقها و جغرافيتها الطبيعيه، و جغرافيتها الاقتصاديه، و البشريه و ما أشبه، لكي يتضح الفرق بينها و بين المدن الأخرى؟ إن العلم هو إحاطه بدقائق الأمور، و حدود الأشياء التي تفضلها عن سواها.

و علم التفسير- بدوره- يجب أن يحيط خبره بالموضوعات المتميزه في سور القرآن، و ما يميز هذه الموضوعات عن مثيلاتها في سائر السور مع العلوم و المعارف الجديده التي تستلهم من كلّ سور، و من كلّ آيه من هذه الآيات، بل حتى الآيه الواحده التي تأتي في القرآن مرتين بنفس الألفاظ و بنفس التعابير و من دون أيه زياده أو نقيصه يجب أن نبحت فيها عن معارف جديده تميزها عن التي سبقتها أو تلحقها بسبب اختلاف السياق.

فهل إن معنى « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » في كلّ سور القرآن واحد؟ كلا.. إن كلّ سور تبحث عن قضيه و « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » في تلك السوره مرتبطه بتلك القضيه.

إذا أراد المؤمن القيام يقول بسم الله، و إذا أراد الطعام يقول كذلك بسم الله، و إذا أراد الذهاب قال بسم الله، و إذا أراد الكتابه قال أيضا بسم الله، فهل هذه الكلمات ذات معنى واحد؟ كلا.. بل يقول بسم الله أقوم، و بسم الله أجلس، و بسم الله آكل، و بسم الله أذهب، و بسم الله أكتب، فهو يستعين بالله الذي أعطاه القدره على القيام، و تفضل عليه بنعمه الطعام، و أعطاه العقل، و هكذا لا تعنى البسمله ذات المعانى في مختلف المجالات التي ينتفع بها.

و كذلك في القرآن الحكيم نزلت- بسم الله الرحمن الرحيم- مع كلّ سور، و لم تنزل مره واحده في القرآن كله، و إلا لم يكن الرسول يجعلها في رأس كلّ سور



و هو الذى لا- ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، و ترتيب القرآن بهذه الصورة لم يكن اعتباطيا انما هو من توجيه الرسول صلى الله عليه و آله إذ كان يأمر بوضع آيات القرآن فى مواضعها المحدوده لها من قبل الله تعالى، كما يظهر ذلك من ملاحظه سياق الذكر و يدل عليه التاريخ.

إذا فلما ذا جعل القرآن-بسم الله الرحمن الرحيم-على رأس كلِّ سورة،فإن لم تكن هذه الآيه قد نزلت فمن المستحيل على الرسول أن يضيفها من تلقاء نفسه، و إلا- فلما ذا لم يكرر آيه أخرى أو كلمه أخرى؟! فان آيه جديده تنزل من السماء مره جديده،لا- بدّ أن تحمل فكره جديده أيضا،ففى تفسيرنا للآيات القرآنيه،و فى معرفتنا للسوره القرآنيه و موضوعاتها يجب أن نبحت عما يميزها عن سائر الأمور،فى نفس الوقت الذى نبحت عن الخطوط العامه المشتركه بينها و بين سائر السور.

فآيات القرآن متشابهات(بعض آياته مثل بعضها)لأن أصولها واحده و بلاغتها واحده،و فى نفس المستوى،إذ كلّ آيات القرآن تدل على الاعجاز،كما تدل على انها من الله،و ليست من البشر،و لكن فى نفس الوقت-نجد ان لكلّ آيه من آيات القرآن موضوعا خاصا بها،و موضوعات أعمّ بالنسبه الى سياقها،و أعمّ بالنسبه الى السوره الواحده التى نجد الآيه فيها،فما هو الموضوع الرئيسى فى سوره طه؟ أكثر من تسعين آيه من آيات هذه السوره البالغه مائه و خمسه و ثلاثين آيه تبحث قصه موسى،و الأربعين آيه الباقيه منها تبحث مواضيع شتى،من بينها قصه أبينا آدم عليه أفضل الصلاه و السلام،و سبب خروجه من الجنه،و كيفيه إغواء إبليس له.

فهل هذه السوره كسوره يوسف،حيث تبحث عن قصه موسى،كما كانت

تلك السوره تبحت عن قصه يوسف؟ حدثنا القرآن الحكيم عن قصه بنى إسرائيل و قصه موسى معهم فى سوره البقره، و يحدثنا عن موسى و قصته مع قومه و مع فرعون كما يحدثنا أيضا عن السحره، فما هو الفرق؟ الفرق هو إن القرآن الحكيم فى سوره البقره-مثلا-انما يحدثنا عن الجانب الاجتماعى و الأمنى-إن صحّ التعبير-لنبي إسرائيل، باعتبارهم أمه مستضعفه قاومت المستكبر و اتصفت بصفاته عند ما بنت حضارتها و كيف انسجت عليها تلك الصفات فبدأت بحركه للتطهير و ما أشبه.

هذه الموضوعات نجدها فى سوره البقره فى حديثها عن بنى إسرائيل، أما قصه بنى إسرائيل و قصه موسى عليه الصلاه و السلام معهم و مع فرعون فى سوره طه، فانها تتناول جانبا آخر هو جانب الإنسان فى هذه القصة.

الإنسان الذى خرج من الجنه بسبب غريزتيه الذاتيتين اللتين انحرفتا و تضخمتا و هما غريزتا التملك و حب الخلود، هذا الإنسان نجده عند فرعون و قد اكتملت فيه أسباب الانحراف حتى أوصلته الى أبعد ضلاله، و نجده عند موسى و قد قاوم الغريزتين فاكتملت فيه صفات الاستقامه، و نجده فى الصراع بينهما الذى يتمخض عن مفاجأه هامه، هى السحره الذين انحرفوا حتى وصلوا فى انحرافهم الى حدّ انهم أصبحوا أدوات بيد الطاغوت فرعون، ثم مره واحده و بسبب تلك الانسانيه الكامنه فيهم وصلوا الى القمه.

هذا هو الإنسان، و القرآن يركز الضوء على هذا الإنسان، ليس بصوره عامه كما نلاحظ ذلك فى سوره الأعراف مثلا، بل بصوره خاصه يركز الضوء على علاقه

الإنسان بهدى الإله، و من الذى ينقذ الإنسان فى صراعه مع طبيعه و الشهوات، و كيف ينبغى للإنسان أن يتحدى طبيعه، و بما ذا؟ فى آيات سوره طه إشارات دقيقه الى موضوعات خفيه، ينبغى أن نتدبر فيها لنعرف أسباب رقى الإنسان، و ما هى العوامل التى لو التزم بها الإنسان لاستطاع أن يتحدى و أن يقاوم طبيعته و بالتالى لاستطاع الوصول الى الجنه؟

ص: ١٢١

## [سوره طه (۲۰): الآيات ۱ الى ۸]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طه (۱) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (۲) إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (۳) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (۴) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (۵) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (۶) وَإِنْ تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (۷) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (۸)

## اللغه

۵[استوی]:استولی،و هو کنایه من المالکیه المطلقه.

۶[الثری]:التراب.

ص:۱۲۲

هدى من الآيات:

يبحث هذا الدرس من سوره طه موضوعات شتى و لا غرابه، فكما قلنا مرارا:

ان الدرس الأول و الأخير من سور القرآن قد تبدو موضوعات غير منسجمه بادئ الرأى، إلا أنها-عند التأمل- نجدها ترمز الى كلّ الموضوعات التى نجدها فى السوره ببلاغه نافذه و قول فصل.

و الموضوعات فى هذا الدرس تشير الى دور الرساله، و انها جاءت لسعاده الإنسان، و ان صاحب الرساله التى يحملها لا ينبغى أن يقتل نفسه من أجل هدايه الناس، بل يكفى أن يذكرهم، فمن خشى تذكر، و من لم يخش عرض، و ان هذه الرساله إنما هى من الله رب السماوات و الأرض المحيط بهما و بالإنسان و بما يجهر به من القول أو يخفيه، و ان لله الأسماء الحسنى، التى تتجسد فى قصه موسى حيث انه ذهب فقيرا، مسكينا، ملتجئا الى الله فحمل معه مشعل الرساله مضيئا و هاجا و أنقذ سائر الناس بهذا المشعل الوقاد من الظلمات التى كانوا فيها.

ذلك المشعل الذي كان قوامه ذكر الله المتجسد، و توحيد العباده لله، و الايمان بالآخره، و الايمان بان عمل الإنسان هو الذي يتجسد في الآخره، و ان كل نفس تجزى بما علمت، هذه هي الموضوعات التي يبحثها الدرس الأول من سوره طه.

## بينات من الآيات:

### الرسول و هموم الهدايه:

قيل في كلمه «طه» ما قيل في الحروف المقطعه في بدايه السور، و أقول فيها ما قلته في أمثالها في سائر السور القرآنيه، حيث أتصور بأن الكلمه ترمز الى القرآن الحكيم، و لعلها هنا- كما جاءت في النصوص الاسلاميه- رمز الى الرسول صلى الله عليه و آله، فتكون لفظه (طاء) اختزالا- لجمله (طالب الحق) بينما تكون لفظه (هاء) اختزالا لجمله (الهادى اليه) (١) كما اننا نشير الى كتاب و نقول: هذا الكتاب، فكذلك لفظه (طه) انما هي الى القرآن ذاته، و قيل: ان طه هو رسول الله صلى الله عليه و آله .

[١-٢] طه\* ﴿٣٠﴾ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٣١﴾ إِنَّ رَسُولَ السَّمَاءِ نَزَلَ عَلَى الْإِنْسَانِ لَا لِيْ يَهْلِكَ نَفْسُهُ حَزْنَا عَلَيْهَا لِأَنَّ الْمَجْمَعِ لَا يُؤْمِنُ بِهَا، فَهُوَ لَا يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّتَهُ إِلَّا بِقَدْرِ الْبَلَاغِ فَقَطْ، وَ إِنَّمَا الرَّسُولُ مَبْلَغٌ، فَلَمَّا ذَا يَشْقَى نَفْسَهُ؟ قِيلَ إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَانَ يَسْهَرُ اللَّيْلَ بِالْعِبَادَةِ، وَ يَمْضِي النَّهَارَ بِالصِّيَامِ، مَتَعِبًا نَفْسَهُ، وَ

قد جاء في حديث شريف عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

ص: ١٢٤

«و لقد قام رسول الله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه، و اصفرّ وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عزّ و جل - طه\* ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ - بل لتسعد به ﴾ (١) و التفسير صحيح، و هو سبب النزول، و لكن القرآن الحكيم ليس خاصا بشخص الرسول الكريم فقط، و انما نزل كما

في حديث للإمام الصادق عليه السلام على لغه (إياك أعنى و اسمعى يا جاره) ، و نستفيد من هذه الآية أن صاحب الرسالة ينبغي أن لا يشقى نفسه لان الناس لا يؤمنون، و لا أن يكلف نفسه فوق طاقتها في تحمل واجبات الرسالة و مندوباتها، و قد أجهد الامام الحسن عليه السلام نفسه بالعباده مره فنهاه والده أمير المؤمنين عليه السلام قائلا: يا بنى ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق.

﴿ [٣] إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَىٰ فَإِذَا خَشِيَ النَّاسَ وَاعْتَبَرُوا فَلَهُمْ جَزَاؤُهُمْ، وَإِلَّا فَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ.﴾

و القرآن تذكره لمن يستفيد منه و لمن يوجد في ذاته الاستعداد لذلك، كما الأرض لا تستفيد من المطر إلا بشرط أن تكون مستعدة لاستقباله، و كذلك قلب الإنسان لا يستفيد من بركه الرسالة، إلا بشرط استعداده لاستقبالها و استعداده بالتذكره و الخشيه.

و من الذى يخاف؟ هل المجنون أو الطفل الصغير؟ أم الإنسان الهائج الذى أذهب الغضب عقله، أو الغافل الذى حجبت الغفله عقله؟ كلا.. انما يخاف الذى ينظر الى المستقبل،

ص: ١٢٥

(١ - ١) المصدر.

و يفكر فى عواقب الأمور، وهذا هو الإنسان الذى يستفيد من رساله، لأنه عاقل، و لذا كان الخوف من علامات العقل.

## هيمنه الله:

[٤] تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى أى العالیه.

قد يبدى الإنسان نوعا من الذهول عند ما يقرأ الأرقام العلمیه، فقد كان العلماء یقدرون عدد النجوم بالآلاف، ثم قدروها بمئات الألوف، ثم بالملايين و المليارات، و بعد ذلك عجز علمهم عن الإحصاء، و كانوا فى البدايه یقدرون المسافات و الابعاد التى تفصل الاجرام السماويه عن بعضها بوحداث القياس الاعتيادیه، ثم اكتشفوا ان هذه الوحداث الطويله أعجز من أن تصمد أمام المسافات الكونیه الرهيبه، فلجئوا الى استخدام السنه الضوئیه فى القياس، و هى المسافه التى یقطعها الضوء فى سنه كامله فى حين ان سرعه الضوء تبلغ حوالی (٣٠٠,٠٠٠) كيلومترا فى الثانيه.

هذه الأرقام يكاد الإنسان لا یصدقها من ضخامتها، و كثير منا لم یصدق بهبوط الإنسان على القمر، و انه للحقيقه، و كان القرآن الحكيم یشير الى أن رساله السماء نور منزل من خالق السماوات العلی.

[٥] الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اشْتَوَى و هو رحمن، لأنه خلق هذه السماوات و هذه النجوم و هذا الفضاء اللامتناهی و هذا الإنسان، فرحمته تتجلى فى إيجاد الأشياء من بعد العدم و اعطائها كيانا بعد أن لم تكن شيئا مذكورا.



ثم لم يترك السماوات بعد خلقها عبثاً، إنما استوى عليها، أى يشرف عليها و يأمرها فتأتمر و يزجرها فتزدجر، و بالتالى هو المسيطر المهيمن على السماوات و الأرض، فلا شىء فيها أقرب اليه من شىء، لأنه محيط بها جميعاً، علماً و قدره و سلطاناً و تدبيراً،

جاء فى حديث شريف عن عبد الرحمن بن الحجاج قال، سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ و جل الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى □  
، فقال: استوى من كل شىء، فليس شىء أقرب اليه من شىء، لم يبعد منه بعيد، و لم يقرب منه قريب، استوى من كل شىء. (١)

و العرش هنا بمعنى مركز القدره و السلطه و التدبير، و تعالى الله عما يتصوره الجاهلون، من أن العرش مقام ربنا المادى.. كلا: إن العرش لا يتحمل الرب، إنما الرب هو الذى يحمله،

جاء فى حديث مأثور عن الإمام على عليه السلام قاله لوفد النصارى و رئيسهم جاثليق:

فكان فيما سأله أن قال له: أخبرنى عن ربك أ يتحمل؟ فقال على عليه السلام: إن ربنا جلّ جلاله يحمل و لا- يحمل، قال النصرانى: و كيف ذلك و نحن نجد فى الإنجيل:

«و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه» فقال على عليه السلام: ان الملائكة تحمل العرش، و ليس العرش كما تظن كهيئته السرير، و لكنه شىء محدود مخلوق مدبر و ربك عزّ و جل مالكه، لا- انه عليه ككون الشىء على الشىء، و أمر الملائكة بحمله، فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه، قال النصرانى: صدقت يرحمك الله. (٢)

و جاء فى حديث آخر مأثور عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش و الكرسي فقال: ان للعرش صفات كثيره مختلفه، له فى كل سبب وضع فى

ص: ١٢٧

١-١) المصدر/ص ٣٦٨.

٢-٢) المصدر.

القرآن صفة على حده، فقوله: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قول: الملك العظيم، وقوله:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى يَقول: على الملك احتوى: وهذا ملك الكيفوفيه فى الأشياء، ثم العرش فى الوصل منفرد من الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعا غيبان، وهما فى الغيب مقرونان، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذى منه يطلع البدع، ومنه الأشياء كلها، والعرش هو الباب الباطن الذى يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأيمن والمشيه، وصفه الاراده، و علم الألفاظ والحركات، والترك و علم العود والبداء، فهما فى العلم بابان مقرونان، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي، فمن ذلك قال: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أى صفته من صفة الكرسي، وهما فى ذلك مقرونان. (١)

[٦] لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ وَلَمْ يَمْلِكِ الْقُرْآنُ أَحَدًا شَيْئًا، لأن الأشياء كلها لله سبحانه، وهو الذى يحكم فيها، وإذا أعطى الإنسان شيئًا، فانما يخوله الاستفاده منه، ويكون فى الواقع مستخلفا فيه لا مالكا حقيقيا له.

[٧] وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ إِذَا جَهَرْتَ بِكَلَامِكَ وَأَعْلَنْتَهُ، فان الله سبحانه لا يعلم ما جهرت به فقط، وانما أيضا يعلم خلفيات جهرك، ان كل كلمه ينطقها الإنسان جهارا قد يكون من ورائها ألف مقصد و مقصد و كل ذلك قد أحاط به الله علما.

ص: ١٢٨

[٨] اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ لَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى كُلُّ ذٰلِكَ الْجَمَالُ وَالْجَلَالُ وَ تَلْكَ الْعِظْمَةُ الَّتِي نَشَاهِدُهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الْمَخْلُوقَةِ مِنْ حَوْلِنَا اِنَّمَا هِيَ آيَةٌ لِاَسْمَاءِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالٰى، وَ اِنْعَكَاسٌ مِنْهَا عَلٰى الطَّبِيعَةِ، اَنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الْجَمَالِ وَ عِنْدَ مَا تَرَى شَيْئًا جَمِيْلًا فَانْكَ تَبْحَثُ عَمَّا هُوَ اَجْمَلُ مِنْهُ، وَ تَبْحَثُ عَنِ الْقُوَّةِ، فَاِذَا رَأَيْتَ قُوْيَا تَبْحَثُ عَمَّنْ هُوَ اَقْوٰى مِنْهُ، وَ تَبْحَثُ عَنِ الْعِظْمَةِ فَاِذَا رَأَيْتَ عَظِيْمًا تَبْحَثُ عَمَّنْ هُوَ اَعْظَمُ مِنْهُ، لِاَنَّ قَلْبَكَ اِنْعَكَسَتْ عَلَيْهِ اَسْمَاءُ اللّٰهِ الْحُسْنٰى، اَسْمَاءُ الْجَلَالِ وَ الْجَمَالِ وَ الْعِظْمَةِ الَّتِي هِيَ لِلّٰهِ، فَلَا يَقْتَنِعُ الْقَلْبُ بِالْمَخْلُوقِ، بَلْ لَا يَبْحَثُ عَنْهُ حَقًا.

وَ اَسْمَاءُ اللّٰهِ تُشِيرُ اِلَى صِفَاتِهِ وَ هِيَ كَثِيْرَةٌ، مِنْهَا مَا أُوتِيَ الْبَشَرُ عِلْمَهُ، وَ مِنْهَا مَا أُوتِيَ الْاَصْفِيَاءُ مِنَ الْبَشَرِ فَقَطْ عِلْمَهُ، وَ مِنْهَا مَا هُوَ غَيْبٌ لَا يَعْلَمُهُ اِلَّا رَبُّ الْعِزَّةِ، وَ

قَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ نَبِيِّ شَرِيْفٍ :

«اِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالٰى تَسْعَةٌ وَ تَسْعِيْنَ اسْمًا مِنْ اَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١)

ص: ١٢٩

اشاره

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى  
(١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا  
يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا  
تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)

اللغة

١٠ [بقبس]: القبس هو الشعلة للتدفئه.

هدى من الآيات:

فى اطار موضوع سوره طه التى تتحدث عن علاقات البشر بالدنيا وزينتها من جهه، ورسالات الله وقيمتها من جهه ثانيه، يتساءل السياق هنا: هل سمعت قصه موسى حينما حار بأهله فى الصحراء فرأى نارا فذهب إليها ليأتى منها بقبس، أو يجد هدى، ليعرف كيف يخرج من أزمته؟ وحين وصل إليها ناداه الرب: إنى أنا ربك، وأمره بأن يخلع نعليه لأنه فى مكان مقدس، وأخبره بأنه اختاره لرسالاته، وعلية أن يستمع إليها، وهى عبادته، وإقامه الصلاه لذكوره، والايان بالساعه التى لا ريب فيها، وحينها تجزى كل نفس بما تسعى، والتحصن ضد من يصدون عن الساعه لأنهم لا يؤمنون بها ويتبعون أهواءهم، وهم يريدون هلاكه.

كما ان الإنسان يفيق فى الصحراء من الغفله والضلاله فتحيط به الظلمات، وتلاحقه عوامل الخوف، فيبحث عن مشعل يستضيء به، وعن دفء يأوى إليه...

كذلك موسى كان فى تلك الليله المظلمه الشاتيه يسير فى صحراء سيناء يبحث عن دفاء و عن نور، يبحث عن دفاء يعالج به البرد القارص و عن هدى و نور يضىء به طريقه، فحينما رأى نارا من بعيد، كانت تلك النار بالنسبه اليه «أنسا» فاقترب إليها فاذا بها خير من النار و من النور، انها (الرساله) التى تعالج مشكله الإنسان، معالجه جذريه، فتسير سفينه عقله و تذكره بربه و تخط له خطا مستقيما الى الله.

إن تصوّر موسى فى تلك الليله، فى تلك الصحراء، الى جانب وادى طوى، و هو يكلم الله، و الله يكلمه و يناجيه، تصور هذا المنظر يبعث إلينا مشاعر مختلطه من السرور و الرهبه.

فمن جهه نشعر باننا حينما نضيع فى صحراء الحياه فلا بدّ أن نجد ربا يأخذ بأيدينا، ربا رحيمًا و دودا الى درجه أنّه يحدثنا. ترى أن الله يناجى موسى بعبارات قصيره، و لكنّ موسى يتحدث حديثًا طويلًا، حديث موسى مع ربه يكون بنفس طويل، لأنه وجد فى حديث ربه أنسا، كان يريد أن يبقى طويلًا مع ربه، برغم انه كان قد ترك أهله ينتظرونه ليرجع إليهم بالدفاء و الهدى، و هذا هو دائما منظر الإنسان و حالته و علاقته مع ربه فى الحياه، و هى علاقته الأخذ من دون تكلف، و الاهتداء به من دون خشيه أو رهبه.

و يبعث فينا هذا التصور الرهبه، حيث نخشى بأن يتركنا الرب إذا تركنا هداه.

ففى نفس الوقت الذى ترانا نحتاج الى الله حاجه ملحه فهو رحيم بنا، و دود معنا، مع ذلك شديد العقاب، هذه هى علاقته الإنسان بالله سبحانه و تعالى.

و الآيات هذه توحى إلينا بفكره أخرى، تلك هي فكره ارتفاع الإنسان الى هذا المستوى، حيث يكلمه الله سبحانه و تعالى تكليماً. نحتفظ بهذه الصورة لنقارنها بعدئذ بصورة آتية، و هي صورة (فرعون)، فمره يكون الإنسان في صورة (موسى) و مره يكون في صورة (فرعون)، و كل واحد من أبناء آدم في قلبه إنسانان، موسى و فرعون، فخذ لنفسك ما تشاء.

و هناك أفكار أخرى تستلهم من هذه الآيات سوف نتعرض لها عبر حديثنا التفصيلي.

## بينات من الآيات:

### حديث موسى:

[٩] وَ هَيْلٌ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ وَ هَذَا الْكَلَامُ لَيْسَ مُوجَّهًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَطْ وَ انَّمَا هُوَ -بصورة مركزه- مُوجَّهٌ إِلَيْكَ وَ إِلَيَّ.

[١٠] إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عِنْدَ مَا جَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَدِينِ إِلَى مِصْرَ وَ بَعْدَ أَنْ تَاهَ فِي الطَّرِيقِ مَعَ أَهْلِهِ فَإِذَا بِهِ يَشَاهِدُ نَارًا مِنْ بَعِيدٍ فَيَتَّجِهُ إِلَيْهَا لَعَلَّهُ يَحْصُلُ عَلَى جَذْوَةٍ مِنْهَا كَيْ يَتَدَفَّى هُوَ وَ أَهْلُهُ، وَ آنَسَتْ: مَأْخُذَةٌ مِنَ الْآنَسِ فَلَعَلَّهُ جَاءَ تَعْبِيرًا عَنِ تَصَوُّرِ وَجُودِ بَشَرٍ هُنَاكَ.

لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ رُبَمَا كَانَتِ النَّارُ بَعِيدَةً فَلَمَّ يَشَأُ مُوسَى أَنْ يَأْخُذَ أَهْلَهُ إِلَى تِلْكَ النَّارِ فَيَحْمِلُهُمْ

مشقه الطريق، لذلك أبقاهم فى مكانهم.

أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى لِّعَلَّنِي آسَأَلُ مَنْ قَدْ يَكُونُ عِنْدَ تِلْكَ النَّارِ عَنِ الطَّرِيقِ.

القرآن يوجز العبارات، و يرمز من خلال الإيجاز الى حاجات الإنسان فى الحياه، فمن جهه كانت هناك حاجه ماديه هى الدفء و النار، و من جهه أخرى كانت هناك حاجه معنويه و هى الهدى، و رساله الله تأتي بهاتين الحاجتين معا و لكن عبر سعى الإنسان. فالإنسان+الرساله الوفاء بحاجاته كلها.

### النداء المقدس:

[١١] فَلَمَّا آتَاهَا نُودَىٰ يَا مُوسَىٰ ۚ جَاءَ مُوسَىٰ لِيَقْتَبِسَ النَّارَ لِيَهْتَدِيَ بِهَدْيِ أَصْحَابِهَا، فَإِذَا بِنَدَاءٍ يَتَنَاهَىٰ إِلَىٰ سَمْعِهِ لَا يَعْرِفُ مَصْدَرَهُ، وَ لَذَلِكَ عِبْرَ الْقُرْآنِ بِكَلِمَةِ «نُودَىٰ»، فَيَأْتِيهِ النَّدَاءُ فِي الْبَدءِ وَ لَيْسَتْ الْمَنَاجَاهُ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْغَافِلَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَدَاءٍ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ مِنْ غَفْلَتِهِ، ثُمَّ يَنَاجِي مِنْ قَرِيبٍ.

من هذا الذى ينادينى باسمى؟ من الذى يعرفنى فى هذه الصحراء..؟ [١٢] إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَجَاءَهُ الْجَوَابُ وَاضِحًا بِأَنَّ الَّذِي يَكَلِّمُكَ هُوَ رَبُّ الْعِزَّةِ.

ص: ١٣٤



فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ أَوْلَ أَمْرٍ هُوَ أَنْ يَخْلَعَ مُوسَى نَعْلَيْهِ إِحْتِرَامًا لِمَنْ يَكَلِّمُ..

إِنَّكَ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى لَمَّا ذَا يَخْلَعُ نَعْلَيْهِ؟ وَ مَا هِيَ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ خَلْعِ النِّعْلَيْنِ وَ بَيْنَ وَجُودِ الْإِنْسَانِ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ؟ وَ لَمَّا ذَا يَقْدَسُ الْمَكَانُ..؟ الْجَوَابُ: إِنَّ خَلْعَ النِّعْلَيْنِ - كَمَا أَتَصَوَّرُ - إِنَّمَا هُوَ رِمَزٌ يَشِيرُ إِلَى تَجَرُّدِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَرْتِبَاتِهِ وَ عِلَاقَاتِهِ، وَ هَذَا التَّجَرُّدُ ضَرُورَةٌ تَمْهِيْدِيَةٌ لِاسْتِقْبَالِ نُورِ السَّمَاءِ، نُورِ الرِّسَالَةِ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ عِلَاقَةٌ بِأَهْلِكَ، بِأَوْلَادِكَ، بِسُلْطَانِكَ، فَانْكَ لَنْ تَفْهَمَ الرِّسَالَةَ، وَ لَنْ تَتِمَّكَنَ مِنْ اسْتِيعَابِهَا.

إِنَّمَا تَفْهَمُ الرِّسَالَةَ، إِذَا انْفَصَلْتَ عَنْ عِلَاقَاتِكَ، وَ اتَّجَهْتَ إِلَى اللَّهِ، لِذَلِكَ نَحْنُ فِي الْحَجِّ، تَوَمَّرٌ بِأَنْ نَخْلَعَ مَلَابِسَكَ الْعَادِيَةَ وَ نَلْبَسَ مَلَابِسَ بَسِيْطَةً، يَعْنِي تَجَرُّدَنَا عَنْ عِلَاقَاتِنَا الْأَرْضِيَّةِ، وَ قِيَمِنَا الْمَادِيَّةِ، وَ تَوَجُّهِنَا إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى، لِذَلِكَ أَمَرَ مُوسَى بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ، وَ بِذَلِكَ جَاءَتْ النُّصُوصُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي نَفَتْ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ أَنْ تَكُونَ نَعْلًا - مُوسَى - آتْنُدْ - مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ وَ لِذَلِكَ أَمَرَ بِنَزْعِهِمَا نَقْرًا مَعَ النَّصِّ التَّالِيِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ الْقَائِمِ عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ:

فِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَ تَمَامِ النِّعْمَةِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَمِيٍّ عَنِ الْحُجَّةِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ وَ فِيهِ: قُلْتُ فَاخْبِرْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ مُوسَى: فَخَالَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى، فَانْ فَهَاءُ الْفَرِيقَيْنِ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ إِهَابِ الْمَيْتَةِ؟ قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: مَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ افْتَرَى عَلَى مُوسَى فِيهَا، وَ اسْتَجْهَلَهُ فِي نُبُوَّتِهِ، لِأَنَّهُ مَا خَلَا الْأَمْرَ فِيهَا مِنْ خَطِيئَتَيْنِ:

أما أن تكون صلاة موسى فيها جائزه أو غير جائزه، فإن كانت صلاته جائزه، جاز له لبسها فى تلك البقعه إذا لم تكن مقدسه، و إن كانت مقدسه مطهره فليست بأقدس و أظهر من الصلاه، و إن كانت صلاته غير جائزه فيها فقد أوجب على موسى عليه السلام: أنه لم يعرف الحلال من الحرام، و علم ما جاز فيه الصلاه، و ما لم يجز، و هذا كفر، قلت: فاخبرنى يا مولاى عن التأويل فيها: قال صلوات الله عليه: ان موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبه منى، و غسلت قلبى عمن سواك، و كان شديد الحب لأهله، فقال الله تعالى: «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ» أى انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لى خالصه، و قلبك من الميل الى من سواى مغسول. (١)

و السؤال الآخر: ما هى العلاقه بين خلع النعلين و بين الوادى المقدس طوى؟ العلاقه ان الإنسان فى الأماكن المقدسه و المشرفه، يجب أن لا يكتفى بخشوع قلبه، و انما يجعل مظهره بشكل يدل على أنه خاشع لله سبحانه.

لذلك يستحب فى بعض الأماكن المقدسه أن يتحرك الإنسان إليها بخطى وئيده، لكى تدل طريقه مشيه على انه خاشع، و هكذا أمر الله موسى بأن يخلع نعليه فى ذلك المكان المقدس الذى لم يقدر لذاته، و انما لأنه ينتسب الى من هو متصف بالقدسيه، أو ليس أوحى الله سبحانه فى هذا المكان، أو ليس الوحي مقدسا؟ الوادى المقدس «طوى» هو فى جانب طور سيناء، و سبب قداسته حسب حديث الرسول صلى الله عليه و آله لأنه قدست فيه الأرواح، و اصطفت فيه الملائكه، و كلم الله عزّ و جل موسى تكليما. (٢)

ص: ١٣٦

١- (١) نور الثقلين/ ج ٣/ ص ٣٧٣-٣٧٤.

٢- (٢) نور الثقلين/ ج ٣/ ص ٣٧٤.

[١٣] وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ الاختيار هو تفضيل شيء لصفه مميزه فيه، و انما اختار ربنا الحكيم موسى (عليه السلام) لما وجد فيه من الصفات المثلى لحمل الرساله، و أهمها-فيما يبدو لى- صفه:الخروج عن الذات، و الاهتمام بالآخرين.

و هذه الصفه كانت متوفره فى كل الأنبياء و فى موسى-عليه السلام-بالذات، فأنت ترى انه نسى أهله، و جلس يتحدث مع الله حديثا مفصلا، لم يقل: ائذن لى يا الهى حتى أذهب و احضر أهلى ثم أكمل الحديث، كلاً بل ظلّ يواصل الكلام، كذلك يقول الله عن يوسف: **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**، إن الله يجزى أولئك الذين يحسنون الى الناس و يحبونهم و يعملون من أجلهم، و يخرجون عن ذواتهم من أجل المصلحه العامه، هؤلاء يهديهم الله بإعطائهم الرساله، و الحكم(الرساله).

### خلاصه الوحي:

[١٤] **إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي** إن خلاصه الوحي هى هذه الكلمات: الايمان بالله إلهها واحدا و عبادته.

**وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** و إقامة الصلاه ليست فقط بهذه الحركات الشكلييه التى يؤديها المصلى، و انما هى رمز لخضوع الإنسان لأمر الله عزّ و جل، و استعداداه لتطبيق كل أوامره و شرائعه على نفسه و على أسرته و على مجتمعه و أمته. و لذلك فهى عمود الدين ان قبلت قبل ما سواها، و إن ردت ردّ ما سواها، و من هنا وجب إقامة الصلاه متى ما ذكرها الفرد فى وقتها أو بعده، كما

روى عن أنس عن النبي صلى الله عليه و آله :

ص: ١٣٧

«من نسى صلاه، فليصلها إذا ذكرها، لا كفاره لها غير ذلك، وقرأ: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» (١) لما ذا قال الله لذكرى؟ ان العباده الشعائريه وحدها لا تكفى، لأن تلك العباده بمرور الزمن تتعرض للانحراف و التشويه، لذلك فان الإنسان بحاجة الى ذكر دائم لله كى تبقى عبوديته لله سبحانه و تعالى فى مأمن من التحول-بسبب ضغوط الحياه و وسوسه الشيطان- الى عبوديه غير الله فى شتى صورها.

لذلك-أتصور-إن كلمه «ذكرى» تعنى: ان ذكر الله سبحانه إنما هو فى الواقع الهدف الأسمى من الصلاه، حيث جاء فى آيه أخرى « وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ »، فالصلاه تهدف الى ذكر الله و الارتباط المباشر به سبحانه.

و هذه الآيه تدل على أن فى الصلاه وجوبين:

الوجوب الأول: هو الصلاه فى وقتها.

و الوجوب الثانى: هو أن الصلاه واجبه بعد وقتها، فاذا نسيت الصلاه وفات وقتها، فعليك أن تقضيها فى غير وقتها، لما ذا؟ لأن وجوب الصلاه إنما هو لذكر الله، و ذكر الله هو سر السعاده و الفلاح فى الدنيا و الآخره، لأنه سبحانه مصدر الخير الحقيقى فى هذا الوجود، و لا يمكن للعبد المخلوق أن يحصل من الله على الخير، فى حين أنه منصرف عن ذكره و التوجه إليه.

كما تدل الآيه أيضا على أن الصلاه يجب أن تكون بخشوع و من أجل ذكر الله،

ص: ١٣٨

فأساس الصلاة هو تحيتك مع الله، فحينما ترُكع و تقول: «سبحان ربي العظيم و بحمده» أو تسجد و تقول: «سبحان ربي الأعلى و بحمده» فان هذا هو نوع من التحية لربك تحييه بتنزيهه و تعظيمه.

### الحتمية التي لا بد منها:

[١٥] إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فِي بَعْضِ الْمَدَنِ الَّتِي تَفْتَقِدُ الْأَمْنَ، تَرَى أَنَّ السَّلْطَةَ تَقُومُ بِبَعْضِ الدُّورِيَّاتِ الْمَفَاجِئِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الدُّورِيَّاتِ الْإِعْتِيَادِيَّةِ الثَّابِتَةِ، فَجَاءَ تَأْتِي دَوْرِيَّةِ تَقْفِ عَلَى رَأْسِ شَارِعِ مَعِينٍ، وَ تَأْخُذُ بِتَفْتِيْشِ الْمَارِيْنَ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا كَانُوا يَعْرِفُونَ مَتَى وَ أَيْنَ تَأْتِي الدُّورِيَّةُ فَانْ بِإِمْكَانِهِمْ أَنْ يَفْلَتُوا مِنْهَا بِطَرِيقِهِ أَوْ بِأُخْرَى.

و كذلك نلاحظ في بعض المدارس، أنّ الأساتذة لا يحددون موعد الامتحان الى الطلبة، و فلسفتهم في ذلك أن كثيرا من الطلبة لو علموا بهذا الأمر، سيتقاعسون عن الدرس بانتظار أقرب موعد للامتحان، حيث يجدون و يجتهدون لفترة قصيرة فقط.

إنّ الله سبحانه و تعالى قد جعل الدنيا دار عمل و سعى يمر فيها الإنسان بمواقف كثيرة و امتحانات عديدة، فيتحمم عليه أن يبذل كلّ ما في وسعه ليجتازها بنجاح، و لا يتقاعس أو يؤخر واجباته على أمل أن يقوم بها فيما بعد، لأن الموت قد يفاجئه في أي لحظة، و يفقد تلك الفرصة الذهبية الثمينه التي منحها الله إياه في الدنيا، ثم لا يجد في الآخرة إلا الحسرة و الندامة، و الإنسان بطبعه يغفل أو يتغافل عن يوم الحساب، و حينما يغفل فانه يقوم بجرائم و أخطاء، فالغفلة طبعه عند الإنسان، و ربما كان هذا من سنه الله، فلو لم تكن الغفلة موجوده لم يكن الامتحان موجودا.

و لكن ما الذي يميز الطيبين عن الأشرار؟

إن الطيبين هم الذين يجدون لكى لا يغفلوا،و يعملون أبدا من أجل إيقاظ أنفسهم دائما.

إن القرآن يضع مسئوليته الهدياه و التريبه على الإنسان نفسه،فلا تنتظر أيها الإنسان مساعده من الغير فى تنبيهك من غفلتك، بل يتوجب عليك أن توقظ نفسك باستمرار من تلك الغفله،و إلاّ- تعرضت للاخطار الجسيمه،و صار مصيرك فى الآخره الى عواقب وخيمه.

و هذا التنبيه المستمر،يتم عبر إقامه الصلاه بشرائطها و حدودها الصحيحه و المحافظه على جوهرها،و الحيلوله دون تحولها-مع مرور الزمن-الى شكليات و طقوس فارغه من كلّ محتوى،و طريقه ذلك كما يرشدنا إليها

الحديث الشريف :

«اعبد الله كأنك تراه،فان لم تكن تراه فانه يراك» و كلمه «أَكَادُ أُخْفِيهَا» تشير الى أن الله عزّ و جل لم يخف الساعه إخفاء كاملا- فقد أعلنها،و بين كلّ ما يتعلق بها،و فصل كلّ ما يجرى فيها،و لكنه فقط أخفى موعدها،و هذا لكى يتحمل الإنسان المسئوليّه كامله فى الحياه الدنيا،ذلك انه لو عرف موعدها لأمضى قسما كبيرا من عمره دون تحمل أى مسئوليّه،إذا إخفاء موعدها لا بدّ منه لكى يكون الجزاء عادلا،فالجزاء يأتى بعد تحمل المسئوليّه،و إلاّ فانه سوف لن يكون له أى معنى ان كان ثوبا أو عقابا.و هناك تفسير أعمق من هذا التفسير نجده فى أحاديث آل البيت،حيث

جاء فى تفسير على بن إبراهيم فى قوله:

« إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا » قال: من نفسى،هكذا نزلت،قلت: كيف يخفيها عن نفسه؟قال:جعلها من غير وقت. و روى مثل ذلك عن ابن عباس،و هى كذلك فى قراء أبى. (1)

ص: ١٤٠

[١٦] فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ وَالَّذِي يُوْمِنُ بِالسَّاعَةِ وَيَتَذَكَّرُهَا دَائِمًا يَتَّبِعْ بِرَامِجِ اللَّهِ وَيَمْتَثِلْ أَوْامِرَهُ، وَبِالتَّالِي يَجِدُ الْفَلَاحَ، وَإِلَّا فَانْ مَصِيرُهُ التَّرْدَىٰ وَالسَّقُوطَ، وَلَوْ اتَّبَعَ مُوسَىٰ هَوَاهُ، وَنَسِيَ ذِكْرَ اللَّهِ، لَهَبَطَ إِلَى الْحَضِيضِ، كَمَا حَدَّثَ ذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى بَلْعَمِ بْنِ بَاعُورَاءَ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَآتَاهُ عِلْمَ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ، وَلَكِنْ حِينَ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، فَجَرَّدَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ شَبَّهَهُ بِالْكَلْبِ وَقَالَ: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ...».

و بِكَلِمَةٍ مَوْجُزَةٍ، فَانْ ذِكْرَ اللَّهِ يَعْنِي السَّعَادَةَ، وَالْإِنْصِرَافَ عَنْ ذِكْرِهِ يَعْنِي الشَّقَاءَ.

اشاره

وَ مَا تَلَّكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَ أَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَ لِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَحْفَ سِ نَعِيدَهَا سِ بَيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَ اضمم يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشرحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَ يسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَ اخللْ عَقْمَهُ مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَ اجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦)

اللغة

١٨] و أهش]:الهش ضرب ورق الشجر لیتساقط،أى أسقط بها ورق الشجر.

٢٢] جناحك]:الجناح هو اليد-سميت به تشبيها بجناح الطائر-و المقصود بجناحك:«الإبط».



٢٨] و احلل:] أى و فكّ.

٣١] أزرى:] ظهري، و منه المئزر لما يشدّ على الظهر.

ص: ١٤٣

هدى من الآيات:

وجد موسى عليه الصلاه و السلام عند ربه فى تلك الليله المظلمه الشاتيه دفئا و أنسا و هدى، و حينما سأله الله عن عصاه فاذا به يسترسل فى حديثه، بلى ان الفائده الاولى التى يحصل عليها المؤمن من إيمانه، هى السكينه القليه و الاطمئنان النفسى.

لكن سرعان ما امتحنه الله و ابتلاه بأمره الصعب، إذ لا يكفى للإنسان أن يدعى الإيمان من دون أن يحمل -بقدر إيمانه- مسئوليته و بلاء، و كلما كان الإيمان أعمق، كلما كان البلاء أشدّ «البلاء للأنبيا ثم الأولياء الأمثل فالأمثل».

و قد مرّ موسى عليه السلام بامتحان عسير، ففى البدء أمره الله أن يخلع نعليه، لأنه فى الوادى المقدس طوى، و ربما خشى موسى أن يؤمر من قبل الله سبحانه بترك عصاه كما فعل بنعليه، فلذلك حينما سأله الله عنها إذا به يبين فوائدها العديده: إنه يتوكأ

عليها، و يهش بها على غنمه، و له فيها حاجات أخرى غير تلك، فأمره الله أن يلقي عصاه فألقاها، و سرعان ما رأى أن تلك العصا قد تحولت الى ثعبان ضخمة، حيث جاء في النصوص إنه كان من القوه، بحيث يحطم الحجر، و يقتلع الشجر، و تتوقد عيناه في الليل المظلم. كان هذا امتحانا: حيث أمره الله بأن يلقي عصاه فامثل موسى، و الامتحان الآخر كان حيث أمره بأن يأخذ الثعبان فيمسكه من حلقه، و هو أخطر عضو فيه. ترى كم ينبغي أن يكون إيمان الإنسان بالله و بالرسالة، و تغلبه على طبيعته البشريه كبيرا حتى يتمكن من أن يقدم على هذه العمليه الصعبه؟! إن الإنسان بطبيعته يشكك نفسه-ألف مره- في مثل هذه الحالات، فاذا تعرض لامتحانات صعبه كما تعرض لها موسى عليه السلام، يقول لنفسه: من يقول بان هذا هو الله؟ و من يقول بأن الأمر واجب، و من يقول بأن الأمر فوري؟ و هكذا.. و لكن موسى بالرغم من خوفه الشديد النابع من طبيعته البشريه تحدى و أخذ الثعبان فتحول- بمجرد أن أمسك به- الى عصا كما كانت.

لقد اجتاز موسى في لحظات معدوده تلك المراحل التي اجتازها إبراهيم الخليل عليه الصلاه و السلام في سنين، فامر بحمل الرساله الى البشر. لقد تعرض إبراهيم الخليل عليه السلام لخطر شخصي حينما القى به في النار، و كذلك موسى تعرض لهذا الخطر حينما أمر بأن يأخذ الثعبان، و إبراهيم ترك زوجته و طفله الرضيع و حيددين في الصحراء، و انفلت عنها و توجه الى الله، و كذلك موسى ترك أهله و هم في ظروف صعبه، و توجه الى الله.

إبراهيم الخليل تعرض- مره أخرى- للغربه و الابتعاد عن بلده، و كذلك موسى تعرض لذلك حيث بقى ضالا في الصحراء مده الى أن اهتدى بفضل الله، هذا غير فراره الى مدين و بقاءه هناك لمدته عشر سنين.

هكذا اجتاز موسى مراحل الاختبار، و تخطى امتحانات الرساله بسهولة و يسر، فلما اجتازها جميعا بنجاح، حمل الله الرساله، و بعد أن حمل الرساله، طلب موسى من ربه أشياء لم تكن مجرد طلبات، بل كانت أيضا قرارات أقرها موسى على نفسه.

إنك لا تدعو ربك بدعاء إلا بعد أن تقرر الوصول الى ما تدعو الله له بكل وسيله ماديه مقدوره لك، و تدع بقيه الوسائل التى لا- تستطيعها الى الله سبحانه. إذا دعوت الله أن يطعمك فلا- يعنى ذلك بأن تجلس فى بيتك إنما عليك أن تبحث عن أرض صالحه و عن طريقه لتوصيل الماء إليها، و عن حب تزرعه فيها، و عن عمليه مبتكره للزراعه و السقايه و الحرث و الحصاد، ثم تطحنه و تخبزه و تحضره، و آئذ تأكله.

و أنت فى هذه المسيره الطويله تتعرض لصعوبات و عوامل مضاده لعمليه الزراعه، تلك العوامل المضاده التى ليس فى وسعك التغلب عليها، فتدعو الله أن ينصررك عليها، أما العوامل التى تستطيع أن تقوم بتوفيرها عمليا فينبغى أن تسعى من أجلها، هذا هو جوهر الدعاء.

لقد طلب موسى من الله سبحانه مجموعه طلبات كانت فى نفس الوقت مجموعه قرارات أقرها لنفسه كى يقوم بما طلب: أن يشرح له صدره، و يحل عقده من لسانه، و يبسر أمره، و يجعل له وزيرا من أهله و هكذا، هذه الطلبات كلها كانت تعنى حيث علم موسى: ان حمل الرساله بحاجه الى هذه الشروط الخمسه.

الشرط الأول: سعه الصدر، فسعه الصدر آله الرئاسه و لا يستطيع الفرد أن يصل الى الرئاسه الحقيقيه بحمل الرساله و تبليغها الى الناس، من دون أن يكون صدره واسعا، وسعه الصدر تعنى الصبر، و عدم الحزن أو التأثر من كلام المخالفين

و الجاهلين، و بالتالى فان صاحب هذه الصفه يستطيع أن يصدع بالحق دون أن تأخذه فى الله لومه لائم، أو يتأثر باعلام الناس.

الشرط الثانى: هو القدره على الحديث، فلقد كان موسى متماما لا يحسن الإعراب و الإفصاح فى حديثه عما يريد.

الشرط الثالث: بذل الجهود المكثفه لإفهام الناس رساله الله و أحكام شريعته، فليس وظيفه حامل الرساله أن يكره الناس على تطبيقها تحكما و استبدادا، و عوها أم لم يعوها.

الشرط الرابع: هو أن يبحث حامل الرساله عن مؤازره، و يشترك معه فى أمره، و ينبغى أن يكون أقرب الناس إليه.

الشرط الخامس و الأخير هو: أن يكون هو مع هذا الوزير يهدفان الى تسبيح الله و ذكره، و الدعوه اليه، لا الاستعلاء فى الأرض، و الطغيان على الناس.

و هذه الشروط تنبئ إليها موسى عليه الصلاه و السلام حينما حمّل الرساله، و كان فى ذلك دليل على أن اختيار الله موسى لرسالته انما تم بحكمته البالغه، إذ ان الله أعلم حيث يجعل رسالته، فلننظر كيف يحاور موسى ربه.

### بينات من الآيات:

### معجزتان:

[١٧-١٨] وَمَا تَلَمَّكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى يَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي يَدِ مُوسَى، و يعلم لماذا هو يحمل عصاه، و مع ذلك فهو

ص: ١٤٧

يسأله ربما ليمتحنه، إذ ان هذا السؤال يجعل موسى ينتبه الى أهميه عصاه و فوائدها الماديه له التي ربما يكون قد غفل عنها.

فعند ما يأتيه أمر الله بطرحها و القائها بعيدا يمثل لهذا الأمر بوعى.

كما اننا نستفيد من جواب موسى عليه السلام عدده أمور جانبيه اخرى و هي: انه يتعب نفسه فى العباده و الشغل بدلاله قوله (أتوكأ)، و انه كان يعمل فى مهنة الرعى، كما كان يستعمل عصاه فى أغراض اخرى، كالمدفاع عن نفسه إذا تعرض للاعتداء مثلاً.

[١٩] قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى أَنْ أَمَرَ اللَّهُ لِمُوسَى بِإِلْقَاءِ الْعَصَا بَعْدَ أَمْرِهِ بِخَلْعِ النِّعْلَيْنِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا قَلْنَا مِنْ اخْتِبَارِ لِلطَّاعَةِ، وَ التَّوَجُّهِ الْخَالِصِ لَهُ سَبْحَانَهُ، فَهُوَ أَيْضًا لِإِعْطَاءِ دَرَسٍ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ، وَ ذَلِكَ الدَّرْسُ هُوَ انْ اعْتِمَادَ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَقَطْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَ هُوَ يَجِيرُ وَ لَا يَجَارُ عَلَيْهِ، وَ انْ اعْتِمَادَ الْإِنْسَانَ عَلَى الْوَسَائِلِ الْمَادِيَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْحَيَاةِ مَا لَمْ تَكُنْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ امْتِنَالًا لِأَمْرِهِ فَانَّهُ لَا يَغْنَى عَنْهُ شَيْئًا فَانِ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.

[٢٠] فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْبَعِي كَانَتْ هَذِهِ مَفْاجِئًا مَذْهَلَةً وَ مَنْظَرًا رَهِيْبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُوسَى، وَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَبْدَّ بِهِ الْخَوْفُ وَ يُؤْدِيَ بِهِ إِلَى الْإِنْهِيَارِ جَاءَ النَّدَاءُ الرَّحْمَانِي.

[٢١] قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى أَي كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِ عَصَا.

[٢٢] وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيَظًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ أَى اجعلها تحت إبطك، فادخل موسى يده الكريمة تحت إبطه ثم أخرجها فاذا هي تشرق نورا. و معنى من غير سوء: ان البياض لم يكن من البرص كما توحى الى مثل ذلك التوراه المنحرفه. آيَهُ أُخْرَىٰ وَ ذَلِكَ تَعْرِيزًا لِلآيَةِ الْأُولَىٰ (العصا).

[٢٣] لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ وَعَدَ اللَّهُ مُوسَىٰ بِأَن يَرِيَهُ آيَاتٍ أُخْرَىٰ أَكْبَرَ مِنْ هَذِهِ، وَ فَعَلًا- كَانَ فُلُقَ الْبَحْرِ وَ إِغْرَاقَ فِرْعَوْنَ وَ أَصْحَابِهِ آيَةَ كُبْرَىٰ، وَ لَا نَنْسَى الْآيَاتِ الْمَفْصَلَاتِ الْآخَرَى (الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم و..و..).

هذه الآيات يجب أن تزيدنا إيماننا بامكانيه الانتصار، و بامكانيه الحصول على آيات أكبر منها، ان الله سبحانه يعطينا بعض الآيات الصغيره ليشير بذلك الى قدرته، و يجعلنا نؤمن بأن الآيه الكبرى أماننا هي الانتصار الكبير، و انما علينا أن نسعى و نبذل جهدنا، و لا نتقاعس أو نجبن و نخاف.

[٢٤] اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ الْقُرْآنَ حَدَدَ كَلِمَهُ وَاحِدَهُ حَوْلَ فِرْعَوْنَ وَ هِيَ الطَّغْيَانُ، وَ لَكِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَكْفِينَا عَنْ أَلْفِ كَلِمَةٍ، فَالْإِنْسَانُ الطَّاعِي يَفْعَلُ كُلَّ الْجَرَائِمِ وَ يَرْتَكِبُ كُلَّ الشُّرُورِ..

### الضروريات الرساليه:

هذه هي طلبات موسى و في نفس الوقت هي خطط موسى:

[٢٥] قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي اجعل صدري واسعا شرحا لا أتهيب الصعاب التي قد تواجهني في الطريق، انى أعلم بأن حمل الرسالة عمليه صعبه لذلك فأنا أحتاج الى صدر يسع كل مشاكل التبليغ و يزيد.

[٢٦] وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي لعل موسى عليه السلام كان يرى إنّ فرعون يصعد الموقف مما يدفع بموسى عليه السلام الى التصعيد أيضا-خصوصا-و ان موسى عليه السلام كان مشهورا بالغضب فى الله، فكان يريد أن تمشى المسائل بهدوء بدون حاجه الى العنف.

هذا من ناحيه و من ناحيه ثانيه فان موسى عليه السلام كان يدرك خطوره و صعوبه المسؤوليه على عاتقه،فكان يريد التيسير فى أموره،و رفع الثقل جرّاء حملة الرسالة.

هذا إذا علمنا أنّ الإنسان الذى يحمل هموما كثيره بسبب عمله لن يفلح أثناء عمله،لأين الهم و الاحساس بثقل العمل يثبط الإنسان عن العمل،فلذلك أراد موسى أن يزيل هموم عمله بدعائه لربه لتيسير عمله..الذى يعنى الاستعداد للقيام بدور أكبر..

[٢٧-٢٨] وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي كلمه اللسان هنا ربما تعبّر عن الاعلام،فموسى عليه السلام كان يطمح الى اعلام قوى يدخل فى الأعماق،و ربما هذه الفكره مأخوذه من قوله يَفْقَهُوا قَوْلِي و بمعنى آخر إن موسى يطمح الى شيئين:

الشيء الأول:قوه الاعلام الذاتيه،و هذا لا يتم إلا بمعرفه منطق الناس،كما



قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» وهذه الفكرة يدل عليها قوله: وَ  
اخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي وَ هِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الرِّوَايَةُ التَّالِيَةُ.

الشيء الثاني: خلق التأثير أو بمعنى آخر انه طلب من الله أن يلهم عقولهم التفهم لرسالته،و كأن موسى يدعو لهم بالعقل: وهذا ما  
تدل عليه الجملة الثانية يَفْقَهُوا قَوْلِي .

جاء في تفسير القمي عن الامام الباقر عليه السلام: «و كان فرعون يقتل اولاد بنى إسرائيل كلما يلدون، و يربى موسى و يكرمه، و  
لا يعلم أن هلاكه على يديه، و لما درج موسى كان يوما عند فرعون، فعطس فقال: الحمد لله رب العالمين، فأنكر فرعون ذلك و  
لطمه و قال: ما هذا الذي تقول..؟ فوثب موسى عليه السلام على لحيته و كان طويل اللحية فهبلها-أى قطعها- فألمه ألما شديدا، فهمم  
فرعون بقتله، فقالت له امرأته: هذا غلام لا يدرى ما تقول، فقال فرعون بلى يدرى، فقالت: ضع بين يديك تمرا و جمرا، فان مئز بين  
التمر و الجمر فهو الذى تقول، فوضع بين يديه تمرا و جمرا، و قال له: كل، فمد يده الى التمر فجاء جبرئيل فصرفها الى الجمر فأخذ  
الجمر فى فيه فاحترق لسانه، و صاح و بكى، فقالت آسيه لفرعون: ألم أقل لك انه لم يعقل.. فعفا عنه»..

هكذا أضحى موسى عليه السلام منذ ذلك اليوم ألثغا.

[٢٩-٣٠] وَ اجْعَلْ لِي وَ زِيْرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي لَقَدْ كَانَ هَارُونَ أَكْبَرَ سِنًا مِنْ مُوسَى، وَ كَانَ جَلَالَ النَّبُوْهِ ظَاهِرًا عَلَى مَحْيَاهُ، وَ  
كَانَتْ مَهْمَاتُ مُوسَى عَظِيْمَةً، إِذْ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى تَبْلِيْغِ رِسَالَاتِ اللَّهِ فَحَسْبُ، بَلْ وَ أَيْضًا مَقَاوِمَهُ طَاغُوتَ مَتَجَبَّرَ كَفْرَعُونَ، وَ إِنْقَاذِ  
شَعْبٍ مُسْتَضْعَفٍ ثَمَّ قِيَادَتِهِ

و توجيهه، فدعا ربه أن يجعل هارون وزيره.

و

قد جاء في حديث مأثور عن أبي جعفر الباقر عليه السلام :

قال الراوى فقلت لابي جعفر: و كان هارون أخوا موسى للأُم و أبيه؟ قال: نعم أما تسمع قول الله تعالى: يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لَا بِرَأْسِي ؟ فقلت: فأيهما كان أكبر سنا؟ قال: هارون، قلت: و كان الوحي ينزل عليهما جميعا؟ قال: كان الوحي ينزل على موسى، و موسى يوحيه الى هارون، فقلت:

أخبرني عن الأحكام و القضايا و الأمر و النهي كان ذلك إليهما؟ قال: كان الذي يناجي ربه و يكتب العلم، و يقضى بين بنى إسرائيل موسى، و هارون يخلفه إذا غاب من قومه للمناجاة. (١)

[٣١] أَشَدُّ بِهِ أَرْزَى أَى قَوْ بِهِ ظَهْرِي، و لعل ذلك يعنى انه كان يستخلفه عند ما يغيب عن قومه.

[٣٢] وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي أَى يَتَحَمَلُ جِزءً مِنْ مَسْئُولِيَّاتِهِ حَتَّى عِنْدَ وَجُودِهِ.

[٣٣] كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا التَّسْبِيحُ هُوَ تَنْزِيهِ اللَّهِ كَمَا

جاء في الحديث: انه سئل الامام أبا عبد الله عن معنى سبحان الله؟ فقال: تنزيهه. (٢)

ص: ١٥٢

١- ١) نور الثقلين / ج ٣ / ص ٣٧٧-٣٧٨.

٢- ٢) بحار الأنوار / ج ٩٣ / ص ١٧٧.

[٣٤] وَ نَذَكْرَكَ كَثِيرًا و لا يعنى ذكر الله مجرد تحريك اللسان، بل جعل الله مراقبا فى السر و العلن، و يدل على ذلك الحديث الشريف:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما ابتلى المؤمن بشيء أشدّ عليه من خصال ثلاث حرمها، قيل: وما هنّ؟ قال: المواساه فى ذات الله، و الإنصاف من نفسه، و ذكر الله كثيرا.

أما و انى لا أقول لكم: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلاّ الله و الله أكبر، و لكن ذكر الله عند ما أحل له، و ذكر الله عند ما حرم عليه. « (١) [٣٥] إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا بأعمالنا و تصرفاتنا، و لعلّ هذه الآيات توحى بأن هدف موسى و هارون لم يكن السيطرة بل تطبيق واجبات الرساله.

و نتساءل: ما الذى دعا موسى عليه السلام الى أن يطلب من الرب وزيراً كهارون عليه السلام؟ الجواب: إنّ موسى عليه السلام عرف منذ البدء أبعاد الرساله التى سوف يحملها، و الصعاب التى تعترضه فى سبيل تبليغها، و الضعف الذى اعترى قومه من بنى إسرائيل نتيجة الاستعباد مده طويله، و القوه التى طغى بها أعداؤهم من الأقباط بقيادة فرعون.

و كان يشعر- لذلك- بالحاجه الى من يسند ظهره، و يطبق واجبات الرساله بلا تردد، فىكون إماما فى الطاعه، و قدوه فى تنفيذ أوامر القيادة، فلم يجد أفضل من أخيه هارون.

ص: ١٥٣

و هكذا كل صاحب دعوه بحاجة الى شخصيه تتجلى فيه رسالته و يكون مثلا أعلى لها، كما كان هارون لموسى، و واصف بن برخيا الذى أوتى علما من الكتاب لسليمان، و يحيى لعيسى بن مريم، و كما كان على بن أبى طالب عليه السلام للنبي محمد صلى الله عليه و آله، و هكذا نجد

الرسول يكرر: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدى.

و لقد حدثت واقعه تاريخيه: أظهرت الحاجة الى ذلك.

حيث

إنّ النبي لما أراد الخروج الى غزوه تبوك استخلف أمير المؤمنين عليه السلام فى أهله و ولده و أزواجه و مهاجره فقال له: يا على ان المدينة لا- تصلح إلا- بى أو بك، فحسده أهل النفاق و عظم عليهم مقامه فيها بعد خروج النبي صلى الله عليه و آله و علموا انها تتحرس به و لا يكون للعدو فيها مطمع، فساءهم ذلك لما يرجونه من وقوع الفساد و الاختلاف عند خروج النبي- صلى الله عليه و آله- عنها، فارجفوا به عليه السلام و قالوا: لم يستخلفه رسول الله إكراما له و لا إجلالا و موده و إنما استخلفه استثقالا له، فلما بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم و فضيحتهم، فلحق بالنبي صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول الله ان المنافقين يزعمون: أنك انما خلفتني استثقالا و مقمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إرجع يا أخى الى مكانك فان المدينة لا- تصلح إلا- بى أو بك، فأنت خليفتى فى أهلى و دار هجرتى و قومى، أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدى؟» (١) [٣٦] قال قَدْ أُوتِيَ سُوْلُكَ يَا مُوسَى و هكذا منّ الله على عبده و رسوله موسى بن عمران، فأتاه كلّ ما سأله مره واحده، لأنه كان من وسائل تبليغ الرساله و لم تكن طلبات شخصيه.

ص: ١٥٤

اشاره

وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ إِنْ إقْذَفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لَتُصْنَعَنَّ عَلَيَّ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتْنَاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِينَ سَنَةً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدْرًا يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) إِذْ هَبَّ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآيَاتِي وَ لَا تَبَيَّنَا فِي ذِكْرِي (٤٢)

اللغة

٣٩[التابوت]: صندوق من خشب.

[اليم]: البحر، و هو بحر الأحمر الموجود في مصر.

[و لتصنع]: أى و لتربى.

٤٢[و لا تبينا]: لا تضعفا، من ونى ينى -بمعنى الضعف و الفتور.

هدى من الآيات:

سلسلتان من النعم تتوافر عند الإنسان لتكوّن شرطاً مسبقاً لتلقّيه النعمه الكبرى، وهى نعمه الهدايه الالهيه.

السلسله الأولى:النعم الماديه.

مثل النمو الجسدى،و التكامل العقلى،و وجود أدنى ضرورات الحياه المعيشيه.

السلسله الثانيه:النعم المعنويه.

مثل سلامه القلب،و عدم وجود نقص فى أىّ حاجه من الحاجات النفسيه،أو فى احساس الإنسان تجاه الآخرين،و سلامته من العقد النفسيه التى تمنع الهدايه.

تشير هذه الآيات الكريمه الى أن موسى عليه السلام قبل أن يتلقى الرساله،تلقى هاتين السلسلتين من النعم،فمن جهه نرى أن الله سبحانه و تعالى أنقذ النبى موسى عليه السلام من

قتل محتّم، فقد كان فرعون يقتل أبناء بنى إسرائيل و يستحيى نساءهم، فلمّا رأى أنّ نسل بنى إسرائيل سوف ينقطع بهذه الطريقه، أخذ يقتل فيهم عاما و يتركهم عاما، و قد ولد موسى عليه السلام فى تلك السنه التى يقتل فيها فرعون أبناء بنى إسرائيل و أنجاه الله مع ذلك من القتل، و بعد ذلك نجى من موت محتّم آخر، عند ما قتل قبطيا، فهرب الى المدائن، حيث تشكّل هذه الهجره الانطلاقه الرساليه الكبرى.

كما تعرض موسى عليه السلام لسلسله طويله من الإخطار، كذلك كلّ إنسان يتعرض لإخطار محدقه تكاد تودى بحياته، و لكنه ينقذ منها برحمه من الله و فضل، و القليل من الناس من يلتفت إليها أو يذكرها عند ما يكبر، و هنا يذكر الله موسى عليه السلام بطفولته حينما كاد جلاذوا فرعون أن يقتلوه فأنقذه الله، و لا بدّ أن نذكر أنفسنا بتلك الأيام الخوالى التى كادت الإخطار فيها أن تهلكتنا فأنقذنا الله منها.

كما يذكر الله موسى بالسلسله الثانيه من النعم، فقد ألقى الله عليه محبه ممن كانوا يحيطون به، لكى تنمو نفسه نموا متكاملادون عقد أو أدنى نقص، و يكون بذلك مستعدا لتلقى نعمه الهدايه، و لكن السؤال هل هذه نعمه خاصه؟ كلاً! كلّ واحد منا قد تلقى أمواجا من الرحمه و الحنان من قبل والديه، و من قبل المحيطين به، فالكثير نمت نفوسهم سليمه و مستقيمه مستعده لتلقى نعمه الهدايه، و لكن عند موسى يصبح هذا الأمر أكثر وضوحا، حيث ان الله سبحانه حمل التابوت الذى يحمل موسى الى بيت عدوه فرعون، و عند ما رآه فرعون وقع فى قلبه موقعا حسنا و أحبه فلم يقتله، و حينما قُتّش فرعون عن المراضع لم يجد إلا امه و هو لا يعرفها انها أمه، فعاد موسى الى أمه كى ينمو فى حضان الأمومه الدافئ، الذى يربى نفس الطفل على الاستقامه و السلامه المعنويه، لأن من يفقد حنان الأمومه طفلا يظل محتاجا لها كبيرا.

الطفل لا يرضع من ثدى أمه لبنا فقط، و إنما يرتضع من أمه حنانا و دفئا، و فى قصه موسى رمز الى هذه الرضاعه.

بعد أن تتوفر هاتان السلسلتان من النعم التمهيديه تأتي النعمه الكبرى و هى نعمه الهدايه.. و بعد ما ذكر الله رسوله موسى عليه السلام طلب منه أن يبلغ هذه النعمه (الرساله).

إن نعمه الهدايه بالنسبه لموسى، هى نعمه الرساله، و ليس للرسول الذى يبلغ الرساله فقط، بل هى للمرسل اليه الذى يتلقى الرساله و يستقبلها محاولا تطبيقها أيضا.

### بينات من الآيات:

#### منه النجاه:

[٣٧] وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۗ كَمَا مَنَّا عَلَيْكَ بِنَجَاتِكَ وَ رِضَاعَتِكَ وَ تَرْبِيتِكَ.

[٣٨] إِذِ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ ۖ مَا يُوحَىٰ وَ ضَعْنَا خَطَّهُ لِخَلَاصِكَ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ وَ جَلَادِيهِ، حَيْثُ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ صَنِيعَ تَابُوتٍ وَ وَضَعْنَا فِيهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ فِي الْيَمِّ.

إن الإنسان مزود فى حياته بتعاليم حول السلامه و الاسترزاق دون أن يعرف ان هذه تعاليم، و بطريقه ما ينقذ نفسه و ينقذ من كلف به من الإخطار بسببها،

جاء فى تعقيب صلاه العشاء: «اللهم أنه ليس لى علم بموضع رزقى و إنما أطلبه



بخطرات تخطر على قلبي...» (١) كل ذلك بوحي من الله سبحانه و تعالى، و لكن ذلك يتجلى عند موسى عليه السلام بشكل أكبر، ليرمز به الله سبحانه في وحيه الى الناس..

كل الناس.. في سائر الظروف.

[٣٩] أن اَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ قَالُوا: بَأْنِ أَمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا جَاءَهَا الْوَحْيُ أَنْ تَصْنَعَ تَابُوتًا لَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ تَصْنَعُ التَّابُوتَ، فَجَاءَهَا جِبْرَائِيلُ وَعَلَّمَهَا كَيْفَ تَصْنَعُ التَّابُوتَ، ثُمَّ بَطْنَتْ دَاخِلَ التَّابُوتِ بِالْقَطْنِ، لَتَمْنَعُ تَسْرَبَ الْمَاءِ إِلَى دَاخِلِهِ، ثُمَّ أَغْلَقْتَ التَّابُوتَ عَلَى مُوسَى، فَقَدَفْتَهُ فِي الْيَمِّ، وَالْيَمُّ هُنَا هُوَ نَهْرُ النَّيْلِ.

فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ أَيْ يَقْذِفُهُ النَّيْلَ إِلَى الشَّاطِئِ، وَ لَكِنْ أَيْ شَاطِئِ؟! إِنَّهُ بَيْتُ فِرْعَوْنَ، وَ هُنَا نَلَاظُ بِوَضُوحِ كَيْفِ تَسْخَرِ الطَّبِيعَةَ فِي خَدْمَةِ الْإِنْسَانِ.

### من مأمنه يؤتى الحذر:

يَأْخُذُهُ عَيْدٌ لِي وَ عَيْدٌ لَهُ لَمَّا ذَا يَرْبِي اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَيْتِ عَدُوهِ؟ لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا: أَيُّهَا الْبَشَرُ! أَنَا خَالِقُكُمْ وَ أُمُورُكُمْ بِيَدِي، فَهِيَ أَنَا ذَا أَرْبِي مُوسَى فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ عَدُوِّي وَ عَدُوهُ، تَحْتَ عَيْنِي فِرْعَوْنَ، ثُمَّ أَسْلَطَهُ عَلَيْهِ، وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ وَ قُدْرَتَهُ قَدْ تَأْتِي مِنْ دَاخِلِ قُصُورِ

ص: ١٥٩

الطغاه، و كما يقول المثل: (من مأمنه يؤتى الحذر).

وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي أَلْبَسَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَوْبَ الْمُحِبِّهِ كَمَا يَلْبَسُ الْإِنْسَانُ ثَوْبًا، بِحَيْثُ يَنْجَذِبُ إِلَيْهِ وَ يَحِبُّهُ كُلٌّ مِّنْ يَرَاهُ.

### / افي تنمية المواهب:

وَ لُتُضَيِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْمِيَ مَوَاهِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُورِهِ اسْتِثْنَائِيهِ تَمْهِيدًا لِتَحْمِيلِهِ الرِّسَالَةَ، وَ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَخْتَارُ أَنْبِيَاءَهُ مِنْذُ طُفُولَتِهِمْ فَيَعْرِضُهُمْ لِلْامْتِحَانَاتِ، وَ يَنْمِي مَوَاهِبَهُمْ بِطَرُقٍ مَعِينَةٍ، وَ هَذَا لَا يَخَالَفُ الْفِكْرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ حَوْلَ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَعَرَّضُونَ لِلْامْتِحَانَاتِ كَمَا يَتَعَرَّضُ غَيْرُهُمْ، قَالَ تَعَالَى: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (١).

إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى يَعْضُضُ أَنْبِيَاءَهُ لِلْامْتِحَانَاتِ صَعْبَةٍ إِلَى دَرَجَةٍ لَا يَتَحْمَلُهَا الْإِنْسَانُ الْعَادِي، وَ إِذَا لَمْ يَتَحْمَلْهَا النَّبِيُّ فَلَا يَخْتَارُهُ، وَ لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ هُنَاكَ نَعْمَةٌ تَسْبِقُ نَعْمَةَ الْامْتِحَانِ، وَ هِيَ بِنَاءُ النَّبِيِّ بِنَاءً اسْتِثْنَائِيًّا اسْتِعْدَادًا لِتَحْمِيلِهِ مَسْئُولِيَّاتِ ضَخْمَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَ يُمْكِنُ أَنْ نَضْرِبَ مِثْلًا لِهَذِهِ الْحَالَةِ بِالتَّدْرِيبِ فِي الْوَحَدَاتِ الْخَاصَّةِ فِي الْجَيْشِ.

هُؤَلَاءِ الْمُنْتَمُونَ إِلَى هَذِهِ الْوَحَدَاتِ يَتَعَرَّضُونَ لِتَدْرِيبِ صَعْبٍ وَ شَاقٍّ لِتَنْمُو مَوَاهِبِهِمْ، وَ تَتَدَرَّبُ أَجْسَادُهُمْ عَلَى الصَّعَابِ، وَ لَكِنْ هَلْ يَكْتَفِي الْمَدْرَبُ بِهَذِهِ

ص: ١٦٠

التدريبات الصعبة الشاقه؟ كلاً.. إنما يمتحنهم بعد ذلك امتحاناً، فإذا سقط أحدهم في الامتحان يسرّح.

النبي كذلك يتعرض منذ نعومه أظفاره لصعوبات، فعيسى عليه السلام تعرض لصعوبه ما، حيث انه ولد من غير أب، فاتهموا أمه الطاهره مريم عليه السلام، فانقذهما الله من هذه التهمه، و إبراهيم عليه السلام ولد في وضع مشابه لوضع موسى عليه السلام، حيث كان نمرود يقتل الأنباء و يستحيى النساء، فولدته أمه في هذا الوضع و نجاه الله سبحانه، و نبينا محمد صلى الله عليه و آله تعرض منذ طفولته لليتم.

٢/

### في بيت فرعون:

[٤٠] إِذِ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ حِينَمَا أَنْقَذَ اللَّهُ مُوسَىٰ مِنْ فِرْعَوْنَ، أَنْقَذَهُ مِنْ خَطَرِ مَادِي، وَ لَكِن يَنْقُذُهُ هُنَا مِنْ خَطَرِ مَعْنَوِي وَ نَفْسِي، ذَلِكَ هُوَ تَرْبِيَّتُهُ بِدُونِ أُمِّ وَ أَبِي، فَيَفْتَقِدُ إِلَى الْحَنَانِ، وَ افْتِقَادَهُ إِلَى حَنَانِ الْوَالِدَيْنِ قَدْ يَسَبِّبُ لَهُ عَقْدَهُ نَفْسِيهِ، فَيَفْقِدُ السَّلَامَةَ النَّفْسِيَّةَ الضَّرُورِيَّةَ لِاسْتِقْبَالِ الْوَحْيِ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَدَرَ أَنْ يَحُلَّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةَ.

أخذ فرعون هذا الطفل الصغير من بنى إسرائيل فالقى الله محبته في قلبه، و لكنه مع ذلك تجلّد، و قال: أيها الجلاد اضرب عنقه، لأنه عرف أن ملامحه هي ملامح بنى إسرائيل، فتدخلت زوجته آسيه بنت مزاحم: وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١) و قبل فرعون ترجى زوجته، و بعث الى من حوله من المراضع فجئن، و لكن موسى عليه السلام هذا الطفل الصغير أبى، أن يرتضع من أى ثدى، و هنا جاءت أخته التي أمرت من قبل أمه

ص: ١٤١

بأن تقصّ أثر التابوت، و تمشى وراءه، و كانت واقفه بباب فرعون حين بعث الى من حوله من المراضع، فأدخلت و قالت: إني أعرف من يرضعه و يكفله لكم.

### /٣/ العوده الى الأم:

فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ تَقْرَ عَيْنِ الْأُمِّ بِوَجُودِ طِفْلِهَا وَ تَطْمِئِنُّ، وَ يَسْتَفِيدُ الطِّفْلُ مِنْ هَذَا الْإِطْمِئْنَانِ.

و القرآن يشير هنا الى حنان الأمومه الضرورى لتنميه مواهب الطفل، لان الطفل لا يفهم شيئا آنشد، و لكن الأم وحدها هى التى تفهم مدى حنانها الى طفلها، و ان الطفل قره عينها و ان افتقاده يسبب حزنا لها.

### /٤/ فى محنه القتل:

مره أخرى ينجى موسى من الخطر المعنوى فيقول:

وَ قَتَلْتُ نَفْسًا فَجِئْتَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتْنَاكَ فُتُونًا أَنْقَذَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ مَرَّةٍ أُخْرَىٰ مِنَ الْمَوْتِ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْقِذْهُ مِنَ الْمَوْتِ فَقَطْ، بَلْ أَنْقَذَهُ أَيْضًا مِنَ الْغَمِّ، حَيْثُ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ قَضَىٰ فِي صِرَاعِهِ عَلَى الْقَبْطِيِّ، اغْتَمَّ بِسَبَبِ هَذِهِ الْفِعْلَةِ، وَ الْقَلْبِ الْمَصَابِ بِالْغَمِّ لَنْ يَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِتَلْقَى الرَّسَالَهَ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْغَمِّ، لَكِنَّهُ يَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِتَلْقَى زَخَاتِ الرَّسَالَهَ، وَ كَمْ نَجَانَا اللَّهُ وَ أَنْقَذَنَا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْغَمِّ، الَّذِى يَسَبِّبُ تَرَكَمَاتٍ فِي النَّفْسِ، وَ بِالتَّالِىِّ عَقْدًا نَفْسِيَهَ تَحْجِبُ الْإِنْسَانَ عَنْ فَهْمِ الرَّسَالَهِ.

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلِيًّا قَدْرًا يَا مُوسَىٰ أَيُّ بَقِي عَشْرَ سِنِينَ فِي مَدْيَنَ عِنْدَ عَمِّهِ شَعِيبَ، ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ هَذِهِ السَّنَوَاتِ

العشر جاء على قدر..يعنى جاء و قد قدر الله مجيئه تقديرا.

و نحن كثير من أعمالنا نحسبها صدفة،بينما هي أقدار من الله سبحانه، و هكذا قدر لموسى أن يأتي بعد عشر سنوات،و أن يتيه في الصحراء،و تلد زوجته، و يحتاج الى قبس من النار..قَدَّر له كل ذلك،ثم جىء به لاستقبال الرساله.

الأحداث هي التي تدفعك لان تختار طريقا،قد يكون فيه خيرك،فمثلا:

بعض الناس قد لا توجد لديه رغبه أساسا فى السياسه،و لا يتدخل فيها،لكن قد ينتمى ابنه الى حركه إسلاميه،فيطارده الأمن،و يفتش عنه فى بيته،فيسبه الأمن هو و أهله،فيتبه الأب و تنتبه الأم و الأخوه،ثم قد ينتمون الى هذه الحركه و قد يصبحون قاده لها أو شهداء فيها.

إذا جاءك قدر من هذه الأقدار،فاعرف بأن نعمه من الله سبحانه قد هبطت عليك،و ان الله يريد لك الجنه،و يريد لك أن تكون ذا شأن،فلا تغلقن الأبواب أمام الأقدار الخيره،و لا تمنع نفسك من بركات السماء.

ثم تأتي مرحله التربيه،و يجب على الإنسان أن يشكر مريبه الذى رباه على الخير و التقوى و الاستقامه و..و..منذ طفولته المبكره،و يجب على الإنسان أن يشكر ربه الذى و فر له مثل هؤلاء المربين الذين يربونه على الصفات الحسنه،و شكر الله على التربيه الفاضله التى تلقيتها هو أن تستجيب للرساله التى تهبط عليك.

### التربيه المثلى:

[٤١] وَ اضْطَنْعْتُكَ لِنَفْسِي خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ لِنَفْسِهِ،و خلق الأشياء للإنسان،كما

قال الله تعالى فى الحديث القدسي: [عبدى!خلقت الأشياء لأجلك،و خلقتك لأجلى،وهبتك الدنيا

بالإحسان و الآخرة بالإيمان] (١) خلق الله الإنسان ليكون منه خلفاؤه في الأرض، و سخر له كل شيء من الطبيعة، و كل شيء منه، العلم و الارادة و العقل، و لكن كثير من الناس لا يشكرون ربهم، و لا يعرفون منزلتهم فيهبطون الى حضيض الأنعام، بل أضل سبيلا: إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٢) و الاصطناع الرباني أكثر بروزا عند الأنبياء، لان الله يوفر للأنبياء التربيه المثلى، و يولدون من آباء و أمهات مؤمنين، فهم في قمة الكمال و الصلاح، و لو لا- صلاح الأبيون لما اختار الله سبحانه و تعالى من أولادهم أنبياء.

جاء في الآيه الكريمه حول نبينا محمد صلى الله عليه و آله : وَ تَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٣) فسرت هذه الآيه إنَّ النبي كان يتقلب في صلب الآباء و الأمهات الساجدين لله سبحانه، و أن جميع آباء النبي مؤمنين و صالحين.

[٤٢] اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِإِيَّتِي وَ لَا تَبِيحَا فِي ذِكْرِي بَعْدَ أَنْ وَفَرْنَا لَكَ وَسَائِلَ وَ ظُرُوفَ الاسْتِجَابَةِ لِلرِّسَالَةِ، مِنْ وَسَائِلِ مَادِيهِ وَ مَعْنُوِيهِ، وَ هَدَيْنَاكَ إِلَى الرِّسَالَةِ، اِحْمَلْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ الرِّسَالَةَ بِقُوَّةٍ وَ لَا تَضَعُفَا وَ لَا تَهِنَا فِي تَبْلِيغِهَا.

### ما هو الذكر؟

قد يكون الذكر هو الرساله، و قد يكون الذكر هو ذكر الله الذي يربى نفس

ص: ١٤٤

١-١) مشارق أنوار اليقين.

٢-٢) سورة الفرقان ٤٤.

٣-٣) سورة الشعراء ٢١٩.

الإنسان لتحمل صعوبات تبليغ الرسالة..فأنت حين تبلغ الرسالة تتعرض لمجموعه من الصعاب و المشاكل،و تجاوز تلك الصعاب و المشاكل لا يكون إلا بذكر الله سبحانه،فبذكر الله يطمئن قلبك،و تشتد إرادتك،لذلك على الإنسان الذى يحمل الرسالة ألا ينى و لا يفتر عن ذكر الله أبدا،كى ينصره الله على المشاكل.

ص:١٦٥

اشاره

اَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمُوعُ وَ أَرَىٰ (٤٦) فَأَيُّهَا قَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَيْعِ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذَّبٍ وَ تَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْمَآرِضَ مَهْدًىٰ وَ سَلَّمَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ لِبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْزُقُوا أَثْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولَىٰ الْأُنْهَىٰ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥)

اللغة

٤٥]يفرط علينا]:أى يتقدم فينا بعداب.

٥٣]مهدا]:كالمهد للطفل الذى يستقرّ فيه و يكون سببا لراحته و صحته.



[شئى]: جمع شئيت، أى مختلف.

٥٤[النهى]: جمع نهيه و هى العقل، و إنما قيل له نهيه لأنه ينهى الإنسان عن الفساد.

ص: ١٦٧

هدى من الآيات:

فى طريق الإنسان الى ربه عقبات و لا بدّ من تصفيتها:

أولاً: الاستهزاء (أو انعدام الاحساس بالمسؤولية).

ثانياً: الرجعية (و الحنين الى سيره القرون الأولى).

و تعالج آيات هذا الدرس هذه العقبات:

أول كلمه قالها الله لموسى و هارون (عليهما السلام) حينما أمرهما بدعوه فرعون الى الهدى هى: «إِنَّهُ طَغَىٰ»، و طغيان فرعون جاء من إحساسه بالاستغناء، فكلما أحسّ الإنسان بعدم الحاجه، و زعم إن حاجاته تتحقق يطغى، فأمر الله سبحانه و تعالى موسى و هارون عليه السلام بمعالجه الطغيان عن طريق التذكرو و التوجيه، و بيان حاجه فرعون الحقيقيه، بالرغم من زعمه بعدم الحاجه، ثم عالج السياق العقبه الثانيه، الاستهزاء ببيان ان الجزاء لواقع، و ان الإنسان لمسؤول عن مواقفه، لان



طموحه قد بلغ غايته، أما الفرد الذى يشعر بأنه لم يحقق أهدافه، فإنه يخشع للسبل و الوسائل التى تحقق ذلك الهدف.

[٤٤] فَتَقُولَ لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۚ كيف يعالج الطغيان القول اللين؟ لأن الطغيان حاله استكبار و غرور، و معالجه الغرور قد لا- يمكن بالعنف، بل بما ينفذ فى الأعماق، و لا يثير دفائن الكبر، و من هنا كان على الداعية أن يعرف: ان هدفه ليس تحطيم المتكبر، بل إرشاده، و بالتالى فعليه ألا يقابل طغيانه بطغيان مثله، بل بسعه الصدر و دماثة الخلق.

القول اللين هو الدرس العملى للطاغية، ليعرف أن طغيانه فى غير محله، القول اللين يأتى ليهدم أساس الطغيان و ليعرف صاحب الطغيان بأن هناك طريقا آخر لتحقيق الأهداف.

هناك فكره أخرى نستلهمها من هذه الآيه و هى: ان الطاغية حتى لو بلغ بطغيانه الى مستوى طغيان فرعون الذى يضرب به المثل، فهو لا يزال بشرا، و لا تزال هناك فرصه لهدايته، لذلك يجب أن لا نياس من هدايه أى بشر.

[٤٥] قَالا- رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا ۖ أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۚ كان موسى و هارون عليه السلام يخافان على الرساله قبل أن يخافا على أنفسهما، حيث كانا يخشيان مبادره فرعون بقتلهما، أو تعذيبهما بحيث يقطع عليهما الكلام، أو يمنع وصول الرساله الى الناس، و لعل هذا هو معنى « أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا » بمعنى يبادر بالعمل ضدنا.

و على هذا المعنى فلم يكن خوفهما هنا على أنفسهما، كما لم يكن خشيه

موسى فى مقام آخر على نفسه، حيث

يقول الامام على عليه السلام: «اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان اعزب رأى امرئ تخلف عنى! ما شككت فى الحق منذ رأيتة! لم يوجس موسى عليه السلام خيفه على نفسه، بل أشفق من غلبه الجهال و دول الضلال! « (١) هذا خوف. و الخوف الآخر هو أن يسبب الحديث معه المزيد من الطغيان.

هذان درسان لكل داعيه، فعليه أن يحاول إيصال الهدايه الى من يريد، قبل أن يبادر هو بقطع كلامه، و يفعل ذلك بحيث لا يزيده طغيانا.

### ما هو القول اللين؟

بعض الناس يتصورون بأن القول اللين هو مجرد الخضوع فى القول، و لكن يبدو أن القول اللين أوسع من هذا المعنى، فانه يشبه الماء الذى ينفذ فى كل مكان ممكن، فهو يبحث عن الثغرات فى قلب الطرف المقابل للنفوذ من خلالها، فهو ليس أسلوبا واحدا، إنما هو الحكمة فى اختيار الأسلوب المناسب فى الوقت المناسب.

[٤٦] قال لا تخافا بعد أن بين القرآن هاتين المشكلتين و حلّهما، أعطى حلا للمشكلة النفسية عند الداعية، و هى مشكله الخوف.

إِنِّى مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَ أَرى عند ما يطلب الله منهما عدم الخوف، فإنه يوفر لهما سبل نجاح دعوتهما، و الحفاظ عليهما، و هذا ما قضاه الله حين قال: إِنِّى مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَ أَرى ،

ص: ١٧١

و الذى يسمع هو القريب، و الذى يرى هو الشاهد، و لعل معنى الآية: إني أسمع القول، و أرى الفعل.

### الجانب الاجتماعى للرسالة:

[٤٧] فَأَيُّهَا قُورَظُؤَا إِنَّا رَسُؤَلَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا تُعَذِّبُهُمْ لَقَدْ حَمَلتِ الرَّسَالَهَ الْإِلَهِيَهَ إِلَى الْإِنْسَانِيَهَ الْمَعَذِبَهَ بَشَرِي الْعَدَالَهَ، أَوْ لَيْسَتِ الرَّسَالَهَ الْإِلَهِيَهَ تَنْزَلُ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ حَيَاةِ النَّاسِ، أَوْ لَيْسَ فَسَادُ الْمَجْتَمَعِ الْفِرْعَوْنِي الْخَطَرُ هُوَ الْعَنْصَرِيَهَ، وَ اسْتِضْعَافُ طَائِفَهَ مِنَ النَّاسِ.. هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، هَكَذَا جَاءتِ الرَّسَالَهَ تَأْمُرُ فِرْعَوْنَ الطَّاغِيَهَ بِهَدْمِ أُسْوَاسِ حُكْمِهِ، وَ إِطْلَاقِ حُرِيَهَ الْفِتْنَهَ الْمُسْتِضْعَفَهَ.

قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَّبِعِ الْهُدَى هُوَ الْإِسْلَامُ، وَ الْإِسْلَامُ يَعْنِي السَّلَامُ، وَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ السَّلَامُ مِنْ دُونِ الْهُدَى، فَمَنْ الْخَطَأُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْبَعْضُ بِأَنَّ السَّلَامَ يَتَحَقَّقُ عَنْ طَرِيقِ الظُّلْمِ.

الْإِسْلَامُ يَرْفُضُ هَذِهِ الْفِكْرَهَ وَ يَقُولُ: إِنَّ السَّلَامَ يَجِبُ أَنْ يَقَامَ عَلَى أُسْوَاسِ (الْهُدَى) وَ أَنَّهُ مِنْ دُونِ الْهُدَى لَا سَلَامَ، وَ الْحَرْبُ وَ الصَّرَاعُ سَيِّقِيَانِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْهُدَى.

[٤٨] إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى يَبْدُو مِنَ السِّيَاقِ: أَنَّ الْفِكْرَهَ الثَّانِيَهَ الَّتِي طَرَحْتَهَا رَسَالَهَ اللَّهِ هِيَ فِكْرَهَ الْمَسْؤُولِيَهَ، وَ أَنَّ الْبَشَرَ مَجْزِي بِعَمَلِهِ، فَلَهَ السَّلَامُ إِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى، وَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ إِنْ

كذب و تولّى، وهذه الفكره التى تؤكدها فطره البشر،هى حجر الأساس فى بناء صرح الثقافه السليمه.

[٤٩] قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ كَانَ الْبَشَرُ عِبْرَ التَّارِيخِ يَعْتَقِدُونَ بِاللَّهِ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِنْ اعْتِقَادَهُمْ كَانَ أَبَدًا مَشُوبًا بِالشَّرْكِ، لِذَلِكَ يُطْرَحُ هَذَا السُّؤَالُ: مَاذَا أَرَادَ فِرْعَوْنُ بِاسْتِفْهَامِهِ عَنْ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ؟ الْجَوَابُ: لَعَلَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَنْسِبَ حَرَكَةَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ التَّغْيِيرِيَّةَ إِلَى قُوَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ أَرْضِيَّةٍ، وَكَانَ يَعْنِي بِالرَّبِّ هُنَا مَا يُقَالُ عَنِ (رَبِّ الْعَائِلَةِ): أَيُّ مَسْئُولِهَا - أَيُّ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَفْسُدُوا السُّلْطَانَ الَّذِي أَمْلَكَكُمْ، عَنْ طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَى دَوْلِهِ أُخْرَى، وَبِالتَّالِي كَانَ فِرْعَوْنَ - كَأَيُّ طَاغُوتٍ أُخْرٍ - يَتَّهَمُ الْحَرَكَاتِ التَّحْرِيرِيَّةَ بِأَنَّهَا حَرَكَاتٌ عَمِيلَةٌ، فَأَجَابَهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَانْنَا لَا نَدْعُو إِلَى إِسْقَاطِ هَذِهِ الْحُكُومَةِ وَقِيَامِ حُكُومَةٍ نَحْكُمُهَا نَحْنُ، وَانَّمَا نَدْعُو إِلَى تَحْرِيرِ الْإِنْسَانِ وَخَاصَّةً بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَيْسَ مِنْ عِبُودِيَّتِكَ فَقَطْ، بَلْ مِنْ عِبُودِيَّةِ أَيِّ سُلْطَةٍ، حَتَّىٰ وَ لَوْ كَانَتْ مِنْ دَاخِلِ تَجْمَعِهِمْ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى عِبُودِيَّةِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْحَرِيَّةُ الْمَطْلُوقَةُ.

[٥٠] قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ إِنَّنَا لَا نَدْعُو إِلَىٰ أَحَدٍ وَ إِنَّمَا نَدْعُو إِلَى اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ، ثُمَّ هَدَاها فِي طَرِيقِهِ تَنْفُسَهَا، وَ أَكْلَهَا، وَ شَرِبَهَا، وَ الْحَمَايَةَ عَنْ نَفْسِهَا وَ.. فَاللَّهُ حِينَما خَلَقَ الْأَشْيَاءَ عَلَّمَ أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى وَسَائِلِ تَغْذِيَةٍ وَ حَمَايَةٍ وَ تَمْتَعٍ وَ غَيْرِها، فَهَدَاها إِلَى كُلِّ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ! فَهُوَ إِذْنِ الرَّبِّ الْحَقِيقِ بِالْعِبَادَةِ، وَ التَّسْلِيمِ وَ الْوَلَايَةِ.

وَ مِنْ خِلالِ هَدَايَةِ اللَّهِ لِلْأَشْيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَهْتَدِيَ الْإِنْسَانُ بِهَدْيِ الْعَقْلِ وَ رِسالَةِ الرَّبِّ، إِلَى مَنافِعِهِ وَ مِصالِحِهِ الْحَقِيقِيَّةِ.

[٥٢-٥١] قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ \* قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الْأَفْكَارَ الَّتِي تَتَشَبَثُ بِهَا يَا فِرْعَوْنَ! هِيَ أَفْكَارُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ، وَيَبْدُو أَنَّ الطَّغَاهَ يَنْصَبُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَدَافِعِينَ عَنِ التَّقَالِيدِ وَالْعَادَاتِ، وَذَلِكَ لِهَدْفِينَ:

أولاً: إيهاً الناس بأنهم يدافعون عن مقدساتهم، وبالتالي فهم أجدر بالسلطة من غيرهم.

ثانياً: الخوف من التغيير، لأنه قد يحمل معه ما يهدم سلطانهم، ذلك إن أبرز خصائص النظام السياسي هو الثبات.

هكذا تساءل فرعون عن مصير السابقين، هل هم في الجنة أم في النار، وإذا كانوا كفاراً فلما ذا لم يعذبهم الله في الدنيا، فأعرض موسى عليه السلام عن الإجابة المباشرة، ببيان السنه الإلهيه العامه، و ان عند الله علم هؤلاء في كتاب، وبالتالي فان حسابهم محفوظ، وتأخير العذاب لا يدل على نفيه، كما ان الله يحكم عليهم بالقسط، ولا يظلم أحداً شيئاً، و ان هذا الكتاب لا يسجل باطلاً ولا يمحي عنه شيء، فلا يضل ولا ينسى.

ثم أشار موسى الى صفات الرب، لعل فرعون يخشع قلبه لذكر الله، و من لم يلن قلبه لذكر الله، فانه أقسى من الصخور الصماء.

[٥٣] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا أَي جَعَلَ الْأَرْضَ بَحِيثَ تَسْتَطِيعُونَ الْبَقَاءَ عَلَيْهَا، إِذْ لَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ رَمَالٍ مَتَحْرِكَةٍ أَوْ أَسْمَكٍ قَلِيلًا، أَوْ أَرْقٍ قَلِيلًا، لَتَغَيَّرَتْ مَعَادِلُهُ الْحَيَاةِ



عليها.

وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ لِبَاتٍ شَتَّىٰ نَظَرَهُ إِلَى الْكَوْنِ فِيمَا حَوْلَ الْإِنْسَانِ، كَافِيهِ بِأَنْ تَعْطِيَهُ فِكْرَهُ هَامَهُ هِيَ: إِنْ هَذَا الْكَوْنُ مَخْلُوقٌ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ مَرْتَبٌ تَرْتِيبًا دَقِيقًا لِهَدَفٍ مُعَيَّنٍ، فَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلسَّكَنِ وَ الزَّرْعِ وَ تَخْزِينِ الْمَعَادِنِ وَ الْمِيَاهِ وَ غَيْرِهَا، وَ الْجِبَالُ لِتُرْسِيَ الْأَرْضَ وَ تَصُدَّ الرِّيَّاحَ وَ هَكَذَا..

وَ حَسَبَ حَاجَاتِ الْإِنْسَانِ وَ الْحَيَوَانَ وَ الْأَرْضِ وَ الْبَيْئَةِ يَنْبَتُ نَبَاتِ الْأَرْضِ، وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ حَكْمِهِ بِالْغَيْهِ تَدْبِيرِ هَذَا الْكَوْنِ.

[٥٤] كَلُّوا وَ ارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ أُولِي النُّهَىٰ: أُولُو الْفِكْرِ، وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وَ أُولِي النُّهَىٰ-أَيُّ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْإِنْحِرَافِ.

[٥٥] مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ هَذِهِ الْأَرْضُ هِيَ أَمْنَا الْحَنُونَ الَّتِي خَلَقْنَا مِنْهَا وَ تَحْرَكْنَا عَلَيْهَا، ثُمَّ نَعُودُ إِلَى بَطْنِهَا ثُمَّ نَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا مَرَّةً أُخْرَىٰ لِكِي نَحَاسِبَ، هَكَذَا قَالَ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ.

وَ لَعَلَّ مُرَادَ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَذْكَيرَ الطَّغَاةِ الَّذِينَ يَسْتَعْلُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَ يَسْتَعْبِدُونَ النَّاسَ، تَذْكَيرَهُمْ بِأَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا مِنْ تَرَابٍ، فَلَا تَفَاضِلَ بَيْنَهُمْ فِي الْمُنْشَأِ، وَ يَعُودُونَ إِلَى التَّرَابِ، فَلَا تَفَاضِلَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَصِيرِ، وَ يَقُومُونَ مِنَ التَّرَابِ لِلْجِزَاءِ، وَ هُوَ الَّذِي يَجَسِّدُ التَّفَاضِلَ الْحَقِيقِيَّ بَيْنَهُمْ وَ ذَلِكَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

ص: ١٧٥

اشاره

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجئتُنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلْكُكُمْ لَا تَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتُرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لِسِحْرِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)

اللغه

٥٨[مكانا سوى]:منتصفا بيننا و بينك فلا يكون أقرب إليك و لا إلينا.

٦١[فيسحتكم]:يستأصلكم،أو يهلككم فإن سحت أو أسحت بمعنى أهلك.

٦٢[و أسروا النجوى]:أخذ بعضهم يناجى الآخر سرا.

٦٣[المثلى]: مؤنث الأمل، أى الأفضل و الأحسن.

ص: ١٧٧

هدى من الآيات:

على صاحب الرساله أن لا يتصور الطاغوت حديدا لا يلين، إنما هو بشر من لحم و دم، يملك فؤادا يتقلب بين الخوف و الرجاء، و الأمل و اليأس، و على الداعيه أن يسعى من أجل تذكره بشتى السبل الممكنه، و لكن لا يعنى ذلك أن الطاغوت يستجيب له أبدا، فقد يؤمن و يهتز ضميره، و قد يبقى على ضلالتة علوا و استكبارا.

و تؤكد هذه الفكره مقارنة بين هذه الآيات و آيات الدرس السابقه، ففيه نجد فرعون يتحدث و كأن الأمور جميعا بيده، أما فى هذا الدرس فقد تغير منطقته، فصار يتحدث باعتباره ندا لموسى عليه السلام حين قال فلنأتينك بسحر مثله، و قد جعل رأى الناس مقياسا.

و إنما تغير أسلوب الحديث عند فرعون، بسبب الكلمات الصاعقه التى وجهها إليه موسى عليه السلام .

و هكذا قال فرعون لموسى عليه السلام: هل لك أن تأتيني بآيه؟ فأراه الآيتين: العصا و اليد البيضاء، ولكنه كذب مبررا تكذيبه بالمعاذير التافهه-شأن كل إنسان يكذب بالحقيقه-، و الواقع إن هناك ثلاثه أساليب يتذرع بها الطغاه ضد أى تحرك يعارضهم: أولا- تليفق الاشاعات ضد المصلحين، و التى تتكرر بصور شتى، فمره يقولون: إن هؤلاء مجانين كما قالوا للرسول، و مره يقولون: إنهم إرهابيون، و مره يقولون: إنهم سحره، و مره يتهمونهم بالتطرف الدينى.

ثانيا: محاوله احتواء الثوره، و طرح شعارات كاذبه و متشابهه لمواجهه مبادئ الرساله، كالشاه المقبور حين رأى مدّا ثوريا حاول احتواءه بما سماه بالثوره البيضاء و التى لم تكن سوى شعارات فارغه، و بديلا زائفا للثوره الحقيقه.

و هكذا المستكبرون يغيرون أنظمه الحكم فى بلادنا كلما اهترت عروشهم، و اهترأت أساليبهم، و يأتون بديلا عنها بأنظمه متناسبه و الظروف المتجدده، و يسرقون شعارات الثوار، و يفرغونها عن محتوياتها ليخدعوا بها السذج، حيث قال فرعون: فلنأتينك بسحر مثل سحر ك، أى إذا كنت قد أتيت بعصا فسناًتيك بعصى و حبال مثلها.

ثالثا: طرح فكره الصراع على الناس، حيث طلب فرعون إجراء استفتاء شعبى.

### بينات من الآيات:

[٥٦] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أَبَى الْعَصَا وَ الْيَدِ آيَاتَانِ، وَ هُنَاكَ آيَاتٌ سَبْعٌ آخِرِيَاتٌ ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ

هى:السنين،و النقص فى الثمرات،و الطوفان،و الجراد،و القمل،و الضفادع، و الدم.

و أبلغ من هذه،تذكره موسى عليه السلام فرعون بالله و المعاد،و بأن أصله من تراب، و أن لا فضل له على الآخرين، فكذب و أبى إلا الكفر.

[٥٧] قَالِ أَمْ جِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى تَهْمَتَانِ وَجْهَهُمَا فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: اتِّهَامُ مُوسَى بِأَنَّهُ مَخْلُوعٌ بِالْأَمْنِ، وَ اتِّهَامُهُ بِالسِّحْرِ.

[٥٨] فَلِنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ وَ لَعَلَّ هَذَا الْقَوْلُ يَشْبَهُ مَزَايِدَاتِ الْإِنْظَمِ فِي طَرَحِ الشُّعَارَاتِ الْوَطْنِيَّةِ وَ الثُّورِيَّةِ، وَ قَدْ حَاوَلَ فِرْعَوْنُ إِثَارَهُ حَفِيظَةَ الْجَمَاهِيرِ ضِدَّ مُوسَى، شَأْنُهُ شَأْنُ كُلِّ الطَّغَاةِ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ خِدَاعَ الْجَمَاهِيرِ، فَطَلَبَ مِنْ مُوسَى تَحْدِيدَ مَوْعِدِ نَهَائِي فِي مَكَانٍ مَعِينٍ يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ فَيَتَحَدَى السِّحْرَهُ آيَاتِ مُوسَى.

فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى فَبَادَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ حَدَّدَ مِيعَادَ الْمُوجَّهَةِ حِينَ قَالَ:

[٥٩] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ يَوْمَ الزَّيْنَةِ: يَوْمَ الْعِيدِ، وَ لَكِنْ لِمَاذَا يَوْمَ الْعِيدِ بِالذَّاتِ؟ لِأَنَّهُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ يَتَفَرَّغُ النَّاسُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ. وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى

و حدد موسى عليه السلام وقت التحدى بالضحي، لان هذا الوقت يناسب الجميع فالنائم يكون قد استيقظ، و البعيد وصل، و الإنسان يكون فى أفضل حالاته الفكرية.

[٦٠] فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ۖ وَأَخَذَ فِرْعَوْنُ يَدَيْهِ وَيَجْمَعُ كَيْدَهُ، وَيَلْمِمْ قَوَاهِ.

[٦١] قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۚ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۚ لَقَدْ بَادَرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْقَاءِ الْحِجَةِ عَلَى السِّحْرِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ.

أولاً: لأنه رسول إليهم أيضاً، و أول واجبات الرسول هو إنقاذ الناس بالموعظه.

و ثانياً: هزّ ضمائرهم ليلحق بهم هزيمة نفسه، فكأنه قال لهم أيها السحرة! يا من تخدمون النظام بعلمكم، و تصبجون مرتزقه للظالمين من أجل لقمة خبز.. لا تفتروا على الله كذباً بادعائكم إنى ساحر، أو بتأليهكم فرعون و تكذيبكم رسالتي فانكم إذا كنتم كذلك، سيسحتم الله بعذاب بئس، لان العلم نعمه من عند الله للإنسان يجب أن تشكر، فاذا لم تشكر أصبح نقمه، و السحت اقتلاع الشيء من جذوره، و إذا قلعت الشجرة من جذورها، يقال سحّتها.

[٦٢] فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ بَيْنَ مَصْدَقٍ وَ مَكْذَبٍ.

وَ اسْرُّوا النَّجْوَى ۚ

يبدو أنهم اتفقوا على أمر معين و اخفوه،و لم يكن اتفاقهم على باطل،لأنهم كانوا متفقين عليه منذ السابق.

يقول بعض المفسرين:إن السحره اتفقوا على أنه لو غلبهم موسى خضعوا له، و قد كان هذا المنظر مثيرا،لأن السحره يعتبرون كيدا لفرعون،و أداه ينفذ بها مآربه،و ها هم يناجى الواحد منهم الآخر،خشيه بطش فرعون،و تتضح هنا تبعيه العلم للقوه.

[٦٣] قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ۚ يَبِيدُوا إِنَّ الْمَعَارِضَ كَانَتْ مَوْجُودَةً، وَ أَنَّ الطَّاغُوتَ كَانَتْ خَائِفًا مِّنْ أَنْ يَمِيلَ الشَّعْبُ تَجَاهَ مُوسَىٰ، وَ لِذَلِكَ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ الْبَعْدَ النَّفْسَىٰ بَيْنَ الشَّعْبِ وَ مَنْقُذِيهِ، فَادَّعَىٰ أَنَّ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ يَسْتَعْدِمَانِ السَّحْرَ لِلْوَصُولِ إِلَىٰ أَهْدَافِ سِيَاسِيهِ، بَلْ أَهْدَافُ إِجْرَامِيهِ تَتَمَثَّلُ فِي إِخْرَاجِكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ، وَ هَذَا مَا يَعْمَلُهُ الطَّاغَاةُ عِنْدَ مَا يُرِيدُونَ أَنْ يُوَاجِهُوا تَجْمَعًا أَوْ حَرَكَةً حَيْثُ يَرِبْطُونَ تَحْرِكُهُمْ بِمَا يَكْرَهُ النَّاسُ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ اتَّهَمُوا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ أَضَافُوا كَلِمَةَ أُخْرَىٰ وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا يَقُولُهَا عَادَةً إِلَّا مَرْتَزِقُهُ الْأَنْظُمَةُ مِنَ عُلَمَاءِ السُّوءِ حَيْثُ قَالُوا: بَأَنَّ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ يُرِيدَانِ أَنْ يَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ-أى إن هؤلاء يريدان أن يخرجكما من دينكم و قيمكم، و هذا ما يقوم به علماء السوء فى كل عصر و مصر،إنهم يدعون بأن الثوار يريدون هدم مقدسات الأمة.

[٦٤] فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّوَصَّيْنَا وَ لَا يَعْنَىٰ ذَلِكَ إِنْ الطَّاغَاةُ يَدْعُمُونَ الْوَحْدَةَ، بَلْ يُرِيدُونَ صَنْعَ وَحْدَةٍ مَزِيْفَةٍ تَقْفُ حِجْرَ عَثْرَةِ أَمَامِ الرِّسَالِيِّينَ، وَ عُلَمَاءِ السُّوءِ يُؤَكِّدُونَ عَلَىٰ ضَرُورَةِ الْوَحْدَةِ حَتَّىٰ تَلْكَ



الوحده القائمہ علی أساس باطل، و من ثم آثار هؤلاء العلماء رغبہ نفسیہ و سخرہ حین قالوا:

وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ۖ إِنَّا الْآنَ فِي صِرَاعٍ، و هذا الصراع حادّ، و هذه اللحظات مصيريہ فی حياتنا، و نحن نريد أن تجمعوا كيدكم، و توحيدوا صفوفكم، حتى نتغلب على هؤلاء المتمردين.. هذه الكلمات لا يشيعها إلا وعاظ البلاط و مرتزقه الفكر.

ص: ١٨٣

إشارة

فَالْوَالِيَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصْوَاهُمْ يُجَالِلُ إِلَيْهِ مِنْ سَمَائِهِمْ أَنَّهُمْ  
تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ (٦٧) فَلَمَّا لَا تَخَفُ بِإِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَبَّحُوا وَإِنَّمَا  
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأَلْقَى السَّحْرَهُ سِجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ  
أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَمَّا قُطِعَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأَصْبَحُ لِبَنِيكُمْ فِي حُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمَنَّ  
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَاتِ وَ الَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ (٧٣)

اللغة

٦٧[فأوجس]:فأحسّ، و وجد في نفسه.

٧١[من خلاف]:أى تقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى أو بالعكس،ليختل توازن البدن،و يكون عذابه أكثر ما دام الإنسان حيا.

[حذوع]:أصول.

۱۲] لن نؤثرک]: لن نفضّک و نختارک.

ص: ۱۸۵

إشارة

بعد أن هزّ موسى عليه السلام ضمائر السحرة، استجاب لتحديهم، وقال: ابدأوا، وهذا التحدي نجده عند الأنبياء دائما، وهو أبرز دليل على نبوتهم، وانهم رجال متصلون بالغيب.

و ما كان من السحرة إلا أن جاؤوا بمجموعه حبال و عصى، و خلقوا أجواء صاحبه توحى بأنها تسعى، فسحروا أعين الناس، و لم يكن ذلك إلا ضربا من السحر، أما الحقيقة التي كانت تتمثل في عصا موسى فقد ابتلعت ذلك السحر مره واحده، و آمن السحرة بموسى و خروا لربه و ربّهم ساجدين.

و ان لنا في ذلك عبره، فحينما تكون لدينا الحقيقة، و لا يكون عندهم إلا الخيال الباطل ستري كيف، تبتلع الحقيقة سحرهم.

و حينما سجد السحرة و آمنوا، حاول فرعون إلصاق التهم بهم، ليكون ذلك مبررا لتعذيبهم أو قتلهم، و لكنهم أصروا و صمدوا أمام التهديد، بصلابه الإيمان

## بينات من الآيات:

[٦٥] قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ هَلْ أَنْتَ تَبْدَأُ أَمْ نَحْنُ؟ [٦٦] فطلب موسى منهم أن يكونوا هم البادئين و كان ذلك تحديا عظيما.

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ أَي أَنَّهُمْ عَمَلُوا عَمَلًا أَثَارُوا بِهِ خِيَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ بِالْأُولَىٰ أَثَارُوا خِيَالَ الْمُحْتَشِدِينَ! وَ لَعَلَّ هَذَا يَعْنِي: إِنَّ السِّحْرَ تَأْثِيرَ نَفْسِي فِي الْإِنْسَانِ مِنْ خِلَالِ إِثَارِهِ خِيَالَهُ وَ الْإِيحَاءَ لَهُ، أَمَّا هَدْفُهُ فَهُوَ التَّضْلِيلُ، وَ عَاقِبَتُهُ الْخَسْرَانُ، وَ أَوَّلُ مَا يَفْكَرُ بِهِ السِّحْرُ، هُوَ السِّيْطْرَةُ عَلَى الْجَالِسِينَ نَفْسِيًا، بِالْقِيَامِ بِبَعْضِ الْحَرَكَاتِ الْمُثِيرَةِ، وَ بَعْدَ أَنْ يَسْتَحُوذُوا عَلَى أَنْفُسِ الْحَاضِرِينَ -بِسَرْدِ الْقَصَصِ الْخِيَالِيَةِ، وَ صَنَعَ أَجْوَاءَ صَاحِبِهِ- يَضْحَى كُلَّ عَمَلٍ يَقُومُونَ بِهِ عَظِيمًا، يَثِيرُ الْعَجَبَ وَ الدَّهْشَةَ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ.

كما إن بعضهم يستفيد من الجنّ، بالإضافة الى بعض العلوم الغريبه، و السحره مجموعه مرتزقه، و وضعوا علمهم في خدمه شهواتهم، أو لدعم سلطه ظالمه، شأنهم شأن الأقلام المأجوره التي توظف نفسها عند الظلمه.

هذا هو واقع السحر، انه تخيلات لا تصمد أمام الحقّ، و من كلمتي «حبالهم» و «عصيتهم» نستنتج إن السحر ليس إلا تأثيرات نفسيه لا يغيّر من الواقع شيئا،

و التعبير القرآنى غايه فى الوضوح حيث يقول: يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فِي الْحَقِيقَةِ لَا حَرَكَ لَهَا، و ما الحركه الظاهره إلا بتأثير الخيال السحرى.

[٦٧] لقد تحدّاهم موسى عليه السلام و هو يعرف بأنهم على باطل و انه على حقّ، و مع ذلك تسرب الخوف الى نفسه حيث قال الله:

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ [ فلما ذا خاف موسى؟ لهذه الآيه تفسيران:

الأول: هو أن موسى عليه السلام بشر كسائر الناس، من حيث الذات و البنيه الجسديه و النفسيه، و لذلك ساوره الخوف، و الملاحظ أنه كلما تحدث القرآن الحكيم عن معجزات الأنبياء، تحدث فى ذات الوقت عن جانب من ضعفهم البشرى، كالخوف و العجله و الجزع و الميل فى اتجاه الضغوط، إلا أنّ هذا الجانب سرعان ما يتلاشى بتأييد الله.

و ذلك حتى لا يظن البشر أنّ الاعجاز نابع من ذاتهم، فيقدسونهم و يؤلهونهم، و لكى يكونوا حجه على الناس و يقطع عنهم سبل الأعداء.

الثانى: إنّ موسى عليه السلام لم يكن خائفا على نفسه، بل خشى أن يستأثر السحره بقلوب الحاضرين فلا ينفعهم بعد ذلك إعجازه شيئا.

[٦٨] قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ و تدلّ هذه الآيه على التفسير الثانى بما تحمل من تظمين لموسى بأنه هو الغالب، و هذا النوع من التخوف موجود لدى كلّ الرساليين، فهم يخشون من وسائل الاعلام

و الثقافة المضلله أن تفسد الناس، و لكن عليهم أن يتغلبوا على خشيتهم بذكر الله سبحانه و تعالى، و أن يثقوا بأن أقلامهم النظيفه التي تبين الحقيقه تعادل ملايين الأقلام التي تكتب الزيف و الباطل، لأن الحقيقه قوه تبتلع سحر المبطلين.

[٦٩] وَ أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَبَّحُوا وَ تَقُومُ عَصَاكَ بَابْتِلَاعِ جِبَالِهِمْ، وَ عَصِيهِمْ الَّتِي صَنَعُوهَا بِمَا لَهَا مِنْ وَجُودِ مَادِيٍّ، وَ آثَارِ نَفْسِيهِ.

إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَكُلُّ الَّذِي قَامُوا بِهِ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ مَجْمُوعَهُ مِنَ الْخَطِّ الْمَاكِرِ الْبَاطِلِ، الَّتِي لَا تَلْبَثُ أَنْ تَنْتَهِيَ بِوَهْجِ الْحَقِيقَةِ، كَمَا الظَّالِمُ يَنْهَزِمُ أَمَامَ النُّورِ، وَ بَاسْتِطَاعَةِ الْإِنْسَانِ الْمَتَّصِلِ بِاللَّهِ أَنْ يَتَجَاوَزَ تَأْثِيرَاتِ السَّحْرِ الْوَهْمِيَّةِ، وَ هَكَذَا فَالسَّحْرُ لَا يُؤْثِرُ فِيمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ حَقًّا، وَ قَدْ قَالَ عَنْهُ تَعَالَى: وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (١)، كَمَا إِنَّ ذَاتَ السَّاحِرِ لَا يَفْلِحُ، لِأَنَّ عَمَلَهُ هَذَا يَكْرُسُ فِيهِ الْإِنْحِرَافُ عَنِ خَطِّ الْفِطْرَةِ وَ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَ يَسَبِّبُ لَهُ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ.

[٧٠] صَحِيحٌ إِنْ عَاقَبَهُ السَّاحِرُ هِيَ الْخَسَارُ وَ لَكِنْ مَتَى مَا دَامَ مَتَمَسِّكَ بِسِحْرِهِ وَ انْحِرَافَهُ، أَمَا إِذَا تَابَ وَ تَمَسَّكَ بِالْحَقِّ وَ الرِّسَالَةِ، فَانْ عَاقَبَتْهُ سَتَكُونُ إِلَى خَيْرٍ، وَ هَذَا يَدُلُّنَا عَلَى إِنْ عَاقَبَهُ الْإِنْسَانُ، رَهِينُهُ عَمَلُهُ، لَا لَوْنُهُ وَ لَا جِنْسُهُ.

وَ قَدْ طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّحْرِ أَنْ يَكُونُوا أَوْلَ الْمَلْقِينَ، حَتَّى يَكُونَ أَثْرُ انْتِصَارِهِ عَلَى فِرْعَوْنَ عَمِيقًا فِي أَنْفُسِ الْجَمِيعِ حَتَّى السَّحْرِهِ، حَيْثُ يَصْبِحُ ذَلِكَ السَّحْرُ الَّذِي

ص: ١٨٩

أكبروه قبل لحظات هباء منشورا.

و بالفعل فقد جاءت النتيجة عظيمه إذ تجاوز الأثر الناس الى أعماق السحره.

فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سِجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى لَقَدْ كَانَ التَّأثيرُ بِالغَا، بحيث وقع السحره سجدا منهارين أمام نور الحقيقه، فكأنهم ألقوا بغير إرادتهم، و فى الآيه إشاره الى هدايه الله بأنها العامل الحاسم فى سجودهم.

و السجود هو قمه العبوديه و الخضوع أمام الله، و لم يكن هذا السجود هيكلية إذ احتوى أسمى معانيه، و هو الاعتراف بالعبوديه لله.

و السؤال: لما ذا يذكر الله هارون فى هذه الحادثه، مع أن موسى هو الذى واجه السحره مباشرة، و كان الحديث حتى الآن عنه وحده؟ هناك سببان رئيسيان؟ الأول: إن هارون كان الناطق باسم موسى، و هو معروف فى أوساط المجتمع.

الثانى: هناك دائما قيادات ثانيه تتمثل فى الأوصياء و الصالحين، و يقتضى الموقف السليم، أن تبرزها القيادات العليا فى اللحظات الحاسمه، كلاحظه الانتصار، حتى يتأكد دورها فى المجتمع، و هكذا نجد فى تاريخ الرساله الإسلاميه

أنَّ النبى صلى الله عليه و آله أعطى الرايه لعلى عليه السلام حتى حين دخلوا مكه فقال عليه السلام: «اليوم يوم المرحمه اليوم تصان الحرمه»، كما إنَّه صلى الله عليه و آله رفض دخول المدينه حتى يأتى على عليه السلام، و ذلك ليعرف دوره فى أداء الرساله.



[٧١] ولكن هل كان فرعون يقبل بالحقّ أو يعترف بالهزيمه، أو حتى يسمح للآخرين بذلك؟ كلا..

□ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبِيلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ لَقَدْ كَانَ نَزَامُ فِرْعَوْنَ قَائِمًا عَلَى الدِيكَتَاتُورِيَه المطلقه، و نرى كيف أنّ الطغيان بلغ بفرعون حدا سلب الناس حريتهم فى معتقداتهم.

و لكن الإيمان بالله يقاوم الدكتاتوريه، و يعطى الاستقلال، فالتبعيه التى وقع فيها السحره انتهت بمجرد إيمانهم بالله تعالى، و الإنسان إنّما يكون تابعا بسبب إحساسه بالضّمه، فيعتقد أنّه يقوى نفسه و يصبح عظيما حينما يربط مصيره بالطغاه و أصحاب القدره، و لكنه يثق بنفسه حينما يتصل بنبع الإيمان، إذ يعطيه الإيمان العزه و روح الاستقلال.

و حينما أحسّ فرعون بانفصال السحره عنه، حاول أن ينتقم منهم، فأخذ يبحث عن مبرر للانتقام فقال:

إِنَّهُ لَكَابِرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ وَ هَذَا دِيدَنُ الطَّغَاهِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ سَائِرُ أَطْرَافِ الْمَعَارِضِ الْحَقِيقِيَه، إِنَّهُمْ يَلْصِقُونَ بِهِمُ التَّهْمِ الرِّخِيصَه، لِتَبَرَّرَ تَعْسُفَهُمْ وَ مِمَارَسَاتِهِمُ الْجَائِرَه بِحَقِّهِمْ.

□ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ □ وَ لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا □ وَ أَبْقَى □ و كان الصلب قديما يتم - فيما يبدو - بمدّ يدى الإنسان على خشبه، ثم يدقون

فيها المسامير، وهكذا أرجله و مواضع أخرى من بدنه، و يظل على هذا الحال حتى يموت.

إلا- إن فرعون هدد بقطع أرجلهم و أيديهم من خلاف، زياده فى التعذيب، و ربما أراد التنكيل بعوائلهم، و تشويه سمعتهم بعد موتهم، إذ قال: **وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**.

[٧٢] و لكنهم صمدوا أمامه بصلابه الإيمان، و هكذا ينبغي أن يكون المؤمن أمام الطغاه صلبا شديدا.

**قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلِيٍّ مَا جَاءَنَا مِنَ النَّبِيَّاتِ أَى اِكْتَشَفْنَا الْحَقِيْقَه، و من يكتشفها يعشقها، و أقسموا:**

**و الَّذِي فَطَرَنَا تَأْكِيد لقرارهم و دعما لموقفهم، و إنه الموقف الحاسم، و أضافوا ردًا على تهديداته:**

**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا و هكذا يجب أن يكون المؤمن مستعدا لتحمل تبعات إيمانه و استقلاله.**

و لكن السؤال: كيف بلغ هؤلاء السحره و بهذه السرعة الى هذه القمه السامقه من الإيمان و الجهاد، حيث ألقوا بكلمه الحق أمام السلطان الجائر، و حيث آمنوا ذلك الإيمان العميق بالآخره؟! و الإجابة كالتالى:

أولاً: إنَّ الحقائق تبقى غامضة إلى أن يتصل القلب بالحقيقه الكبرى في هذه الحياه، و التي تتجلى في معرفه الرب، فاذا عرف الإنسان ربه، ذابت عن قلبه جبال الجليد المتراكمه فوق قلبه، فرأى الحقائق بوضوح كاف.

أو ليس الله سبحانه خالق السماوات و الأرض، و مبدئ الخلائق جميعاً؟ كذلك معرفته أول كل علم و ينبوع كل معرفه.

و هؤلاء السحره حينما آمنوا بالله صار بديهيًا أن يتيقنوا بالبعث و الجزاء و...و...

ثانياً: عند ما يكون طريقه للإيمان بحقيقه معينه مليئًا بالعقبات و الضغوط، و لكن يصبر الإنسان على تجاوزها فيختصر المسافه إلى الايمان الخالص، الذي يصعب الحصول عليه في الظروف الطبيعيه.

و السحره، حينما آمنوا بالله، كانوا قد أسقطوا حواجز الإغراء و الإرهاب الفرعوني، و تنازلوا عن المكانه الاجتماعيه، و اقتلعوا أنفسهم من حضيض الدنيا، و...و...

و بالتالى وصلوا الى هذه المرتبه العليا، بلى إن مجرد إيمانهم فى تلك الظروف كان يعنى تحديا لسلطات الشهوه و القوه، بكلّ أبعادهما، فطوا كل المراحل فى لحظه عظيمه تجلى الرب فيها لقلوبهم، بعد أن استعدوا للتضحيه بكلّ شىء لله، و للحقّ الذى شاهدوه بأعينهم.

ثالثاً: لأنهم عبدوا الطاغوت لبعض الوقت، و لعلمهم كانوا قد عرفوا، بوحي ضميرهم، و دلاله عقولهم: إنهم مجرمون، لأنهم يؤيدون مجرماً قدراً جباراً فى الأرض، فكانت عقده الذنب تلاحقهم، فلما آمنوا كانوا يبحثون عما يطهرهم

و يغسل ذنوبهم الكبيره، و يشهد على هذا التفسير الثالث، السياق، و هكذا حينما تجلت الحقيقه فى عصا موسى عليه السلام لم يتمالك السحره أنفسهم فألقوا ساجدين، نعم..

لقد آمنوا بالآخره و تيقنوا من البعث و الحساب فاستهانوا بالدنيا، حتى صار تنازلهم فى سبيل القيم أمرا هينا، ثم استدرکوا:

[٧٣] إِنْ أَمَّا بَرِّبْنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا و لو كان هذا الإيمان، و هذه الأمانيه بالغفران، يكلفنا العذاب و الصلب، و هذا هو الإيمان الحقيقى، الإيمان الذى يستعد صاحبه لكل شىء إلا التنازل عنه.

و مع إنهم يطلبون الغفران بشكل عام، إلا أنهم يخصصون خطيئه السحر، لأنهم أدركوا أبعادها السيئه أن يخدم الإنسان نظاما فاسدا، و يكون وسيله له لمواجهة الرساله و المؤمنين، قالوا:

وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ بِسَبَبِ إِغْرَاءِ اتِّكَ، و تهديداتك، و خططك الماكره.

وَاللَّهُ خَيْرٌ و أَبْقَى رَدًّا عَلَى مَقُولِهِ فِرْعَوْنَ تَحْدِيَا: أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا و أَبْقَى .

قالوا: كلاً.. الله- و لست أنت- خير و أبقى.

اشاره

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ  
 الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ (٧٦) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ  
 بِعِصَىٰ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنْ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ  
 (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَهَّدَىٰ (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا  
 عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ  
 (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)

اللغه

٧٧[در كا]: أى إدراك فرعون لك.

٧٨[فغشيهم]: أى جاءهم الماء حتى أحاط بهم و غطهم.



### هدى من الآيات:

خلاصه رسالات الأنبياء التي تتكرر في القرآن، هي أن الإنسان رهين عمله، فعاقبه المجرمين النار لا موت لهم فيها و لا حياه، بينما عاقبه المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار، و ليست نتيجة العمل محدوده بالآخره، بل قد يحصل الإنسان على عاقبه عمله في الدنيا أيضا كما انحرف فرعون بطغيانه. معاقبه الله بالغرق.

لهذا حذر الله بنى إسرائيل من الطغيان و كفران النعمه حتى لا يحل عليهم غضبه، أما لو انحرف الإنسان قليلا فان باب الرجعه و التوبه الصادقه يبقى مفتوحا له.

### بينات من الآيات:

[٧٤] إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ الَّذِي يَسْتَمِرُّ فِي جُرِيمَتِهِ إِلَىٰ حِينِ لِقَاءِ رَبِّهِ فَإِنَّ أَصْحَابَ جَهَنَّمَ سَائِرِينَ

التعبير « فَإِنَّ لَهُ »

جَهَنَّمَ «يوحى بأن المجرم يشتري جهنم بعمله الطالح، حتى تصبح ملكا له فعلا.

و كم هو المكوث فى النار، حيث يبقى المجرمون بين الموت و الحياه، يتجرعون العذاب، و يدوقون الألم؟!

جاء فى الأحاديث: يأتى أهل النار الى مالك يتوسلون إليه-بذله-سبعين سنه، حتى يخفف عنهم العذاب فيرفض، فيقولون له: إذا لا نريد الحياه، و لكنه لا- يجيبهم الى حين، ثم يأتهم النداء انكم ها هنا ما كثون، فيأسون و يطلبون من مالك أن يأذن لهم بالبكاء على ما فرطوا فى جنب الله، فيأتيهم الإذن فيكون على أنفسهم ألف سنه.

[٧٥] و على العكس من ذلك تماما هو حال المؤمنين:

وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَالْإِيمَانِ الْمُسْتَمِرِّ حَتَّى لِقَاءِ اللَّهِ، وَ الْمُقْرُونِ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ ثَمَنَ الْجَنَّةِ.

فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى فَكُلِّ صَالِحَةٍ مِنَ الْعَمَلِ بِدَرَجَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَ كَلِمَةٍ مِنَ الدَّرَجَاتِ جَاءَتْ هُنَا بِإِزَاءِ كَلِمَةِ الصَّالِحَاتِ، وَ فِي الْخَيْرِ أَنْ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ وَ الْآخَرَى كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ.

[٧٦] جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ الْخُلُودِ مِنْ أَسْمَى طَمُوحَاتِ الْإِنْسَانِ.

وَ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى



ان أعظم و أصعب مسئوليته على البشر في هذه الدنيا، هي أن يزكى نفسه من آثار الشرك، من البخل، و الكسل، و الضجر، و الخوف من غير الله، و..و..و الذى لا- يزكى نفسه في الدنيا يمكث بنسبه رذائله و انحرافاتة في جهنم، لأن الجنة لا- يدخلها الا المطهرون، و السبيل الى الطهاره أما هو التزكى في الدنيا، أو النار في الآخرة.

[٧٧] بعد التحدى بانتصار موسى على فرعون، و الحقيقه على السحر، أوحى الله الى موسى بالخروج.

وَ لَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسِير بِبِجَادِي السَّارَىٰ هُوَ الْمَسَافِرُ بِاللَّيْلِ، أما السارب فهو المسافر فى وضح النهار، و أمر الله موسى أن يسير بنى إسرائيل ليلا، حتى لا يشعر به فرعون و لا جنده الا و قد فات الأوان، و هذه من رعايته لعباده.

و بالرغم من أن بنى إسرائيل يصل عددهم الى (٧٠٠) ألف، الا أن واحدا منهم لم يفش السر، و لذلك سماهم الله (عبادى)، فقد كانوا مخلصين يستحقون أن يجعل الله لهم فى البحر طريقا يبسا، و يخلصهم من فرعون و جنده.

فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَمَّا ضَرَبَ مُوسَىٰ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ انْفَلَقَ وَ صَارَ كُلُّ جَانِبٍ مِنْهُ كَأَنَّهُ جَبَلٌ، و بينهما طريق يابس يصلح للسير عليه.

لَا تَخَافُ دَرَكًا أَىٰ لَنْ يَدْرَكَوكَ.

وَلَا تَخْشَىٰ لَا تَخَافُ مِنَ الْغَرَقِ.

[٧٨] فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ لَمَّا طَلَعَ الصَّبَاحُ وَاتَّضَحَ الْأَمْرُ رَكِبَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودَهُ دَوَابَّهُمْ لِيَلْحِقُوا بِمُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمَّا وَصَلُوا الْبَحْرَ وَجَدُوا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ عَبَرُوا خِلَالَ الْبَحْرِ، فَدَخَلُوا خَلْفَهُمْ، وَقَدْ أَعْمَاهُمُ الْحَقْدُ وَالتَّكْبَرُ ان يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ هَذِهِ الْمَعْجِزَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَغَشِيَتِ الْأَمْوَاجُ فِرْعَوْنَ وَجَيْشَهُ وَغَرَقُوا.

فَغَشِيَ يَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَ يَهُمْ يُوْحَىٰ هَذَا التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ بِأَنَّ الْمَوْقِفَ الَّذِي مَرَّ بِهِ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَلَّغَ مِنَ الْهَوْلِ وَالرَّعْبِ مَا يَفُوقُ كُلَّ وَصْفٍ، بَلَىٰ إِنَّ مَنَظَرَ جِبَالِ الْأَمْوَاجِ الْبَحْرِيَّةِ الْهَائِلَةِ وَهِيَ تَبْتَلِعُ مِائَاتِ الْأَلُوفِ مِنَ الرِّجَالِ وَالِدَوَابِّ إِنَّ هَذَا الْمَنَظَرَ يَفُوقُ الْوَصْفَ فَعَلًا.

[٧٩] وَالْعِبْرَةُ الَّتِي نَسْتَخْلِصُهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، تَتَلَخَّصُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ إِنَّ النِّهَايَةَ الْمَأْسَاوِيَّةَ كَانَتْ بِسَبَبِ ضَلَالِ الْحَاكِمِ، وَاتِّبَاعِ النَّاسِ لَهُ فِي ضَلَالَتِهِ.

[٨٠] وَحَتَّىٰ لَا يَطْغَىٰ بَنُو إِسْرَائِيلَ، أَوْ يَنْسُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، يَذْكُرُهُمُ اللَّهُ قَائِلًا:

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ

الأمن أساس أولى لأي حضاره، بينما الوحي هو القيم و التشريعات الحضاريه التي تحقق العز و الفلاح و..و..للأمة.

و قد من الله بهما على بنى إسرائيل إذ أنجاهم و واعدهم جانب الطور.

وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَ السَّلْوٰ الْمَن هُو الحلوى، و السلوى طير مشوى، كانا ينزلان عليهما من السماء.

[٨١] نعمه الله هدفها سعادته البشر، و لكن قد تكون عاملا لانحرافه و انفلاته، لذلك حذر الله بنى إسرائيل قائلا:

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ غضب الله هو عذابه الشديد فى الدنيا و الآخرة.

وَ مَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوٰ وَ تعالى الله أن يغضب و يطرأ عليه التغيير مثلنا نحن البشر، انما هو العذاب، و من يصيبه فكأنما يهوى من على قمة الجبل الى واديه، و ليس هذا التمثيل الا للتقريب، و الا فالواقع أدهى و أمر.

[٨٢] وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدٰ من طبيعه الإنسان أن يطغى حين يجس بنعم الله عليه إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنٰ، و لكن سبيل التوبه و العوده الى الصواب مفتوح امامه، حينما يتورط فى ذلك بسبب غفلته، و نسيانه، و..و..و آتئذ سيجد ربه غفارا لو كانت توبته كما تذكر الآية..(تاب) عن ذنبه (و آمن) بالله صادقا وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدٰ و كان

عمله بحيث ينتهي به الى الهدايه.

و فى بعض الروايات ان الهدايه هنا بمعنى الولايه،فينبغى للإنسان أن يؤمن بالله، و يعمل صالحا بعد التوبه،و ان يبحث عن قياده الرساليه،ذلك انه لا يكمل الايمان و العمل الصالح الا بالولايه،و معرفه القائد،لأن الامام الذى يهدى الى سبيل الرشاد يكون عكس فرعون الذى أضل قومه و ما هدى،و هذا هو سبيل التوبه النصوح،و هو المعنى الحقيقى لكلمه الشفاعه.

ص: ٢٠٢

اشاره

وَ مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ  
 بَعْدِكَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَ فَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ  
 أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦) قَالُوا لِمَ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَ لَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ  
 الْقَوْمِ فَقَدْ تَفَنَّا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَ فَلَا  
 يَرَوْنَ إِلَّا- يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا- وَ لَا- يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا (٨٩) وَ لَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ  
 الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١)

اللغه

٨٤]هم أولاء]:أولاء جمع الذى-أى هم الذين.

٨٧]بملكنا]:أى و نحن نملك من أمرنا شيئا.

[أوزارا]:أثقالا.

٨٨]فَنسَى]:أى فقد نسى موسى أنّ إلهه هنا،فذهب إلى الطّور يطلبه،وقيل معناه:فَنسَى السامرى أى ترك ما عليه من الايمان.

٩٠]فَنَسَّ بِه]:أى امتحنتم بهذا العجل.

ص:٢٠٤

## هدى من الآيات:

ذهب نبي الله موسى عليه السلام يناجى ربه، فما عاد الا وقد حصلت الردة فى قومه، و فى الوقت الذى يدلل الأمر على أهميه حضور القياده فى المجتمع لتقاوم محاولات التحريف من قبل الانتهازيين، تشير الآيات الى أن علاقه بنى إسرائيل بموسى عليه السلام كانت علاقه بشخصه لا برسالته، مما أدى لانحرافهم بعد غيابه عنهم و تمردهم على خليفته هارون، و كان من الضرورى تغيير هذه العلاقه، فأمر الله بمدّ غيبه موسى لهذا الهدف.

و قد انتقد النبى موسى عليه السلام هذا الوضع، و حذرهم من غضب الله أن يحل عليهم، و تساءل عن سبب هذه الرده.. و حينما حاول بنو إسرائيل التبرير احتج عليهم الله بأنه أعطاهم عقولا يميزون بها و كان ذلك أبرز حجه عليهم، أما الحجه الثانيه فكان شخص هارون وصى موسى الذى نصحهم و لكنهم لم يسمعوا له.

[٨٣] وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ لِمَاذَا أُسْرِعْتَ إِلَيَّ وَتَرَكْتَهُمْ وَرَاءَكَ؟ [٨٤] قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتَرَىٰ إِنْ قَوْمِي لَا يَزَالُونَ يَقْتَفُونَ أَثْرِي، وَيَسِيرُونَ عَلَيَّ نَهْجِي.

وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ دفعنى الى العجله حبى لك و شوقى للقائك، و هذه الآيه توحى بمدى حب موسى لربه، حيث بادر الى لقاء ربه، و كان على عجل لنيل رضاه سبحانه. و هكذا حال من ذاق حلاوه مناجاه ربه، و أنس بقربه، و تجلى الرب لقلبه، فمشى فى أرجاءه الوجلى، و اهتزت جنبات فؤاده بنور الشوق، فوجد من نور خالقه ما جذبته الى ما يقربه اليه، و لاح له من جمال بارئه ما أنساه كل جمال..

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه و آله يجلس فى محراب الصلاه على أشد من الجمر شوقا الى ميعاد اللقاء، فاذا حان وقت الصلاه هتف ببلال المؤذن: أرحنا يا بلال بالصلاه.

و هكذا المؤمنون الصادقون يدعون الرب ليتجلى لقلوبهم بنور معرفته، فيكونون:

«ممن دأبهم الارتياح إليك و الحنين، و دهرهم الزفره و الأنين، جباههم ساجده لعظمتك، و عيونهم ساهره فى خدمتك، و دموعهم سائله من خشيتك، و قلوبهم متعلقه بمحبتك، و أفئدتهم منخلعه من مهابتك..» (١)

ص: ٢٠٦



و يكررون أبدا:

«يا من أنوار قدسه لا بصرار مجيه رائقه، و سبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقه، يا منى قلوب المشتاقين، و يا غايه آمال المحبين!»  
[١٨٥] (١) و كان غياب موسى قد ترك فرصه مناسبه للانتهازيين أن يسعوا الى مصالحهم.

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ يبدو أن السامري كان منافقا، و كان يتحين الفرص للقفز الى أريكه الحكم، و كانت مجموعه من الانتهازيين و ضعفاء النفوس ملتفين حوله، و لعلهم كانوا يتآمرون مع بعضهم ضد القياده الرساليه.

و الآن حيث تأخر موسى (عليه السلام) و ظنوا أنه قد أدركته الوفاه، بادروا الى الفتنة، لكي يبعدوا خليفه موسى الشرعى هارون (عليه السلام) عن السلطه، فأشاع السامري فيهم أن موسى قد مات، و صنع لهم العجل كرمز لسلطته، و أمرهم بعبادته، مستغلا حب بنى إسرائيل للذهب و رواسب الشرك عندهم، أو ليسوا قد طالبوا نبيهم بأن يجعل لهم إلها حين مروا بقوم يعبدون الصنم؟ و لعل ذلك كان ضروره حضاريه، حيث أن موسى (عليه السلام) قضى على جيوب الفساد عند بنى إسرائيل بعد هذه الفتنة، و لو لم تقع الفتنة فربما كان السامري و قومه ينجحون فى مؤامرتهم بعد وفاه موسى (عليه السلام).

أما الآن فقد افترض السامري، و عاد موسى بكل ما تميّز به من الحزم و الشده فى الله.

ص: ٢٠٧

[٨٦] فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا غَضِبَان عَلَيْهِمْ، أَسَفًا مِمَّا حَدَثَ.

قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعِدًّا حَسِينًا كَالرَّجُوعِ إِلَى الْأَرْضِ الْمَقْدُوسَةِ، وَالْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنَ الطُّورِ، وَالْبَرَكَهَ، وَأَنْ يُقِيمَ حَضَارَتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ اسْتَقَمْتُمْ؟! أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي بِالطَّبَعِ لَمْ يَكُنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَتَحَدُّونَ اللَّهَ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ غَضَبُهُ، وَلَكِنْ إِتْبَاعَهُمُ السَّامِرِيُّ هُوَ الْإِسْتِرْسَالُ مَعَ الظُّرُوفِ وَالشَّهَوَاتِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ بِأَنْفُسِهِمْ وَبِمَحْضِ إِرَادَتِهِمْ يَخْتَارُونَ نَوْعَ وَاقِعِهِمْ وَمَصِيرِهِمْ، وَالَّذِي يَتَجَسَّدُ هُنَا بِغَضَبِ اللَّهِ.

[٨٧] قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا أَى لَمْ نَنْحَرِفْ بِكَامِلٍ وَعَيْنًا، وَبِمَا نَمْلِكُهُ مِنْ عَقْلِ وَارَادِهِ.

وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَا هَذَا الْإِنْحِرَافَ جَاءَ مِنْ غَيْرِنَا، فَالسَّامِرِيُّ هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَنَا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ الَّتِي جَمَعْنَاهَا مِنَ الْقَوْمِ وَحَمَلْنَاهَا وَصَنَعَ لَنَا بِهَا عِجَالًا، وَالْوَأَقِعَ أَنَّهُمْ حَاطُوا بِذَلِكَ تَبْرِيرَ وَاقِعِهِمُ الْفَاسِدِ وَرَفَعَ الْمَسْئُولِيَةَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ

ص: ٢٠٨

رأس الفئه الانتهازيه التى عاده ما تكون موجوده فى المجتمعات، والآيه الآتيه تشير الى أن المتورط فى عمليه الإضلال ليس السامرى وحده، بل كانوا فئه متأمره، و لعل معنى القى السامرى: انه القى فى روعهم و خدعهم، و قالوا معناه: القى زينه القوم فى النار، أو هو أيضا القى زينته فيها.

[٨٨] فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ جَسداً أَى مِيتاً لا حِياهِ فِيهِ، وَ الخور هو صوت الثور.

و هناك أقوال فى العجل، فبعض المفسرين قالوا: ان العجل كان يتحرك لأن السامرى أخذ قبضه من أثر جبرائيل عليه السلام الذى جاء راكبا على فرس ليغرى فرعون و قومه حين رفضت خيولهم دخول البحر، و كان التراب الذى يدوس عليه فرس جبرائيل يتحرك، و الذى قام به السامرى أن جعل هذا التراب فى جسد العجل، فأخذ يتحرك و يخور بسببه.

و قال بعض المفسرين: ان العجل كان فى مكان بحيث يظهر رأسه فقط للحاضرين، ثم يأتى شخص من وراء العجل و ينفخ فى دبره فيخرج خوار من فمه، أو أنه صنع بحيث يصوت إذا جرت فيه الرياح.

فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَ إِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ [٨٩] وَ لَكِنْ هَلْ كَانَتْ أَعْدَارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ تَبَرِيرَاتِهِمْ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللَّهِ؟ كَلَّا..

لقد أجابهم بأن هناك حجتان عليكم تبطل ادعاءكم:

أولاً: العقل.. فأنتم عقلاء تستطيعون أن تهتدوا الى الحق لو تفكرتم..

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا

فليس من صفات الإله: أنه لا حراك به، ولا اراده يضربها أو ينفع.

[٩٠] ثانيا: حجه القيادة الربانية.

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي لَقَدْ دَعَاهُمْ هَارُونُ إِلَى طَاعَتِهِ، بصفته القيادة الشرعيه، و أوضح لهم أن ما يدعيه السامري و جماعته باطل.

و من الآيه نستوحى بأن الصراع كان قائما على قياده المجتمع، بين الخط الرسالى الذى يمثله موسى و هارون عليه السلام، و بين الخط الجاهلى أصحاب الرده الى الجاهليه، و لعل هذا الفريق كانوا هم قيادات بنى إسرائيل قبل بعثه موسى فيهم، كما كانت قبيله بنى أميه قبل الإسلام، فتآمرت للوصول الى السلطه بعد غياب الرسول حتى تسنى لها ذلك على عهد معاويه بن أبى سفيان.

[٩١] قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ يبدو من الآيه ان تعلق بنى إسرائيل لم يكن بالرساله بقدر ما كان بشخص موسى عليه السلام، فقد كان هارون أخاه من أبيه و أمه، و كان امتدادا له فى المجتمع، و الوصى عليهم من بعده، و لكنهم لم يستجيبوا له، عند ما دعاهم لطاعته، و قرروا البقاء على الانحراف حتى يعود إليهم موسى عليه السلام .

و كانت هذه الفتنة مفيده لبنى إسرائيل، فقد أفرزت الفئات التى لا تزال تمثل رواسب الجاهليه و الفئات المصلحيه عن الأخرى المؤمنه الصادقه فى ايمانها. أما الفائده الثانيه فهى التحصن ضد الانحرافات الفكرية و الاجتماعيه التى قد يتعرضون لها فى المستقبل و ذلك بعد غياب موسى عنهم.

ص: ٢١٠

ان طبيعه البشر هي التمحور حول الأشياء دون القيم، وارتفاع الإنسان الى مستوى الايمان بالغيب و عباده الله تعالى متجردا عن الأهواء و عن الضغوط المختلفه، يعتبر قمه الحضاره، ذلك لأنه يعنى ان الإنسان قد أنهى صراعه الداخلى لصالح عقله، حتى يخلص عبادته لله، و لا يهبط الى مستوى الشئيه فى الحياه، و هذا الأمر يحتاج الى مزيد من التوجيه و الترييه.

و لو ترك الإنسان و طبعه، لهبط الى مستوى عباده الأصنام، لأنها جزء من التفاف الإنسان حول الأشياء، و الخضوع لسلبيات الحياه و ضغوطها، بينما الايمان بالله يعنى الارتفاع عن كل ذلك و النظر الى الأشياء بأنها مخلوقات لله.

و قد هبط بنو إسرائيل الى مستوى عباده الأشياء حينما غاب عنهم نبيهم موسى عليه السلام، ثم هداهم الله اليه بعد الضلاله، و فى ذلك عبر عظيمه.

ص: ٢١١

اشاره

قَالَ يَا هَٰرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بَنِيَّ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَزُقْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَمَا ذَهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)

هدى من الآيات:

بعد أن غاب عن قومه أربعين ليلة، جاء موسى عليه السلام ليجد أكثرهم و قد تحول من عباده الله الى عباده العجل، فبدأ مسيره الإصلاح بالبحث عن مصدر الفساد حتى يتسنى له علاج الرده. و بدأ ذلك بسؤال أخيه لأنه خليفته فى غيابه، و انتهى بتوجيه خطابه الى بنى إسرائيل و لكنه قبل ذلك التفت الى السامرى رأس الرده، و عالج معه الموقف بحزم.

و حتى يقضى على الانحراف قام موسى عليه السلام بشيئين:

الأول: عزل القيادة المنحرفه، التى تعمق الواقع السلبي، و تمده بأسباب البقاء فى المجتمع. و فى القرآن يذكر الله النفى كوسيله لمواجهة الفساد و المفسدين و ذلك لكى لا يتأثر أفراد المجتمع بها.

الثانى: تحطيم رموز الرده و ذلك حين حرق العجل و نفسه فى البحر نسفا.

و يلاحظ أن موسى عليه السلام كان صداميا، فلم يراهن الواقع السلبي الفاسد، ولا رموزه بل اصطدم معهما بشده، كما اصطدم من قبل مع فرعون و سحرته. و هذه كلها شواهد على أن حركات الأنبياء عليه السلام، و الحركات الرساليه التي تنبع منها و تمثل امتدادا لها حركات صداميه.

## بينات من الآيات:

### اشاره

إن من طبيعه البشر هي التمحور حول الأشياء دون القيم، و إن ارتفاع الإنسان الى مستوى الايمان بالغيب، و عباده الله تعالى متجردا عن الأهواء و تحدى المصالح و الضغوط المختلفه، يعتبر قمه الحضاره الانسانيه. حيث ينهى الإنسان صراعه الداخلى لمصلحه عقله، و يتحدى كل الشهوات المحيطه بقلبه، و كل الضغوطات المحيطه به فى مجتمعه، حتى يخلص عبادته لله سبحانه، و لا يهبط الى مستوى الشئيه فى الحياه، و هذا الأمر يحتاج الى مزيد من التوجيه و التربيه، كما هو بحاجه الى عزمه شديده، و اراده حديديه! و لو ترك الإنسان و طبعه لهبط الى مستوى عباده الأصنام، لأنها تعنى الالتفاف حول الأشياء، و الخضوع لسلبات الحياه و ضغوطها، بينما الايمان بالله يعنى الارتفاع عن هذه الضغوط، و النظر الى الأشياء نظره متساميه، باعتبارها ليست سوى مخلوقات يدبرها الله سبحانه.

و هكذا هبط بنو إسرائيل مره أخرى الى حالتهم البشريه (عباده الأشياء) حينما تركهم موسى عليه السلام و لم يصمدوا كثيرا أمام اغراءات العجل. و انما تؤكد آيات القرآن دائما على ربوبيه الله و حاكميته لكى يعرج الإنسان الى قمه العبوديه له تعالى، و يقوم بعمل جاد من أجل الوصول الى ذلك المستوى، و الاكتفاء به عن الأشياء حوله.



و من العجب أن بعض المؤرخين يفلسف عباده الطوطم، و الكواكب، و الأصنام، ببعض التحليلات المعقده، علما بأنها لا تحتاج الى كل ذلك إذ أنها من طبيعه الإنسان، ففى يوم كانوا يعبدون الحيوان الذى يخافونه لأنه كان يرمز الى القوه.

فبعضهم كان يعبد الفيل و يعتبره رمزا للقوه، و بعضهم كان يعتبر الأسد رمزا للقوه فيعبده. أما هذا اليوم فيعتبرون الأباطره و الملوك رمزا للقوه فيعبدونهم. فاذا أردنا أن نصل الى عبوديه الله علينا أن نتجاوز الأشياء لخالقها، و الشئيه الى القيم، و الشهود الى الغيب.

و هكذا هبط بنو إسرائيل الى درك الشرك، فور ما تعرضوا لفتنه السامرى. فلما عاد إليهم موسى (عليه السلام)، ووجه خطابه الى هارون أولا:

[٩٢-٩٣] قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا\* أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي و لعل السبب كان:

أ- أن هارون كان خليفه عليهم و القياده الشرعيه المسؤوله عنهم فكان أول من يسأل عنهم.

ب- أن موسى عليه السلام لن يهادن أحدا فى قضايا التوحيد حتى و لو كان وصيه و خليفته هارون.

ج- أن موسى عليه السلام أراد أن يوضح لجماهير بنى إسرائيل، أن قضيه التوحيد ليست هينه، و أنه حتى هارون عليه السلام، يتعرض للسؤال بل للمحاكمه، حتى يثبت أنه قد أدى وظيفته بالنسبه إليها، كيف و أن الله سبحانه يسأل المرسلين فى يوم القيامه عن أممهم، و كان موسى عليه السلام قد أوصى أخاه قبل مغادرته الى الطور قائلا:

«أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» و جاء الآن يسأل عما قام به.

أما هارون فقد أجاب موسى عليه السلام بأن بنى إسرائيل لا يخضعون إلا لك و لا يزالون معتقدين بك، لذلك إذا أمرتهم بترك عبادة العجل قالوا سنعكف على عبادته حتى يرجع إلينا موسى، فأشاع السامري بأنك مت و اعرف أنك ستعود و يكون ذلك دليلاً على كذبه، و لعل موسى عليه السلام كان يعرف بأن هارون عليه السلام شديد الغضب في الله، لذلك وصاه بإصلاحهم دون القيام ضدهم، و نستوحى من هذا السؤال و جوابه ان الثوره ضروره في المجتمعات المنحرفه، و لكن على الثوار أن ينتظروا الأوقات المناسبه لتفجير ثورتهم، ذلك لأنه عند ما تشيع فكره باطله في مجتمع ما، فان الجماهير تلتف حولها فلكل جديد لذه، مما يسقط خيار المقاومه لو تعجلوا في محاربتها، فاذا انتظروا قليلا حتى يذهب بريقها و تظهر عيوبها، فان مقاومتها آتئذ ستكون ناجحه، و لذلك جاء في الأحاديث ما مضمونه (لا تقاوم الدول في بدايه أمرها)، لأنها شابه و تمتلك الجماهير و هي مستعدة لحمايه مكتسباتها، اما إذا ظهرت سلبياتها فان الناس سيتحركون ضدها و يساعدون على إسقاطها، اضافه الى تنامي عوامل الانهيار فيها بسبب انحراف مسيرتها.

[٩٤] عند ما عتب موسى على هارون (عليهما السلام)، و أخذ بلحيته و برأسه يجرهما اليه، طلب هارون من أخيه الا يغضب معللا بأن قومه لم يستجيبوا له، و لو أنه أخذهم بالقوه لتفرقوا اجتماعيا و لنفروا من الدين نفسيا، و أن الحركه المضاده قد تكرر فيهم الواقع السلبي، فانتظر حتى يعود موسى عليه السلام إليهم.

و يبدو أن الخلاف بين هارون و موسى (عليهما السلام) بادئ الأمر كان في فهم الموقف و ليس في الحكم الشرعي، فبينما كان هارون يرى أن الموقف يستدعي التريث، لكي لا تنهار وحده الأمه، و لذلك طبق موقف وصيه موسى (عليه السلام) حيث قال له: «وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ»، تساءل موسى (عليه السلام):

كيف سكت هارون عن انحراف كبير، كتغيير القيادة، والشرك بالله، وعباده العجل، و أن على هارون أن يتبع نهج موسى عليه السلام في مقاومه الانحراف، و أراد أن يتأكد بأن الضعف البشرى لم يدفع بهارون الى التهاون فى مسأله التوحيد، فلما عرف موسى عليه السلام أن مصلحه الرساله و ليس الخوف من الطغاه هو الذى أسكت هارون عن حقه سكن غضبه.

قَالَ يَا بَنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَزُقْ قَوْلِي حِينَما قال له: «أصلح».

و هكذا كانت حكمه غضب موسى عليه السلام الظاهرى توضيح الموقف للناس و لذلك سكت.

[٩٥] بعد أن أنهى موسى عليه السلام الحديث مع أخيه التفت الى السامرى.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ لَمَّا ذَا فَعَلْتَ الَّذِي فَعَلْتَ؟ [٩٦] قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ أَى رَأَيْتَ شَيْئًا لَمْ يَرَوْهُ.

فَقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ أَى مِنَ التَّرَابِ الَّذِي دَاسَتْ عَلَيْهِ خَيْلُ جِبْرَائِيلَ.

فَتَبَدَّلْتُهَا

ص: ٢١٧

قدفتها فى داخل العجل.

وَ كَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي زِينَت لِي أَهْوَائِي الانحراف.

لقد كان السامرى-الذى ينتمى الى سمرون،و هو ابن يشاكر من أولاد يعقوب-و كما يبدو من الآيه ممن بلغ به الإيمان درجه عاليه إذ أبصر ما لم يبصره الآخرون حيث رأى أثر الرسول،و لعل السامرى كان ممن ساءت عاقبته،و هو مثال للخطف المنافق فى الأمه،و الذى يسعى منتهزا الفرص،كغيباب القياده ليصل الى مطامعه و مصالحه الماديه،و لكن السؤال هو لماذا ينحرف كثير من المؤمنين بعد ايمانهم،أمثال بلعم ابن باعوراء و السامرى و الزبير ابن العوام؟! و الجواب كالتالى:

أولا-الانحراف فى مسيره البشر شىء ممكن لأن عوامله كثيره،فربما يواجه فتنه معينه فيتحداهها،و لكنه حينما ترى عليه الفتن المختلفه ينهار امام بعضها،و أصعب فتن الحياه،هى فتنه الرئاسه.

بلعم كان مؤمنا،و لكن حينما رأى أن موسى عليه السلام أصبح نبيا دونه، دفعه نحو الانحراف،حتى قال عنه الله: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ» (١)،و هكذا كان السامرى من أصحاب موسى عليه السلام و لكنه لم يرضى أن يكون هارون رئيسا عليه فاصطنع حادثه العجل،و خدعته شهوه الرئاسه،و كذلك الزبير،فلقد كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله يقاتل معه و يذود عنه،و لكن حينما أراد السلطه انحرف.

ص: ٢١٨

١-١) سورة الأعراف آيه «١٧٦».

و جرت عليهم الامتحانات لكي يتحدوه و يصبح ايمانهم خالصا، و لكنهم انهزموا بتكرس الانحراف في أنفسهم.

و الصديقون هم الذين يقاومون عوامل الانحراف-من الحسد و حب الدنيا، و إذا تحدّوا و استقاموا دخلوا الجنة و الا سقطوا في النار.

ثانيا: أن ينحرف في آخر لحظه من حياته، و يدخل النار، فالذين يحسنون الظن بأنفسهم عادة ما ينحرفون، و على عكسهم المتهمون لها.

ثالثا: من الأسباب الرئيسيه للانحراف طول الأمل، و الحرص على الدنيا، لأنهما من بواعث التسوية بالتوبه.

[٩٧] أما كيف عالج موسى الموقف مع السامري؟ فلقد قام بخطوتين رئيسيتين هما:

### ١- عزل السامري عن المجتمع لأنه جذر الانحراف:

قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَ هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْحُلُولَ الَّتِي تَضَعُهَا الْحَرَكَةُ الثَّوْرِيَّةَ، حُلُولًا- جَنْدَرِيَّةَ تَتَّبِعُ الْآثَارَ السَّلْبِيَّةَ وَ إِزَالَتَهَا، إِلَى اجْتِثَاتِ جَذْرِ الْفَسَادِ، فَبَدَلَ أَنْ تَحَارِبَ الْخَمْرَ، وَ الْفَسَادَ الْخَلْقِيَّ، وَ الْبَرَامِجَ الْمُضَلَّلَةَ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، حَارِبَ الطَّاعُوتِ الَّذِي يَقِفُ خَلْفَهَا، لِأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ يَعْنِي نَهَائَتَهَا جَمِيعًا.

و لم يقتل موسى عليه السلام السامري ليقبى عبره حيه الى كل الانتهازيين من بني إسرائيل، و لكي تتضح عداله الرسالات الالهيه و كيف أن مواقفها عقلانيه، ففي

إن انحراف هؤلاء يدل على وجود انحراف نفسى عميق فى قلوبهم لَمَّا يقاوموه، الخبر أن موسى عليه السلام هم بقتل السامرى، فأوحى الله له أن لا تفعل فانه كان سخيا، و ثالثا حتى يكون عذابه شديدا يوم القيامة بحيث يستوفى كل ماله فى الدنيا و لا يلقى فى الآخرة إلا العذاب. و لعل السامرى ابتلى بمرض جسدى أو روحى يؤدى إلى عذابه باقتراب الناس اليه، فكان يهرب من الناس و يصيح إذا اقترب منه أحد لا مساس: أى لا تمسونى أو لا تقتربوا منى!

## ٢- تعطيم رمز الواقع السلبى..

وَ أَنْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرٍ قَدْ لَمْ لَنْسِيَفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسِيَفًا أَخَذَ مُوسَى الْعَجَلُ الَّذِي عَبْدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ حَرَّقَهُ ثُمَّ ذَرَهُ فِي الْيَمِّ لَكِي يَقْتَلَعُ جَذَرَ الْفِتْنَةِ، خشية أن يقدس العجل أو قطعاته أو حتى رماده فى المستقبل، كما يقدس المرتبطه مصالحهم بنظام الطاغوت آثاره بعد الثورة.

و نستوحى من هذه العمليه أن على السلطات الرساليه أن لا تكتفى بتصفيه شخص الطاغوت فقط، بل تحاول اقتلاع جذوره و تصفيه آثاره و رموزه، كقصوره، و تماثيله، و لو كان فى ذلك بعض الخساره الماديه للثوار، لأن الخساره الحقيقيه أن تبقى هذه الأشياء تقديس من قبل المنحرفين الذين لا يزالون يتعلقون بالطاغوت بسبب عدم استجابتهم للتطور الثورى الذى حدث.

[٩٨] كان الخطاب الأول موجها الى هارون القياده الرساليه، و الخطاب الثانى الى السامرى القياده المنحرفه، أما الخطاب الثالث فلبنى إسرائيل أنفسهم، لأن هذه الجهات هى المسؤول الحقيقى عن أى تغير سلبى فى الأمه.

فلا بد أن تحاسب الحركة الثورية هل أنها تحملت مسؤوليتها أم لا، وكذلك القيادة المنحرفة لما إذا أقدمت على الانحراف، و الجماهير لماذا استجابت الى ذلك؟! قال تعالى:

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَا تَعْبُدُوا الْعَجَل، و لا المال، و لا من يملك المال، و العباده تبدأ من حب الشىء حبا ذاتيا فى القلب، فلتذكر أن الله محيط علما بكل شىء، حتى بخفايا القلوب التى قد تميل الى الباطل.

وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا أَى وَسِعَهُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَ جَانِبٍ.

خاتمه الايه متناسبه مع أجواء الحدث، حيث كان الذنب و تبرير الذنب مما لا يخفى على الله الذى أحاط علمه بكل شىء.

اشاره

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)  
 خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ  
 إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا - يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي  
 نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ  
 لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا  
 خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)

اللفه

١٠٢ [زرقا]: جمع أزرق، فإنَّ الإنسان المكدر المهموم تعلق وجهه زرقه.

١٠٦ [فيذرها]: فيجعلها.

[قاعا]: أي أرضا ملساء منكشفه.

[صفصفا]: أي مستويه، لا علو فيها و لا نتوء، و الصفصف:

هو المستوى من الأرض الذي لا نبات له كأنه على صف واحد في استوائه.



١٠٧ [و لا امتا]: الأمت الأكمه يقال مدّ حبله حتى ما ترك فيه أمتا أى انشاء.

١٠٨ [لا عوج له]: أى لا اعوجاج للدّاعى بحيث يدعو بعضا و يذر بعضا، و إنما دعوه عامه شامله للجميع.

[همسا]: صوتا خفيفا.

ص: ٢٢٣

**هدى من الآيات:**

من العبر الأساسية التي يستفيدها الإنسان من قصص التاريخ هي معرفته بأن الحياة الدنيا ليست دائمة، كما أن معرفته تعطيه معرفه أعمق بالحياة ذاتها، إذ يرى أنها قصيرة، انها جسر الى الحيوان الحقيقى فى الدار الآخرة.

و نفس هذه الحقيقه نجد تذكيرا بها فى كتاب الله،الذى يخسر من أعرض عنه إذ يفقد البصيره فى الدنيا و البصر فى الآخرة، كما تتحول ذنوبه و أخطاؤه الى أثقال يحملها يوم القيامة ذلك اليوم الرهيب،الذى تخشع فيه أصوات الخلائق لربها،و نرى الناس يبحثون عمّن ينقذهم من عذاب النار،و ليس ثمه شفاعه بدون اذن الله.

فمن أجل أن لا تتورط بحمل هذه الأثقال علينا: أن نعود الى التاريخ فنعتبر، و الى القرآن فتذكر.

[٩٩] كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا لَنْ يَنْصُرَكَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَحَدٌ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْإِنْسَانِ أُولَئِكَ نَظَّرْنَا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ

عن تمام وعيه، و إنما ابتليت الأمم بمختلف النكسات بسبب الغفله، و النسيان، و لكى يعى الإنسان واقعه و مستقبله لديه و سيلتان:

الأولى: النظر فى التاريخ برويه و تفكر، فالتاريخ هو ذلك المصباح الذى يضىء للعقلاء درب المستقبل، و التاريخ هو ذلك المعهد التجريبي الذى يتخرج من أروقه أفضل العلماء، و التاريخ هو ذلك الناصح الأمين الذى يوقظ فطره الخير فى ضمير النابهين.

انه الذكر الذى يتجلى فى آيات القرآن حين تبين لنا سنن الله فيما مضى، و كيف سعد من سعد من الأمم، و كيف شقى من شقى منهم،

يقول الإمام أمير المؤمنين، و هو يبين لولده الحسن المجتبى عليه السلام أهميه التجارب التاريخيه:

«أى بنى إني و إن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى، فقد نظرت فى أعمالهم، و فكرت فى أخبارهم، و ستر فى آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأنى بما انتهى الى من أمورهم، قد عمّرت مع أولهم الى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، و نفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله» (١) و حين ننظر الى التاريخ، علينا أن نعتبر بالجواهر، و من الخطأ أن نعلق بكل

ص: ٢٢٥

لتفاصيل و الجزئيات.

الثانية: القرآن، و سمي بالذكر، لأنه يتبه المؤمنين من نومه الغافلين، فيوقظ الضمير، و يستثير العقل، مذكراً الإنسان بعهده مع الله، و ما أودع فيه الله من الفطره.

و كما تتجلى الحقائق و سنه الله عبر أحداث التاريخ، و مسيره الحياه، فانها موجوده فى كتابه أيضاً، و الذى هو بمثابة الخارطه التى تقود الإنسان الى الهدف.

و لتوضيح مفهوم الذكر بصوره واضحه يمكننا ان نشبهه بالخريطه التى يحملها الشخص و هو يريد اجتياز حقل من الالغام، فهو ينظر إليها باستمرار ليحدد المواقع التى زرعت فيها العبوات الناسفه فيتجنبها، و بكل حذر و ارده، ان لا يغفل عنها لحظه واحده، لأن ذلك يعنى: أن يطير أشلاء فى الهواء.

و الحياه التى نعيشها أشبه ما تكون بذلك الحقل الملعوم، و إذا أردنا أن نجتازها بسلام يجب أن يكون الذكر نصب أعيننا باستمرار، و الإنسان العاجز بذاته، الذى يعيش على أرض محفوفه بالإخطار، و مليئه بالصعوبات، لهو بأمس الحاجه الى الله القوى، مطلق العلم، و الاراده و..و.. ليمد له يد العون، فيدفع عنه الخطر، و الذكر هو الوسيله التى يرتبط بها البشر الضعيف بربه العزيز القادر.

[١٠٠-١٠١] مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا \* خَالِدِينَ فِيهِ وَ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا يتنور قلب الإنسان بالمعرفه التى يكتسبها عبر التجربه و التفكير، و عبر النظر للتاريخ و الحياه، و أهم من كل ذلك، عبر رسالات الله (الذكر)، بينما تصنع الغفله حجباً كثيفه عليه تمنع عنه نور الحقيقه، و سحبا متراكمه من الحسد و الحقد و العقد

ص: ٢٢٤

و حب الدنيا و التعلق بزینتها، و هذه الحجب التي تتراكم فوق القلب، و تدعو الى ارتكاب المعاصي، تصبح هي أوزارا باهضه تثقل كاهل صاحبها في الدنيا و في الآخرة.

و الوزر هو الحمل الثقيل، الذي يضغط على صاحبه بقوه، فمن حمل كيسا كبيرا من التراب فوق كاهله ينهار من شدة الضغط، كذلك الحاسد و الحاقد و عبد الشهوات، و السائر في ظلمات الغفله، يتعرض قلبه لضغط معنوی هائل لا يكاد يتحمله.

و التعبير القرآني عن الغفله (بالوزر) أبلغ تعبير، أو ليست الغفله تأتي نتيجة ضغط العوامل الماديه؟ كذلك الوزر (الحمل الثقيل) هو من الضغط المادی.

و لا- يقتصر ضرر الاعراض عن ذكر الله على الدنيا فقط بأن يفقد الإنسان البصيره فيها، بل و يمتد ذلك الى يوم القيامة حيث تتجسد الحقائق، و حيث يحمل من غفل عن ذكر ربه أثقالا باهضه على كتفيه، كما يفقد البصر و هو يحاول أن يجتاز الصراط فيقع في جهنم، يتذوق ألوان العذاب.

و التعبير القرآني من الدقه بمكان إذ يقول تعالى (خالدين فيها) و الضمير يعود إلى الوزر، إذ ذنوبه هنا هي اداه تعذيبه هناك، حيث يخلد فيها مهانا، أعوذ بالله.

[١٠٢] يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ و لا- مناص يومها لأحد الا- أن يخرج من قبره شاء أم أبى، فكما يولد الإنسان و يموت من دون إرادته، كذلك يبعث من دون إرادته.

وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا

أى زرق عيونهم من شدة الخوف، و لعل أهوال القيامة تسبب فى زرقه أجسادهم أيضا.

[١٠٣] يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ لِبَعْضِهِمْ هَمْسًا، فيقول بعضهم لبعض:

□  
إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا إِذْ يَتَضَحَّ لَهُمْ تَفَاهُهُ وَقَصُرَ الْعَيْشُ فِي الدُّنْيَا، التى طالما اعتبروها آخر المطاف، و توهموا أنفسهم باقين فيها، و ذلك حين يقيسونها بالآخره دار الخلد، إن ملايين السنين لا قيمه لها، أمام الخلد، فكيف و الإنسان لا يعيش فى الدنيا الا بضعة عشرات من السنين فقط؟! [١٠٤] نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَهُ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ان علم الله سبحانه و تعالى يحيط بكل شىء و كل زمان، فهو غير خاضع لقانون الزمن، كما نحن البشر، فالماضى و الحاضر و المستقبل فى علمه سواء، فهو يعلم الآن ما سيقوله المجرمون يوم القيامة الذى ربما يأتى بعد ملايين السنين.

و لفظه أمثلهم طريقه، ترفع شبهه قد تتولد فى الذهن، بأن المتكلم الأول كان فاقدا للعقل عند ما قدر عمره فى الدنيا بعشره أيام، فهذا (أمثلهم) أعقلهم و أفهمهم يقدر الفتره بيوم واحد لا بعشره أيام.

ان على الإنسان أن يعلم بأن حياته قصيره جدا، و ان أمامه حياه أخرى لا حصر لأمدها، و ان سعادته أو شقاءه فيها مرهون بعمله فى الدنيا، فيسعى جاهدا من أجل أن يكون سعيدا فيها.

[١٠٥] وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ الضَّخْمَةِ الرَّاسِيَةِ.

فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا [١٠٦] فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا أَرْضٍ خَالِيَةٍ مِنْ كُلِّ أَثَرٍ مِنْ آثَارِ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا.

[١٠٧] لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا أَى تَصِيرُ الْأَرْضُ مَسْتَوِيَةٍ، فَلَا حَفْرَةَ فِيهَا وَلَا نَتْوَاءَ، وَتَزُولُ مِنْهَا كُلُّ الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَةِ. تَصَوَّرْ لَوْ كُنْتَ وَاقِفًا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ جِبَالِ الْهَمْلَايَا فَإِذَا تَنْفَجَرَتْ مِنْهَا وَاحِدَةً، فَكَمْ سَيَكُونُ الْمَنْظَرُ مَهِيبًا وَمَخِيفًا؟ وَالسُّؤَالُ: لِمَاذَا نَجِدُ الْقُرْآنَ يَتَحَدَّثُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الذِّكْرِ، عَنِ نَسْفِ الْجِبَالِ، وَتَسْجِيرِ الْبَحَارِ، وَانْتِشَارِ الْكَوَاكِبِ وَ.. وَ..؟ وَالْجَوَابُ يَبْدُو: أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ خُلِقَ لِهَدْفٍ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ، وَخِدْمَةُ الْإِنْسَانِ، فَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ قَدْ انْتَهَى وَجُودُهُ وَدَوْرُهُ فِي الدُّنْيَا، فَانْهَى تَبَعًا لِذَلِكَ دَوْرَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ،

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَخَاطَبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِنْسَانَ قَائِلًا:

خَلَقْتُكَ لِأَجْلِى وَخَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ وَلَعَلَّ مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ فِي التَّذْكَرَةِ، هُوَ التَّعَرُّضُ لِمَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ

الإثارة و شد الانتباه، ليقوض الضمير، خصوصا و ان أسلوب العرض القرآني قمه البلاغه.

[١٠٨] و يواصل القرآن الحديث عن يوم القيامة:

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا من المفارقات الموجوده بين الدنيا و الآخرة، مفارقتان تذكرهما هذه الآيات:

الأولى: المفارقة الزمنية، فبينما الدنيا محدوده زمنيا، نجد الآخرة أبدية.

الثانية: و تذكرها هذه الآية، و هي ان الدنيا حياه الاراده البشريه، بينما الآخرة (يوم القيامة) يجرد الإنسان من إرادته، و بالذات المجرم، و يخضع لله جبريا.

فهذا البشر الذى كان يتمرد على رسل الله و رسالاته، نجده-هنالك-خانعا خاضعا لداعى الله، و صوته الذى طالما رفعه يحارب به الله، و عبادته، و رسالاته، هذا الصوت تجده خاشعا لله تعالى، الذى ينتظر منه الجميع كلمه العفو و الغفران، و يتبعون داعيه دون أى تلكأ و بلا عوج، ذلك الداعى الذى يدعوهم الى صراط الله المستقيم لا عوج له.

[١٠٩] يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا. كل العلاقات لا- تنفعه يوم القيامة، و لا- تبقى الا علاقته واحده، و هي علاقته المؤمنين و شفاعتهم و شفاعته الرسل و الصديقين و الشهداء و الصالحين لمن اتبعهم فى الدنيا و أطاعهم، فالعلاقه الرساليه اذن هي الباقية يوم القيامة، و ليس هناك انصاف آلهه يفرضون إرادتهم على الله، كما يدعى البعض أو يتصورون، و هذه الوساطات

ص: ٢٣٠



و الوجاهات التي يتوسل بها الإنسان قد تنفعه عند السلطان، أما عند الله فلا، الا لمن يعطيه الله صلاحه الشفاعة، و نتسائل: ما هي إذا فائده الشفاعة و من ذا الذي تعطى له صلاحيتها؟ أولا: ان الشفاعة هناك نتيجة العلاقات الايمانية هنا، و بالذات علاقه بين المؤمنين و قيادتهم الشرعيه من رسول و وصى رسول، و من أمر الله بطاعته و حبه، و كلما ازداد حبك في الله للأنبياء و الأئمه و خلفائهم و طاعتك لهم، كلما ازدادت فرص نجاتك من النار، لأنهم و حدهم الشفعاء عند الله.

ثانيا: قد يلقي الشيطان في قلب المذنبين اليأس من روح الله، فيفتح الله لهم بابا واسعا الى رحمته عبر الشفاعة و يهديهم الى صراط التوبه، و هو العوده الى الله، و من أمر الله بطاعته، من الرسول و أولى الأمر الشرعيين من بعده.

و سؤال آخر: لما ذا التأكيد على أن لا شفاعة الا لمن ارتضى الرب؟ و الجواب: ان فكره المسؤوليه هي أثقل ما في الميزان من فكر، و ان البشر يسعى جهده للتخلص منها، و الاستراحه الى ظل التبريرات، و الشفاعة أبرزها، إن الإنسان يخدع نفسه كلما ذكره الله بالجزاء، و يتمنى لو ان شخصا يشفع له، فيؤكده الله سبحانه: كلا، لا شفاعة عند الله الا ممن يرتضيه الله سبحانه، هكذا لكي تبقى النفس عاربه أمام حقيقه المسؤوليه، و يتقبلها طوعا أو كرها.

[١١٠] يَغْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ فسلوك الإنسان و خلفياته هي التي تؤثر في مصيره غدا، و كل ذلك يعلمه الله.

وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا

ص: ٢٣١

و هكذا يقفون امام سلطان الرب القاهر، عاجزين لا يحيطون به علما، فلا يمكنهم التغلب عليه، أو مقاومه مكره، إذا ليس امامهم الا التسليم له و الهروب من عدله الى عفوه، و من غضبه الى رحمته و رضوانه.

ص: ٢٣٢

## إشارة

وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزَوْجَكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَىٰ (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ (١٢٢)

## اللغة

١١١ وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ: العنوه الخضوع و الذل، و العانى الأسير و أخذت الشىء عنوه أى غلبه تذل المأخوذ منه، و قد تكون العنوه عن طاعه و تسليم لأنه على طاعه الذليل للعزيز.

١٢١] وطفقا يخلصان]: أى شرع آدم وحواء يلصقان على أنفسهما من الورق حتى لا يتعزّيا.

ص: ٢٣٤

هدى من الآيات:

الإنسان خاضع بكيانه الطبيعي لله سبحانه، و يتجسد خضوعه الكامل يوم القيامة، أما في الدنيا فقد أعطاه الله فرصة لتجربه إرادته، فهو يستطيع بها أن يسمو ليصير أفضل من المخلوقات، التي تخضع لله خضوعا قهريا تكوينيا.

و هذه المسؤولية بحاجة الى التذكير بها، و إن كان الإنسان بطبعه و فطرته يشعر بالمسؤولية، و لكنه ربما أنسته إياها ضغوط الحياه، و وساوس الشيطان فيها، و مشاكلها، فهو بحاجة الى تذكير مستمر ليقاوم كل ذلك.

و هكذا جاء القرآن الحكيم تذكيرا للإنسان بمسؤوليته، و ثمه عامل آخر يجعل الإنسان ذا كرا لا ينسى، و هو العزم و الاراده، و في هذه الآيات يذكرنا الله تعالى بأن آدم لم يكن من أولى العزم حيث نسي عهد الله اليه و أخرج، و لم يخرج آدم من الجنة، التي وفر الله له و لزوجته فيها الطعام و اللباس و الشراب و السكن، الا بسبب

إثارة الشيطان لغريزتي حب الخلود و حب السلطه، فلما اتبع إبليس، تجرد من لباس الجنه (حيث جرد نفسه من لباس التقوى) و أضحي عاصيا و قد غوى، الا ان الله فتح أمامه باب التوبه فاجتباه و هداه.

و فى نهايه الدرس بشاره بأن وراء هبوط الإنسان الى الأرض بالذنب، التوبه التى هى معراجة الى الجنه.

### بينات من الآيات:

[١١١] وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ عَنَتِ أَى خَضَعَتْ خَضُوعًا ذَلِيلًا، أما الوجوه فهى المظهر البارز من الإنسان، و حينما تقول توجهت أى جعلت كل أبعاد حياتى فى هذا الطريق، فعنت الوجوه بمعنى خضعت أبعاد حياه الإنسان للحى القيوم، بلى هذا الوجه الضعيف الفانى، حق له أن يخضع لذلك الوجه الحى القيوم..

هكذا نقرأ فى الدعاء:

(سجد وجهى الذليل لوجهك العزيز الجليل، سجد وجهى البالى الفانى لوجهك الدائم الباقي، سجد وجهى الفقير لوجهك الغنى الكبير، سجد وجهى و سمعى و لحمى و دمي و جلدى و عظمى و ما أقلت الأرض منى لله رب العالمين) (١) و لعل اسمى الحى و القيوم يجمعان أسماء الله الحسنى.

وَ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا

ص: ٢٣٦

١- (١) مفاتيح الجنان- ص ٢٢٧- من دعاء الجوشن الكبير.

الخبية هي الفشل، و الذى يخيب هو الذى لا يصل الى هدفه، و الظلم حمل ثقيل على كاهل الإنسان يتجلى فى صور سلبيه شتى فى الدنيا، كعدم التوفيق و الفشل و..و..، أما فى الآخرة فيتجلى فى صورته العذاب المهين، و هذا خلاف ما ينتظره الإنسان من وراء ظلمه، أو ليس كان يأمل الظالم أن يحقق لنفسه و أهله السعاده و الفلاح، الآن تراه يفشل و يخيب أمله، و يحمل أوزار الظلم.

[١١٢] فى مقابل الظلم يوجد العمل الصالح، و هو حاله بناء، سواء للنفس أو المجتمع، فبدل أن تسجّر لنفسك تنورا فى جهنم بالظلم، شيد لك قصرا فى الجنة بالعمل الصالح، و بدل أن تهدم علاقاتك بالمجتمع عبر الظلم، وسعها و متنها بالإحسان و العمل الصالح، و الذى يعمل الصالحات لا يخاف الهضم و لا الظلم.

ثم أن عمل الصالحات فى الخط الفاسد ليس من الصالحات فى شىء، لذلك يؤكد القرآن:

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَحَتَّىٰ تَثْمَرَ الصَّالِحَاتِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي خِطِّ الْإِيمَانِ.

فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا لَا يُمْكِنُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَىٰ صَحِيفَةَ عَمَلِكَ وَ قَدْ ذَهَبَتْ بِيَدِ غَيْرِكَ، كَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَضِيعَ اللَّهُ عَمَلًا صَالِحًا مَهْمَا يَكُنْ صَغِيرًا، فَلَوْ أَنَّكَ قَمْتَ فِي أَحَدِ اللَّيَالِي لِحِظَاتٍ وَ سَبَحْتَ اللَّهَ ثُمَّ نَمْتَ فَهِيَ سَتَبْقَىٰ مَكْتُوبَةً فِي صَحِيفَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ الْفَرْقُ بَيْنَ الظُّلْمِ وَ الهَضْمِ، أَنَّ الظُّلْمَ ذَهَابَ كُلِّ الْعَمَلِ، وَ الهَضْمَ نَقْصَانُ بَعْضِ الْأَجْرِ.

[١١٣] وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

عربيا: بليغا يفهمه كل الناس، و يوضح كل الحقائق، و اللغة العربية تمتاز ببلاغه نافذه-باعتراف علماء اللغه-لا نجد لها أبدا في غيرها.

وَ صَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ أَى ثَبَتْنَا فِيهِ الْوَعِيدَ، بِأَسَالِبٍ مُخْتَلَفَةٍ وَ مَعَ أَمْثَلِهِ حَقِيقِيهِ.

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لِكَى تَتَرَسَّخَ فِيهِمْ رُوحَ التَّقْوَى، وَ الَّذِى تَتَرَسَّخَ فِيهِ هَذِهِ الرُّوحُ لَا يَظْلَمُ وَ لَا يَغْفُلُ وَ لَا يَذُنِبُ، لِأَنَّهُ مُسَلَّحٌ بِالتَّقْوَى وَ الْحَذَرُ نَتِيجَةُ الْوَعِيدِ.

أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا هَدَفَ الْقُرْآنُ هُوَ زَرْعُ التَّقْوَى فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَ إِذَا كَانَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ لَا-يَتَقَبَلُ التَّقْوَى، فَلَا أَقْلَ لِيَتَذَكَّرَ بِالْقُرْآنِ، وَ التَّذَكُّرُ حَسْبَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ هُوَ تَذَكُّرُ اللَّهِ عِنْدَ مِمَارَسَةِ الْخَطِيئَةِ، مِنْ هُنَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ التَّقْوَى نَوْعٌ مِنَ الْعَصْمَةِ أَمَّا التَّذَكُّرُ فَيَشْبَهُ الْكَابِحَ.

[١١٤] فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ تَعَالَى عَنِ التَّشْبِيهِ وَ التَّصْوِيرِ وَ التَّصَوُّرِ، فَهُوَ الْمَلِكُ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْمَهِيْمُنُ عَلَيْهِ، وَ هُوَ الْحَقُّ وَ مَا دُونَهُ الْبَاطِلُ، فَنَحْنُ مَلِكُهُ يَهْدِينَا إِلَى الْقُرْآنِ.

وَ لِكَى نَصَلَ إِلَى عِلْمِ الْقُرْآنِ لَا بَدَّ مِنَ التَّسْلِيمِ وَ الْإِسْتِرَادَةِ مِنَ الْوَحَى دُونَ الْعَجَلِ.

وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ



فى تفسير على بن إبراهيم، فى سبب نزول هذه الآيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل تمام نزوله، فأُنزل الله:

وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ وَ لعل زياده حب النبى و شوقه الى وحي ربه، كان يدفعه الى ذلك، فنهاه الرب عنه، و مهما كان السبب فان ذات العجله غير حميده:

١/ إذ المطلوب من المؤمن التسليم المطلق امام الرب، ليزيد الله علمه، و مع الاستعجال بالوحي حتى و لو كان من منطلق الشوق- يفقد كمال التسليم له، و بالتالى لا يزداد علما.

٢/ و المهم قراءه القرآن بتأن و تدبر لاستيعاب معانيه، لأن هذا الطريق فقط هو الذى يجعلنا نفهم القرآن، و خطأ أن نقرأ القرآن بهدف القراءه لأنها ليست مطلوبه بذاتها، إذا عريت عن الفهم و التدبر، الذى يحقق التقوى أو الذكرى.

وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا و ان من آداب تلقى الذكر- بعد التسليم- الشوق الى زياده العلم، فمن اغتر بما يملك من العلم لم يؤت الزياده.

و لذلك نجد كيف يأمر الرب رسوله بطلب الزياده فى العلم- و جاء فى الحديث الشريف عن أئمة أهل البيت: لو لا اننا نزداد لأنفدنا. (١)

و فى الحديث المأثور عن عائشه عن الرسول صلى الله عليه وآله انه قال :

ص: ٢٣٩

«إِذَا أَتَى عَلِيٌّ يَوْمَ لَا- أزداد فيه علما يقربني الى الله، فلا بارك الله لي في طلوع شمسهِ» (١)[١١٥] وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا إِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ لَقَدْ حَدَدَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْهَدَفَ مِنَ الْقُرْآنِ (التقوى و التذكر)، و كمثال على هذين الهدفين يذكر الله قصة آدم عليه السلام عند ما نهاه عن الشجرة و حذره من الشيطان أن يخرجهُ من الجنة، فلا هو اتقى الشيطان و لا هو تذكر نهى الله له.

و من كلمه «نسى» نستنتج ان عصيان آدم لم يكن متعمدا، و يدل على ذلك عجز الآية وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا أَي عَزْمًا أَي عَزْمًا أَي ترك المعصية، كما ان النسيان ضد التذكر، و عهدنا بمعنى أمرنا، فهو لم يتحد ذلك الأمر انما نسيه.

وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَ هُنَاكَ تَفْسِيرَانِ لِهَذِهِ الْآيَةِ:

الأول: ان آدم عليه السلام نسي العهد الالهي و لكن لم نجد له عزمًا على الخطيئة أي تعمدًا.

الثاني: لم يكن آدم من أولى العزم و أولو العزم خمسة هم: نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمد صلى الله عليه و آله، و هذا التفسير تأكيد للقول بأن الارادة «العزم» تمنع الغفلة و النسيان.

[١١٦] وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ أَبَىٰ

ص: ٢٤٠

ان سجود الملائكه الموكله بالطبيعه للإنسان يعنى ان الله سخرها للبشر، بلى يبقى إبليس موكل بالنفس الأماره التى لن تسجد لله الا ان يجبرها الإنسان على ذلك.

[١١٧] فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرِزْوَجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى بَيْنَ اللَّهِ لَأَدَمَ وَ زَوْجِهِ، أَنْ إبليس عدو لهما، يسعى لاخراجهما من الجنة، و نستفيد من هذه الآيه عده أفكار:

١- ان الإنسان بحاجة الى ان يعرف عدوه إبليس و يتذكر ذلك أبدا.

٢- ان عداوه إبليس للمرأة كعداوته للرجل، و بالتالى على المرأه أن تكون على أشد الحذر كما على الرجل سواء بسواء.

٣- ان هدف الشيطان هو إضلال البشر و جرهم الى الشقاء المادى و المعنوى، و وسيلته فى ذلك التفرير و المكر و الخداع! [١١٨-١١٩] إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى\* وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَجُ هذه أربع من النعم الماديه التى أودعها الله فى الجنة و هى (نعمه الأكل و اللباس و الشراب، و المسكن).

[١٢٠] و لكن هل يترك الشيطان الإنسان لسيله؟.. كلاً.

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَّا يَبْلَى

نستوحى من هذه الآيه الكريمه أفكارا عديده تعالج قضايا هامه، لا زال بعضها موضع بحث و دراسه عند المفسرين:

١- ان الشيطان يوسوس للإنسان، فيستثير طبائعه الدفينه، و يدغدغ تمنياته المكبوته، و يحرك تلك الغرائز الخامده، و هو يفعل كل ذلك بهدف التشويش على بصره، و التمويه عليه، و زرع الشبهات فى قلبه، و إلقاء التبريرات و التسولات فى نفسه.

و هكذا لا- يكفى الحذر من إغواء الشيطان المباشر، بل علينا أن نعرف أنه يشوش علينا، و يشبه الأمور و يخلط الحق بالباطل، و يمكر و يكيد، و يغر و يخدع، إن علينا أن نكون فى قمه الحذر، و الا وقعنا فى شركه.

٢- و آدم أول من وقع فى مصيده إبليس، فهو لم يعزم عصيان ربه، بل أنساه الشيطان أمر الرب، و خدعه حيث حلف له بالله كذبا أن الله لم ينهه عن تلك الشجره.

و لم يكن آدم يعلم أن من الممكن أن يحلف أحد بربه كاذبا، ثم شبه عليه بأن المنهى عنه انما هو شجره معينه من الحنطه، و ليس كل أشجار الحنطه، و هنا استفاد إبليس من نقطه ضعيفه عند البشر حيث يتهرب من المسؤوليه بأدنى تبرير، و كانت أداه و سوسته اثاره مشاعر حب الخلود و الملك عند البشر،

جاء فى حديث شريف عن جميل بن دراج عن أحد الصادقين عليهما السلام: «سألته: كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال: انه لم ينس، و كيف ينسى و هو يذكره و يقول له إبليس: مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ» (١).

ص: ٢٤٢

(١-١) المصدر ص ٤٠٢.

٣-غريزتا الملك و حب الخلود غريزتان متأصلتان فى أعماق الإنسان،فبالرغم من أن الله أسكن آدم و حواء الجنة-و هى دار الخلود-الا انهما لا زالا ينتابهما الشعور بالنهايه،و قد أثار الشيطان فيهما هاتين الغريزتين،و هكذا انخدع آدم بإبليس الذى زين له الأكل من الشجره المحرمه،و كانت النتيجة أنه طرد من الجنة و أهبط الى الأرض.

و انما خدع آدم حين أثار إبليس فيه غريزتى (حب الملك و حب الخلود)،و من المعلوم انه لم يكن الهدف من خلق هاتين الغريزتين فى النفس ان يستخدمهما الشيطان فى اغوائه الإنسان،انما أعطاه الله حب الملك و السيطرة،لكى يستعمر الأرض و يتحمل الصعاب و المشاق فى سبيل ذلك،و أعطاه حب الخلود لى يحافظ على نفسه من جهه،و لى يعرف انه خلق للبقاء و لكن ليس فى هذه الدنيا،بل فى الآخرة،و انه لو لم يخلد فى الدنيا،فان هناك دارا أخرى سيخلد فيها.

و لكن إبليس كعادته يحرف غرائز الإنسان،التي لو استفاد منها استفاده سليمه،إذا لكانت وقوده فى الطريق الصاعد،أما لو استخدمها بصوره غير سليمه، فانها ستكون سببا لهبوطه و ترديه.

و الشيطان حينما يوسوس للبشر فهو قد لا يتراءى له،و لكنه يأتيه فى صوره خواطر و أوهام.

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِمَا فَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ كَانَتْ نَتِيجَةَ اقْتِرَافِهِمَا السَّيِّئَةَ أَنْ بَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا بَعْدَ أَنْ الْبَسَهُمَا اللَّهُ الرِّيَاشَ.

وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ عصى باقترافه الخطيئه، أو تركه الهدى، و غوى عن رحمه ربه الى دار الشقاء إذ من معانى الغوايه الضياع.

[١٢٢] ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ وَ فى هذه الآيه اشاره الى ان بيد الإنسان نفسه سعادته أو شقائه، و انه لو وقع فى فخاخ الشيطان و انحرف عن الجاده، فان امامه فرصه التوبه التى هى معراجة الى الفضيله.

و هناك حديث مأثور عن الامام الرضا عليه السلام يوضح الكثير من الشبهات فى الآيه، و الحديث كالتالى:

يقول على بن محمد بن الجهم قال :حضرت مجلس المأمون و عنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك ان الأنبياء معصومون؟ قال:

بلى، قال فما معنى قول الله عز و جل: «وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ»؟ قال عليه السلام: ان الله تعالى قال لآدم: أُسِيكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ، و أشار لهما الى شجرة الحنطه «فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» و لم يقل: و لا تأكلا من هذه الشجرة، و لا مما كان من جنسها، فلم يقربا من تلك الشجرة، و انما أكلا من غيرها لما أُبْنِ وسوس الشيطان إليهما، و قال: «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجْرَةِ» و انما نهاكما ان تقربا غيرها و لم ينهكما عن الأكل منها «إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ» «وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ» و لم يكن آدم و حوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا «فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَأَكَلَا مِنْهَا» ثقه بيمينه بالله و كان ذلك من آدم قبل النبوه، و لم يكن بذنوب كبير استحق به دخول النار، و انما كان من الصغائر الموهوبه التى تجوز على الأنبياء

قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى، وجعله نبيا معصوما لا يذنب صغيره، ولا كبيره، قال الله تعالى: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (١).

و كلمه أخيره:

ان الشيطان يقدر على إغواء البشر ما دام الإنسان مغرورا بنفسه، غير مستعيز بربه من شر إبليس و خدعه و احاييله..

و هكذا وقع آدم في شرك إبليس حيث اعتمد على نفسه، فعلى أن نعرف مدى خطوره الشيطان فنستعيز أبدا منه بالله سبحانه.

و نكرر: أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي.

جاء في حديث شريف عن الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) :

«فقال لهما لا- تقرباها يعني لا- تأكلا منها فقال آدم و زوجته: نعم يا ربنا لا نقربها و لا نأكل منها، و لم يستثنيا في قولهما، نعم (لم يقولوا الا ان يشاء الله) فوكلهما الله في ذلك الى أنفسهما و الى ذكرهما» (٢).

ص: ٢٤٥

١-١) المصدر ص ٤٠٣.

٢-٢) المصدر ص ٤٠٢.

اشاره

قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى (١٢٨) وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)

اللغه

١٢٤[ضنكا]:ضيقه.

١٢٨[أ فلم يهد لهم]:أ فلم يبين لهم،و ألم يرشدهم:و هذا استفهام استنكارى.

ص:٢٤٦



١٣٠ [متربص]: منتظر ليرى المصير، و ينتظر لمن الغلب، و أينا يعذب و أينا ينعم؟.

ص: ٢٤٧

هدى من الآيات:

الإنسان مزيج من حفته من تراب و ومضه من نور، و الأولى هى التى تحتوى على جوانب ضعيفه، أما الثانيه فتستر سوءات التراب، فاراده الإنسان تستر شهواته، و عقله يستر جهله، و تقواه تستر غرائزه، و لو لا هذا الجانب الخير فى حياته لكان أضعف و أعجز من كثير من الأحياء.

نعم إن لباس التقوى هو أفضل ما يستر به الإنسان عجزه و جهله و غروره، و لو لا هذا اللباس لما تدافن الناس، و لو تعرى كل إنسان للثانى، لظهر أشد سبعية من الذئب، و أخبث حيله من الثعلب، و ألدغ من الحيه، و الذى ينزع عن نفسه هذا اللباس فان أمامه طريقا عريضا، ليعود الى الله، مره أخرى عبر التوبه.

و الإنسان إنما يضعف و يذنب، حينما ينشد الى التراب، بينما يسمو حينما يميل الى جانب النور، و إنما هبط آدم عند ما تأثر بترابته لا بروح الله التى نفخها فيه.

و لما خدع الشيطان آدم أنزله الله الى الأرض ليخوض صراعا عنيفا بين الحقّ و الهوى، بين من يتبع هذا و من يتبع ذاك، و هذا ما يجعل الإنسان محتاجا الى رسالات الله لتهديه الى سبيل الرشاد و السعادة، فمن اتبع هدى الله فلا يضل عن الطريق، و لا يصيبه الشقاء، أما من اتبع هواه و أعرض عن ذكر الله، فإنه يخضع لضغوط الشهوات، و يعيش فى زنانه الجهل و الجهالة، و يصاب بمعيشه ضنك، أما يوم القيامة فيبعث أعمى، و حين يتساءل عن ذلك يأتيه الجواب: أو لم تنس آيات الله؟ بلى فأنت اليوم تنسى. إن المسرفين الذين يكفرون بآيات الله لهم عذاب شديد، فى الدنيا- كما أهلك الله القرون الغابرة و أشدّ منه و أبقي فى الآخرة. إن الله سبحانه و تعالى يهمل الكفار لأجل مسمى، و لو لا ذلك لأخذهم بكفرهم.

### بينات من الآيات:

[١٢٣] قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَقَدْ هَبط آدم و زوجته فقط، و قد أكد القرآن ذلك حين جاء الحديث بلفظ التشبيه اهْبِطَا، و لكنه بعدئذ يقول: جَمِيعاً فَلَعَلَّهُ يضم إبليس معهما، ثم يقول: بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ بصيغه الجمع، لما ذا؟ لأنّ آدم لم يختلف مع زوجته فى الأرض أبدا، بل ظلّ على وئام معها، حتى صارت لهما ذرية فانقسم هؤلاء، فمنهم من اعتنق مبادئ الخير، و منهم من اعتنق مبادئ الشر، فنشب الصراع بين الطرفين.

فَأَمَّا يَا تَبِئَكُمْ مَنى هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاى فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشقى

الضلاله هي الانحراف و الشقاء نتيجتها،و لكن الذى يتبع هدى ربه لا يضل و لا يشقى،لأنه يسير فى الطريق الصحيح الذى يوصله الى أهدافه،و لعلّ الضلاله تعنى الجانب المعنوى،بينما الشقاء يعنى الجانب المادى ليتقابل مع قوله سبحانه فى الآيه التاليه، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا يَعْنِي مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ هُدَى اللَّهِ.

[١٢٤] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي مِنْ يَعْزُضُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ،و عن الحقّ،و أبرز قضاياها هو تولى القيادة الشرعيه، فانه لا يعرف كيف يستفيد من الحياه لذلك يشقى فيها.

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا أَي مَعِيشَةً ضَعِيفَةً تَضْغُطُ عَلَيْهِ وَ تَجْلِبُ لَهُ التَّعَاسُفَ،برغم مظاهر الثروه التى قد يكون متلبسا بها و يغبطه الناس عليها،و الواقع:إن ضنك العيش يتمثل فى واحد من بعدين:

١/افقد يكون بسبب نقص الوسائل الماديه التى توفرها المناهج الالهيه،و التى لن توجد من دونها إلا مؤقتة و مشوبه بالمشاكل الأعظم منها.

٢/و قد تضيق النفس بالحياه و تصبح حرجه قلقه،غير مطمئنه و لا راضيه حتى و لو توفرت الوسائل الماديه،إذ النفسيه المعقده التى تتراكم عليها الصفات الرذيله كالحسد و الحقد و الكبر و الغرور يعيش صاحبها فى زنزانه ضيقه و لو كان جسمه فى روضه فيحاء.

و فى السياق إشاره الى بعض جوانب السعه و الضيق فى القلب.

وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى

ص:٢٥٠

ولماذا يعمى الإنسان في الآخرة؟ لأنه قد ترك الانتفاع بالبصيره في الدنيا، ذلك لأن العمى في القرآن منه ما هو عمى البصر و منه ما هو عمى البصيره، كما قال الراغب في قوله سبحانه: وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا فَأَلْوَلِ عَمَى البصيره و الثاني عمى البصر، و لعلنا نستطيع أن نعبر عن عمى البصيره بعدم الوعي، و الذي يعمى عن النور لا بد أن يعمى عما يضيئه ذلك النور من الحقائق، فهدى الله نور جاء ليضيء الحقائق، و يبين السنن الحاكمه في الحياه، و يديهى إن من يعرض ببصره و بصيرته عن رؤيه ذلك الهدى، سيعمى عن حقائق الحياه و سننها، و سيصعب عليه تمييز الخير عن الشر، و سيتجسد في الآخرة في عمى ظاهر هو عمى العين، لذلك يقول تعالى:

[١٢٥] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا يَبْدُو مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكُفَّارِ، إِنَّمَا مِمَّنْ نَسِيَ آيَاتَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ جَاءَتْهُ، وَ لَذَلِكَ احْتَارَ فِي سَبَبِ عَمَاهُ وَ تَسَاءَلَ: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَ أَضَافَ:

وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا وَ لَوْ كَانَ كَافِرًا إِذَا لَمْ يَنْسِبْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَصْرِ، وَ رَبَّنَا حِينَ أَجَابَهُ، ذَكَرَهُ بِأَنَّهُ نَسِيَ آيَاتَ اللَّهِ، وَ لَمْ يَقُلْ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا، هَكَذَا جَاءَتْ النُّصُوصُ تَفْسِرُ الْآيَةَ بِمَنْ تَرَكَ الْوَلَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ أَوْ الْحُجَّ الْمَفْرُوضَ،

فقد روى أبو بصير قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «من مات و هو صحيح موسر لم يحج، فهو ممن قال الله عز و جل: وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ قُلْتُ: سبحانه الله، أعمى إقال نعم أعماه الله عن طريق الحق» (١) و حينما يسأل الضال ربه عن سبب عماه يأتيه الجواب:

ص: ٢٥١

[١٢٦] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ أَيَّ أَهْمَلْتَهَا كَمَا يَنْسَىٰ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ تَهْمَلُ فِي النَّارِ كَمَنْ نَسَىٰ شَيْئًا، وَيَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَشْكَلَةَ الْإِنْسَانِ هِيَ إِهْمَالُهُ لِتَعَالِيمِ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، بِسَبَبِ عَدَمِ الْجِدِيَّةِ (الْعَزْمِ) فِيهَا، وَعِلَاجُ هَذِهِ الْآفَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، عِبْرَ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَالصَّلَاةُ تَذَكِّرُ الْمُؤْمِنَ بِرَبِّهِ بِاسْتِمْرَارٍ، وَبِالتَّالِي تَذَكِّرُهُ بِأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ الَّتِي بَلَّغَهَا الرَّسُلُ، وَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ يَعْرِفُ الْحَيَاةَ وَ سَبِيلَ تَسْخِيرِهَا، فَيَفُوزُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

[١٢٧] مَا الَّذِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ لَا- يُؤْمِنُ بِآيَاتِ اللَّهِ، إِيْمَانًا عَمَلِيًّا يَنْعَكِسُ فِي وَاقِعِ حَيَاتِهِ، وَ يَلْتَزِمُ بِأَحْكَامِ السُّلْطَانِ بِجِدِّ وَ عَزْمٍ؟ الْجَوَابُ: إِنَّهَا نَزْعُ الْإِسْرَافِ الْكَامِنِ فِي نَفْسِهِ، وَ الَّتِي تَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْتِرَادَةِ مِنْ مَتْعِ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ، حَيْثُ إِنَّ التَّمَسُّكَ بِالسُّلْطَانِ يَتَطَلَّبُ شَيْئًا مِنَ الصَّبْرِ وَ التَّحَمُّلِ وَ التَّضَحِّيَةِ، وَ لَعَلَّهُ لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ:

وَ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَحَاوِلُ الْهَرَبَ مِنْ صَعُوبَاتِ الْحَيَاةِ بِالِاتِّفَاتِ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ، فَانْهَ سَيُوجِهُ فِي الْآخِرَةِ نَفْسَ الصَّعُوبَاتِ وَ الْمَشَاقِّ، وَ قَدْ اِكْتَسَبَتْ صِفَتَيْنِ خَطِيرَتَيْنِ هُمَا الشَّدَّةُ أَوَّلًا، وَ الْإِمْتِدَادُ الزَّمَانِي الَّذِي يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْخُلُودِ ثَانِيًا.

وَ لَعَلَّ ذَابَّ الْآخِرَةَ أَشَدُّ وَ أَبْقَى [١٢٨] أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى الَّذِي لَا يَتَعَطَّ إِلَّا لَا يَشْعُرُ بِالْخَطَرِ فَيَأْمَنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، أَوْ لِأَنَّ قَلْبَهُ قَاسٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوْعِبَ بِهِ الْعِبْرَةَ، وَ لَا يَسْتَفِيدُ مِنَ الْعِبْرِ إِلَّا أُولَى النُّهَى (أَصْحَابِ

العقول).

[١٢٩] وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرَآمًا وَ أَجَلٌ مُسَيَّمِي كَلِمَةُ اللَّهِ سَبَقَتْ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ، وَ إِلَّا لَكَانَ لِرَآمًا أَنْ يَصَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابَهُ، إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْإِنْسَانِ أَنْ تَرَكَ لَهُ فِرْصَةً كَيْ يَهْتَدِيَ وَ لَمْ يَعَاجِلْهُ بِالْعُقُوبَةِ.

[١٣٠] بما ذا نتقى النسيان؟ نتقى النسيان بأمرين:

الأول: الصبر.

فَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ عَدَمَ التَّأْثَرِ بِكَلَامِ الْكُفَّارِ وَ أَفْكَارِهِمُ السَّلْبِيَّةِ، وَ عَدَمَ مَجَارَاتِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ.

الثاني: ذكر الله بالتسبيح دائما.

وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ صَلَاةَ الصُّبْحِ.

وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ.

وَ مِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ صَلَاتِي الْمَغْرَبِ وَ الْعِشَاءِ.

وَ أَطْرَافَ النَّهَارِ

ص: ٢٥٣

أى وسط النهار و هى صلاه الظهر.

لَعَلَّكَ تَرْضَى ۖ وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَقَابِلُ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً، فالمعيشه الضنك هى معيشه الإنسان التى تحبس نفسه بسببها فى زمرانه السخط على الحياه، أما المعيشه الرجه فهى معيشه الإنسان الراضى بقضاء الله تعالى.

ص: ٢٥٤



اشاره

وَلَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَ أَمْرُ أَهْلِكَ  
بِالصَّلَاةِ وَ اضْطِرُّ عَلَيْهِ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزُوقُكَ وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) وَ قَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تأْتِهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي  
الْصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣) وَ لَوْ أَنَا أَهْلَكْنَا هُمْ لَعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَمَّا لَوْ لَوْ لَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ  
نَخْزَىٰ (١٣٤) قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبُّصًا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنْ اهْتَدَىٰ (١٣٥)

هدى من الآيات:

تحدثنا سوره طه عن الإنسان و تقص علينا أنباء أربعة نماذج بشريه هم:

موسى و هارون، و هما أعلى قمه بشريه، ثم السحره الذين اهدوا بعد الضلاله، ثم فرعون فى الحضيض، و أخيرا: جنود فرعون الذين استخفهم فأطاعوه و أضلهم و ما هدى.

و فى الدرس الأخير تلخص السوره عبرها، و تبين: سليات النفس البشريه، بعد أن أشار الى عوامل الانحراف فيها، ذلك ان معرفه الإنسان بنفسه، و بالعوامل المؤثره فيها، تساعده على الاختيار السليم و حيث: ان القرآن يبصرنا فى هذه السوره بحقيقه وساوس الشيطان، و كيف ان النسيان (و عدم العزم)، و الغفله عن مكر الشيطان، و إهمال ذكر الله، كل أولئك يهبط البشر من جنته الى أرض الصراع.

بلى ان هناك مجالا للإنسان أن يسمو و يسبق الآخرين، و لكن ينبغى أن يكون

تسابقه معهم شريفا يتجه نحو البناء، و الا يكون على حطام الدنيا و الا يتحول الى صراع هدام.

و لكي نتعد عن الضلاله، و لا نتأثر بعامل الحسد، فيصير التنافس صراعا، علينا أن نذكر الله تعالى و ان نقيم الصلاه، و نأمر بها أهلنا، لأنهم قد يؤثرون علينا سلبا لو لم يكونوا مؤمنين، فالصلاه معراج المؤمن، و من يعرج الى الله، لا يتأثر بضغوط الهوى، و لا بزينه الحياه الدنيا.

ثم يشير القرآن الى سبب من أسباب الضلاله، و هو عدم القناعه بقضاء الله، و لا ريب ان الذين يحملون هذه الروح لن يقبلوا برسول الله و لا برسالاته، و سيررّون موقفهم هذا بطلب المزيد من الآيات و الدلالات الحسيه الماديه، و لكنهم يغفلون عن حقيقه هامه، و هي ان كثيرا من الأنبياء السابقين كانت لهم آيات و معجزات ظاهره، كعصا موسى و معاجز عيسى من قبيل احياء الموتى و إشفاء المرضى و لكن مثل هؤلاء الناس لم يؤمنوا بهم.

### بينات من الآيات:

[١٣١] وَ لَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ النِّعَمِ الَّتِي يَمُنُّ اللَّهُ بِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ تَكُونُ لِحُكْمٍ مُّخْتَلَفٍ وَ غَايَاتٍ مُّتَبَايِنَةٍ، فَقَدْ تَكُونُ لِلْإِبْتِلَاءِ وَ الْإِخْتِبَارِ لِمَنْ هُوَ فِي مَسْتَوَاهَا، لَعَلَّ نَفْسِيهِ شَخْصٌ لَا تَتَحَمَّلُ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ، وَ بِالتَّالِيِ لَا. يَكُونُ مِنَ الْحُكْمِ تَحْمِيلُهُ مَسْئُولِيَهُ تِلْكَ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، فَالْأَفْضَلُ -إِذَا- الْأُتَاوَلُ بِنَظَرِكَ إِلَىٰ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْآخِرِينَ.

و قد تكون للزيادة في الإثم و استدراج الفرد نحو مصيره الأسود.

و كثيرون هم الذين يسقطون فى الامتحان فيحق عليهم العذاب، فلا داعى اذن ان يحسد الإنسان الآخرين على ما فى أيديهم من نعم الله، بل يقنع بما فى يده ما دامت النعم تعطى بحكمه للبشر، و لو فكر ان يستزيد من الفضل فليكن ذلك بالطرق المشروعه.. بالعمل و السعى بدل المكر و السرقة.

[١٣٢] ان التنافس على حطام الدنيا لا يختص بالرجال فقط، بل قد نجد البعض يرضى بقسمته من العيش، الا ان اهله هم الذين يدفعونهم الى التكاثر من زينه الحياه، و دائما يقولون له: أ فلا- ترى أهل فلان كيف يتنعمون بالرخاء، أ فلا- تعمل كما يعمل لأهله؟ فما هى إذا مسئوليته الإنسان تجاه أهله؟ الجواب: عليه أن يكون فاعلا- فى أسرته و ليس منفعلا- فلا- يتأثر لضغوطهم الشيطانيه، و ذلك عبر تربيتهم على الروحانيات و من أبرزها الصلاه.

وَ أَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَ اضْطَبْرَ عَلَيْهِمَا لَا نَسِيئُ لَكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزُوقُكَ وَ تدل هذه الآيه على ان الصلاه ليست عباده فرديه يؤديها الفرد تجاه ربه فقط، بل هى أيضا عمل اجتماعى متكامل الأركان، نستفيد ذلك من كلمتى (الأمر، و الاضطبار)، فالأولى تدل على ضروره الالتزام الاجتماعى بهذه الشعيره، بينما تدل الثانية على ان الصلاه تتطلب أعمالا أخرى فيها مشقه و تعب، فهى بحاجه الى الصبر و الاستمرار.

فالصلاه على سبيل المثال تحتاج الى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الالتزام الحاد بتعاليم الشريعة فى كافه مجالات الحياه، الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه و الثقافيه و..و..

و نهتدى من الآيه الى أن الصلاه باب من أبواب الرزق، كما أن فائدها تعود

على مقيمها، مما يجعل الإنسان يقبل عليها بشوق و تلهف، لأن وراءها الرزق و الخير أيضا.

وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۗ لكى نوضح بعدا من أبعاد هذه العبارة القرآنية نضرب المثل التالى: قد يأكل الإنسان أكله شهيه، و لكنها تحتوى على ميكروب لا- تراه عينه، فهو و ان شعر باللمذه الآ-نيه، الا- انه سيجد نفسه طريح الفراش فى المستقبل القريب، بسبب تكاثر الميكروب، و الآلام التى يسببها، مما يجره الى إنفاق الكثير من الوقت و المال بين الأطباء و المستشفيات طلبا للصحة، بينما يأكل آخر أكله متواضعه و لكنها نظيفه فيحصل على فوائدها.

ان المفسد الاجتماعيه تشبه الميكروب فى الطعام، فالإنسان الذى يكتسب المال عن طريق الحرام، كالسرقه، و الاحتيال على الناس، هذا و ان حصل على كثير من المال، فان عاقبته غير حسنه على صعيد الدنيا حيث يبغضه الناس، و قد يقع ضحيه لظلم الآ-خرين و سرقتهم و احتيالهم، إذ كما ان فى المجتمع من هو أضعف منه يمارس تجاهه الظلم، فكذلك فيه من هو أقوى منه يستطيع ان يظلمه، لكل عمل انعكاسا اجتماعيا يشبه أمواج الصوت، تترد الى صاحبه قريبا أو آجلا، ذلك لأن المجتمع وجود حى يتفاعل أعضاؤه فيما بينهم، فمن عمل بالظلم فانه يكرس قانون الظلم فى مجتمعه، و سيصبح فى يوم ضحيه هذا القانون،

و الحديث الشريف يقول :

«من طرق باب الناس طرق بابه » اما الإنسان الذى يتقى، فانه و ان لم يحصل الا على قليل من المال لكنه يحس بالبركه و الراحة الدائمه فى الدنيا، كما يكون سعيدا فى الآخرة برضى الله و جنته.

ص: ٢٥٩



العميق.

[١٣٥] قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَيَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ الْجَمِيعِ يَنْتَظِرُ الْمُسْتَقْبَلَ، وَ لَكِن تَرَقَّبِ الْمُؤْمِنِ مَبْنَىٰ عَلَىٰ أُسَاسِ التَّعَالِيمِ الْإِلَهِيَّةِ، بَيْنَمَا لَا يَسْتَنْدُ تَرَبِّصَ الْكَافِرِينَ الْإِلَهِيِّينَ وَ هُمْ، فَهَمٌ فِي ضَلَالَةٍ حَاضِرَةٍ وَ مَصِيرٌ مُظْلَمٌ، وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَنْطَوِي عَلَىٰ إِذْكَارٍ بِالْغَلْبَةِ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ.

ص: ٢٤١





سوره الأنبياء

اشاره

ص: ٢٦٣



بسم الله الرحمن الرحيم

## فضل السوره:

عن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال :

«من قرأ سورة الأنبياء، حاسبه الله حسابا يسيرا، و صافحه و سلم عليه كلّ نبى ذكر اسمه فى القرآن».

(مجمع البيان-ص ٣٨-ج ٧)

و عن الامام الحسين عليه السلام قال :

«من قرأ سورة الأنبياء حبا لها، كان كمن رافق النبيين أجمعين فى جنات النعيم، و كان مهيبا فى أعين الناس حياه الدنيا».

(الثقلين-ص ٤١٣-ج ٣)

ص: ٢٤٥



شروعها هزه ضمير، و نهايتها و مضه أمل، و بين البدايه الصاعقه و النهايه الحانيه، يتلو علينا القرآن الكريم آيات الوعى، ليعالج فينا الغفله و الإعراض، و اللعب و اللهو، مذكرا بعاقبه المكذبين، و ان الحياه جد، و ان الملائكه عباد مكرمون، و ان الآلهه لا تنفع، و هى ليست كهفا منيعا للاعبين و اللاهين، و ان الله واحد أحد، و ان الموت واقع، و ان الاستهزاء بالرسل عاقبه العذاب. كما انها تذكر بدور الرسل، و عاقبه المكذبين بهم، و شهاده صدقهم فى نصر الله لهم.

فما هو إذا الإطار العام لهذه السوره؟ هل انه يحيط بمحور النبوه و دور الأنبياء كما يدل عليه اسم السوره؟ أم ان محور السوره قضيه الغفله، و كيف تعالج فى النفس، ليشعر الإنسان بمسؤولياته، و ان الحياه جد لا هى لهو و لا لعب؟ لعل السوره تحدثنا عن الأنبياء، و لكن من زاويه تذكيرهم البشر، و كيف ينبغى أن نداوى حاله الغفله من أنفسنا بالاستماع إليهم، و الايمان بهم و بما أرسلوا به.

ذلك إنَّ سورا أخرى تحدثنا أيضا عن الأنبياء، و لكن من زوايا مختلفه مثل طبيعه الصراع الاجتماعى أو السياسى الذى خاضوه (مثل سوره القصص) أو الأذى الذى لحقهم و كيف استقاموا حتى نصرهم الله (مثل سوره هود).

إن الشعور بالمسئوليه، قمه الوعى و إن السبيل إليه مقاومه حاله الغفله و السهو، و التى لا- تتحقق إلا- بالإنذار باقتراب موعد الحساب! و قد جاء النبى يذكرهم إلا أنهم استمعوا الذكر و هم يلعبون، لان قلوبهم لاهيه، لا تستقر على فكره.

و بعد أن يذكر السياق بان إعراضهم عن الذكر بادعاء إنَّه سحر، أو حلم مختلط، أو افتراء، أو خيالات شاعر. و بالتالى تبريرهم التكذيب بالحق، باننا نبحت عن آيات جديده، بعدئذ ينذرهم: بأن الهلاك هو مصير المكذبين (١١).

و بين القرآن: إنَّ الحياه جد لا لعب، و أنَّ الله خلق السماوات و الأرض بالحق، و بالتالى لا ينبغى اتخاذها لعبا و لهوا، (١٦) و يؤكد ذلك بان الملائكه (و هم الأعراف و الأقوى منهم) يعبدون الله بجد و يسبحونه و له يسجدون (١٩) و لأنهم يهربون من المسئوليه عاده الى كنف الآلهه فيزعمون انها تنقذهم من جزاء أفعالهم يذكرهم الرب بأنه الله الواحد (٢٠) و يستمر السياق بذكر التوحيد و الشواهد الفطريه عليه (٣٠) ثم يعود بعد تزييف فكره الشرك التبريريه، ليهز الإنسان من أعماقه بذكر الموت، و ان كل نفس ذائقه الموت، حتى النبى الكريم عند ربه (٣٤).

أما الاستهزاء (و هو صوره اللهو و عدم الجديه فى استقبال القضيهِ المصيريه) فان عاقبه الدمار (٣٦).

و بعد تنفيذ الشرك و الاستهزاء يعالج القرآن حاله الاستعجال(٣٧) (حيث إن الإنسان يبعد المسؤليه عن نفسه بالادعاء انه لو كان لكل فعل جزاء فلما ذا يتأخر الجزاء).

و يعود السياق ليئين مصير المستهزين(٤١) و يقول ان الله هو حافظكم فى الليل و النهار فاحذروه(و لا تستهزؤوا به) و انه هو الذى يكلؤكم لا أحد غيره، و ان الآلهه لا تمنع عنكم العذاب(٤٣).

و استمرار النعم، قد يوحى الى الإنسان بأنه لا-نقم و لا جزاء فى الحياه، و لكن الرب يذكرنا بأن نظره الى الأرض كفيله بإثبات هذه الحقيقه: ان الله غالب على أمره(٤٤).

إن من يلهو لا ينتفع بالوحى لأنه الصمّ، و هل يسمع الصم الدعاء(حتى و لو تمّ إنذارهم بالخطر المحقق بهم)(٤٥).

إنهم يعترفون بذنبهم إذا أصابتهم نفعه بسيطه من عذاب الله، فكيف يغفلون عن الموازين القسط المدقيقه التى وضعت ليوم القيامة؟(٤٧).

لهذا الهدف و هو تذكره الإنسان، و إيقاظ ضميره، و استثاره عقله، جاء الأنبياء، يحملون معهم الذكر، و الله أيدهم بنصره فأهلك المكذبين بهم، و المستهزين. و أنقذهم، و من آمن معهم من العذاب و رفع كلمتهم، و هكذا يقصّ علينا القرآن قصه موسى و هارون(و النبى محمد صلى الله عليه و آله) و إبراهيم و لوط و اسحق و يعقوب و نوح و داود و سليمان و أيوب و إسماعيل و إدريس و ذا الكفل و ذا النون و زكريا و يحيى و مريم و ابنها(عيسى) و يبين كرامتهم عند ربهم و شهادته الصديق على رسالتهم الواحده حيث ان الاختلاف جاء من قبل الناس أنفسهم(٩٣).

و يستلهم السياق من تلك القصص المضيئه إن من يعمل من الصالحات و هو مؤمن فلا كفران لسعيه(٩٤) و هو الجانب الآخر لفكره المسئوليه.

و بعد أن بيّن أشرط الساعه و اقتراب الوعد الحقّ و ندم الكفار و كيف ان الله يلقى الآلهه المزيفه و من عبدها فى النار، يؤكد بأن دخول هؤلاء النار التى لهم فيها زفير،لدليل على أنهم ليسوا بآلهه(٩٩).

أ تريد أن تتخلص من النار؟!فكن ممن هداه الله،و استمع الذكر،فهناك لا- تسمع حسيستها،و لا- يحزنك الفزع الأكبر(١٠٣)هنالك يطوى الله السماء كما تطوى الأوراق،و لكن قبل ذلك اليوم سوف يورث الله الأرض لعباده الصالحين، و هذا البلاغ يفهمه القوم العابدون!(١٠٦).

و الرسول رحمه للعالمين (و تتجلى الرحمه فى يوم وراثه الأرض).و بعد أن يذكرنا السياق بالتوحيد،و يندرنا من مغبه التولى،و يخبرنا بأن الله يعلم الجهر و ما تكتمون، و ان المتاع الدنيوى فتنه و نهايته قريبه يختم السوره بالدعاء الذى يأمر به رسوله النذير،بأن يطلب من الله أن يحكم بالحق(بينه و بين الجاحدين)و هو الرحمن المستعان على الأعداء و ما يصفونه من تهم(١١٢).

ص: ٢٧٠



## [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١ الى ١٠]

## إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَالْثَمَرِيزِينَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) يَلِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا أَسْمَاةً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ جَنَّةٌ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥) مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرِينٍ وَأَمْ أَنَسَ قَوْلُ الْمُكْفِرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْإِنْسَانِ (٦) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)

## اللغة

٢[محدث]:جديد.

٣[و أسروا النجوى]:أى أخذ يناجى بعضهم بعضا فى شأن القرآن و الرسول.

[أ فتأتون السحر]:أى كيف تقبلون السحر الذى أتى به محمد،و تأتون بمعنى:تذهبون إلى السحر.

ص:٢٧١

٥]أضغاث أحلام]:أى تخاليط أحلام،و أحلام مضطربه، و أضغاث جمع ضغث،و هو:الخلط من الشيء.

ص:٢٧٢

هدى من الآيات:

عجيب أمر الناس إنهم يلهون و يلعبون و الحساب يقترب إليهم.

لما ذا تراهم يعرضون عن الحق، حتى أنهم لا يأتيهم ما يذكّرهم إلاّ تراهم يتخذونه لعباً، و تحيط بأفئدتهم الغفلة و يتناجون بينهم- ظالمين أنفسهم- هل هذا إلاّ بشر مثلنا، لما ذا نتبعه، و يفسرون ذكر الله الجديد و أثره البليغ فى قلوبهم، بأنه سحر، و يتناهون عنه.

و الرسول يبلغهم رسالات ربه، و يتوكل عليه و يشهد على صدقه الله الذى يعلم القول فى السماء و الأرض، و يحتارون بما ذا يفسرون هذا الذكر المحدث الذى يتهربون منه، بسبب لهو قلوبهم. فتاره يقولون أضغاث أحلام، و حيناً ينسبونه الى الافتراء، و مره يقولون إنه خيال شاعر، و أخرى يطالبونه بآيات مقترحه.

و يتساءل السياق إذا لم يؤمن السابقون حتى أهلكهم الله و قد أنزلت إليهم تلك الآيات المقترحة أفهم يؤمنون؟ و من هم الرسل السابقون؟ أو لم يكونوا رجالا يوحى إليهم؟ دعهم يسألون من انتفع بالذكر إن كانوا لا يعلمون، بلى كان الأنبياء يتعرضون للجوع و لم يكونوا خالدين.

و كانت- مع ذلك- شهاده صدقهم قائمه فى الأمداد الالهى الذى تجلى فى إنقاذهم ثم إهلاك المكذبين بهم، الذين أسرفوا على أنفسهم.

و هذا كتاب فيه ذكر محدث، و على المسلمين أن يتذكروا به إن كانوا يعقلون.

## بينات من الآيات:

### معرفة المصير:

[١] اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ مَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ لِمَصِيرِهِ وَ حَسَابِهِ، أَفْضَلَ وَسِيلَهُ لِهَدَايَتِهِ

و فى الحديث: «كفى بالموت واعظا» لأن الموت زائر غير مرغوب فيه، يزور الإنسان فى أى لحظه يشاء، دون أن يأخذ موافقه مسبقه، فعلى الإنسان أن يستعد للموت فى كل لحظه (فاذا مات ابن آدم قامت قيامته) و من هنا يظهر الخطأ الفادح لأولئك الذين يزعمون بأن يوم القيامة بعيد، إذا فلما ذا الغفله، و لما ذا الاعراض عن ذكر الله و عن رساله؟! و الناس على أقسام ثلاث، فمنهم من يتحول قبره الى روضه من رياض الجنه، و هم الصالحون، و منهم من يصبح قبره حفره من حفر النيران، و هم المجرمون.

و واضح إن حساب هؤلاء أقرب إليهم من كل شىء لأنه لا يفصلهم عنه سوى الموت الذى ينزل بهم فى أى لحظه.

أما القسم الثالث فهم الذين يلهى عنهم حتى قيام الساعة حسب بعض النصوص، وبالرغم من بعد الحساب عنهم زمنيا إلا إنَّ انعدام شعورهم خلال الفتره يوصل الموت و قيام الساعه ببعضهما فى الواقع، و لعلّه لذلك

جاء فى الحديث النبوى الشريف: «بعثت و الساعه كهاتين، و هو يشير إلى إصبعى السبابه و الوسطى بعد جمعهما.» و هُم فى غَفْلِهِ مُعْرِضُونَ تحييط بهم الغفله، و يهربون مواجهته الحقيقه.

[٢] م يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ يَأْتِيهِمْ مِنْ دُونِ أَعْيُنِنَا أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَلَكَّ مِنْ دُونِ آيَاتِنَا إِنَّ آيَاتِنَا لَمُعِجَةٌ وَ هُمْ يَلْعَنُونَ كلما أتتهم آيات جديده من ربهم، تذكرهم بواقعهم و مصيرهم، إذا بهم يتشاغلون عنها بتوافه الأمور، أو يتخذونها لعبا، فلا يتعاملون معها بجديه. تصور إنك لو مثلت أمام محكمه، و أنت تعتقد بأنها إما أن تحكم عليك بالاعدام، و إما أن تبرئ ساحتك، كيف تقف فى قفص الاتهام، أو ليس متحفزا يقظا، حتى لا تبدر منك كلمه فى غير محلها، لأنها لحظه حاسمه. أما إذا أخذت تدبير مسبحه فى يدك أو تدخل يديك فى جيبيك تبحث عن محتوياته العاديه فان ذلك يسمى لعبا.

و كذلك الإنسان فى هذه الحياه أشبه ما يكون فى قاعه محكمه، و عليه أن ينتظر الحكم عليه بدخول الجنه أو بورود النار، و لهذا ينبغى عليه أن يأخذ الحياه بجديه تامه، و يحسب لأعماله و تصرفاته، و أقواله ألف حساب، و إلا كان من الذين يشملهم قول الله سبحانه: و هم يلعبون.

### تخرصات البشر:

[٣] م لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ

ص: ٢٧٥

إن القلوب اللاهيه لا تتقبل حقائق الحياه، و لا تتفاعل معها، تماما كالأحجار الصلده التي كلما صببت عليها الماء فانها ترفض أن تحتفظ بقطره واحده منه.

وَ أَسِرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ لَمَّا ذَا كَانَ حَدِيثُهُمْ بَيْنَهُمْ نَجْوَى؟ لَأَنَّهُمْ يَخَافُونَ أَنْ يَفْتَضِحُوا أَمَامَ الْمَلَأِ بِسَبَبِ ضَعْفِ مَوْقِفِهِمُ الْعِلْمِي أَمَامَ شَوَاهِدِ الصَّدَقِ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا الرِّسَالَةُ، وَ لَأَنَّهُمْ انْهَزَمُوا فِي وَاقِعِ أَنْفُسِهِمْ أَمَامَ قُوَّةِ الرِّسَالَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا بَدَأَ مِنَ الْمُؤَامِرَةِ فِي السَّرِّ ضِدَّهَا! وَ لِأَنَّ ادْعَائِهِمْ بِأَنَّهَا سِحْرٌ كَانَ وَاضِحَ الْبَطْلَانِ فَاحْتَجَوْا إِلَى التَّوَاتُطِيِّ عَلَيْهِ فِي السَّرِّ، فَالسَّحْرُ شَيْءٌ وَ الرِّسَالَةُ شَيْءٌ آخَرَ، السَّحْرُ يَدَاعِبُ خِيَالَهُمْ بَيْنَمَا الرِّسَالَةُ تُثِيرُ عَقُولَهُمْ.

[٤] قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَبْرِرْ عَمَلَهُ أَمَامَ الْآخِرِينَ مَا يَعْلَمُ إِنْ تَبْرِيرُهُ يُمْكِنُ أَنْ يَنْطَلِقَ عَلَيْهِمْ، أَمَا إِذَا عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ، فَانْهَ سَيُخْجَلُ مِنْ ذَاتِهِ، وَ يَكْفُ عَنْ انْحِرَافِهِ إِنْ كَانَ أَهْلًا لِلْمَوْعِظَةِ.

لذلك ذكر النبي صلى الله عليه و آله المشركين بأن الله يعلم إن كلامهم باطل و هم بدورهم يعلمون ذلك، فلما ذا يتحدثون به؟ ثم إن رسولهم الذي جاء بالذکر هو أول من يحذر ربه، لأنه يعرف أنه يعلم القول في السماء و الأرض، فكيف يمكن أن يفترى عليه و هو الشاهد الناظر؟ [٥] بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ

أى أحلام مختلطة ببعضها.

بَلْ افْتَرَاهُ إِنَّ كَلَامَهُ مَعْقُولٌ، وَلَكِنَّهُ كَاذِبٌ فِي ادْعَائِهِ أَنَّهُ وَحَى مِنَ اللَّهِ.

يَلُ هُوَ شَاعِرٌ وَلَمَّا رَأَوْا إِنَّ كَلَامَهُ عَمِيقٌ وَذُو أَثَرٍ قَالُوا: إِنَّهُ شَاعِرٌ الْآنَ الشَّعْرُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الثَّقَافَةِ لَدَيْهِمْ. هَكَذَا كَانَ حَدِيثُهُمْ عَنِ الرِّسَالَةِ مُتَنَاقِضًا يَتَّبِعُ عَنِ حَيْرِهِ كَبِيرِهِ، مَنْشُؤُهَا عَدَمُ اسْتِعْدَادِهِمْ لِلْإِيمَانِ بِهَا، وَتَحْمَلُ مَسْئُولِيَّاتِهَا، وَتَرَكُ مَا تَعُودُوا عَلَيْهِ، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ حِينَمَا يَقْرَرُ رَفْضَ مَذْهَبٍ أَوْ مَوْقِفٍ يَتَشَبَّهُ بِأَعْدَادِ وَاهِيهِ وَرَبَّمَا مُتَنَاقِضِهِ.

ثُمَّ قَالُوا:

فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْمَأْثُورُونَ وَ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ نُوْمِنَ، لَكِنِ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَأْتِينَا بِآيَاتٍ جَدِيدَةٍ، وَإِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي تَنْزَلُ عَلَى الْبَشَرِ نَوْعَانِ:

النوع الأول: هي التي تأتي لإثارة العقل وبيان الحجة من قبيل الآيات القرآنية التي تأتي في زمان الفرصه و في أيام الأجل، أما النوع الثاني: فهي التي تأتي لتفرض على الإنسان الحقّ شاء أم أبى و إنما تكون هذه بعد انتهاء الأجل، ففرعون كان يقول: أنا ربكم الأعلى، و حينما غرق في البحر و تقاذفته الأمواج، قال: آمنت برب هارون و موسى، و لكن هذا الإيمان مرفوض لأنه جاء بعد فوات الأوان.

ص: ٢٧٧

و هؤلاء حينما يطالبون بهبوط الآيات الحسيه عليهم، فإنهم يخطئون فى ذلك! لأن هذه الآيات إذا جاءت فان فرصتهم تكون قد انتهت، و لن يكون فى مقدورهم الاستفادة منها شيئاً.

[٦] مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَيَّ حِينَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ هَذِهِ الْقَرْيَةُ، لتصبح عبره للأجيال.

أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ إِنْ هَؤُلَاءِ يَنْتَظِرُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ آيَةٌ مِنْ نَوْعِ آيَاتِ الْقُرَى الْهَالِكَةِ، ليؤمنوا بالرساله، فى حين إنهم يرفضون الإيمان بالآيات العقلية الكثيره، و هذا خطأ فادح لأن فى ذلك يكون هلاكهم.

### حقيقه الرسل:

[٧] وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ لَمَّا زَعَمُوا بِأَنَّهُ بَشَرٌ أَجَابَهُمُ الْقُرْآنُ بَلَى إِنَّهُ لَبَشَرٌ، و كذلك كل الأنبياء السابقين كانوا بشرا.

فَسَيَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ لقد أعطى الله سبحانه الجاهل قدرا كافيا من العلم ليهديه الى ضروره البحث عن عالم يسأله، و هكذا فان لم يكن للناس علم بطبيعه الرسالات فليسألوا أهل الذكر و المعرفة عن كل ذلك، و الآيه تشير الى إن سؤال الجاهل من العالم أصل شرعى يمكن الاعتماد عليه بشرط أن يكون العالم من أهل الذكر، أى أن يكون قد



استفاد من علمه.

[٨-٩] وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ \* ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ مع ذلك نحن نؤكد لكم: بأن الأنبياء متصلون بالله، وإن كلامهم وعد من الله، وأن الله سبحانه و تعالى ينفذ ما قال، و ينجى رسله و يهلك الآخرين.

و تتكرر فى القرآن الكريم كلمه الإسراف بصيغ مختلفه لتدل على حقيقه يجب أن نتذكرها دائماً و نتأمل فيها كثيراً و هى: إن الإسراف هو أحد الأسباب الرئيسيه لانحراف البشر، فالإنسان الذى يأكل و يشرب و ينام و يتزوج بقدر حاجته، لا ينحرف لأن الله دائماً يوفر للإنسان رزقه، و لكن الذى يضل عن الصراط هو المسرف الذى يريد أن يجمع أموال الناس الى أمواله، و يبنى سعادته على حساب الآخرين، و القرآن يؤكد هنا: بأن الذين يهلكون إنما هم المسرفون.

### دور القرآن:

[١٠] لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ الْقُرْآنَ يَأْتى لِنُبَيِّنَ الْإِنْسَانَ عَنْ تِلْكَ الْغَفْلَةِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْحِسَابِ، وَ لَا تَدْعُهُ يَتَذَكَّرُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ مُحَاسَبٌ وَ أَنْ حِسَابَهُ قَرِيبٌ.

إذا كلما رأيت نفسك غافلاً فاقراً القرآن، لأن قراءه القرآن تعطيك ذكراً، و توجهك الى الحقيقه.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ

ص: ٢٧٩

القرآن لا- يقول أ ليس عندكم عقل، لما ذا؟ لأنّ الناس جميعا رزقوا العقل، و لكنهم يختلفون فى مدى استفادتهم من عقولهم، و هو التعقل، كما إنّ الناس جميعا يملكون الأبصار، و لكن بعضهم يفتحون أعينهم فيرون، و بعضهم يذهلون عنها فينزلقون، لذلك يقول القرآن: « أَ فَلاَ تَعْقِلُونَ » أى لما ذا لا- تنتفعون بعقولكم؟ إنّ الإنسان يبحث فى حياته عن هدى و يبحث عن الوصول إلى الحقيقه فاذا قرأ القرآن بعمق و تدبر فيه وصل إلى الحقيقه، فاذا وصل إلى الحقيقه عرف بأنّ القرآن من الله، لأنه أوصله إلى الحقيقه.

إشاره

وَ كَمْ قَصِيدًا مِّنْ قَوْمِهِ كَانَتْ ظَالِمَةً وَ أَنشَانَا بَعِيدًا قَوْمًا آخِرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَسِينَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَ  
 اِرْجِعُوا إِلَىٰ مَن أُرْفِتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِينُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا لِيَا وَيْلَنَا إِذَا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَلَمَّا زَالَتْ تِلْمَكٌ دَعَا هُمْ حَتَّىٰ  
 جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) وَ لَمَّا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ لَمَّا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَتَّخِذُنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ  
 كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) يَلِ لَّيْلٍ نَقْمِذٌ بِأَلْحَقِّ عَلَىٰ الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَ لَمَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ  
 الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)

اللغه

١١ [قصمنا]: أهلكتنا، و أصل القصم كسر الظهر الذي يكون مع الصوت.

١٣ [ما أترفتم فيه]: أى أسباب ترفكم من زخارف الدنيا، و الترفه النعمه.

١٥ [حصيدا]: أى محصودا، قد شملهم العذاب حتى كأنهم السنبيل المحصود الذي يقطع فلا حياه له.

١٨ [زاهق]: زائل مضمحل، و الزاهق من الأضداد، يقال للهالك زاهق- و للسمين من الدواب زاهق- و زهقت نفسه تزهق زهوقاً.

١٩ [لا يستحسرون]: الاستحسار- الانقطاع عن إعياء، يقال: استحسر فلان عن عمله- يعنى انقطع عنه إعياء.

٢٠ [لا يفترون]: أى لا يأخذهم الفتور و الضعف عن العباده.

هدى من الآيات:

يتحدث القرآن هنا عن الجزاء الذى ينتظر الإنسان اللامسؤول الذى اتخذ الحياه لهوا و لعبا، و حين يحل العذاب فلن يفلح كل من يحاول الهرب منه لأنّ حكمه الله لا يستطيع الفرار منها أحد، و يأتي النداء الى هؤلاء بأن عودوا الى تلك الأسباب التى دعتمكم الى الذنب، فانظروا هل إنها تشفع لكم اليوم شيئا؟ و هل تنفعكم الأموال التى كنزتموها و الأولاد الذين من أجلهم تركتم عباده الله و..و..؟ إنّ هذا اليوم كان نتيجة اللأباليه و اللاجديه فى الحياه، و كما يقول القرآن الحكيم: إنّ نظام الكون قائم على الحقّ و ليس على اللعب و اللهو.

إنّ الكون الذى تعيش فيه -أيها الإنسان- تخضع لقوانينه و سننه، أنشأه الله بعلمه و قدرته للحقّ فكيف تريد بالرغم من ضعفك و ضآلتك، أن تخرج من دائره الحقّ الى دائره اللهو و اللعب؟! إنّ ذلك شىء محال!!

يؤكد القرآن الحكيم هذه الفكرة مره أخرى فيخبرنا: كما إن السماء و الأرض خلقتا بحق و ليس بلعب، فكذلك المجتمعات، و لذلك فان السنن الحاكمه فيها هي سنن الحق، و هذه السنن يجب أن تحكم المجتمعات كما تحكم في الأرض و السماوات و لكن بفارق واحد و هو: إنها تحكم في السماوات و الأرض بصوره مباشره و فوريه و لكنها تحكم في المجتمعات بصوره غير مباشره بعد إعطاء الفرصه، و تقديم الإنذار، و بعد محاوله هدايه و إصلاح، و هذه نعمه كبيره من الله، فلو كان الإنسان يحاسب على كل خطأ فوراً و بدون إعطاء أى فرصه للتوبه، لتحولت حياته إلى جحيم.

و لكن إعطاء الفرصه شيء، و تطبيق الحق شيء آخر، فليس معنى إعطاء الفرصه إن الله سبحانه قد نسي الحق الذى فطر عليه السماوات و الأرض، و جعله محورا للخليقه جميعاً، بل إن الله لا يزال ينصر الحق، و سوف يطبقه و يدمغ به الباطل.

إنّ أى شيء ينحرف عن سنه الحياه، سرعان ما ينتهى و يتلاشى. إذن يجب علينا أن نتمحور حول الحق كما يقرره القرآن الحكيم بأن الحق هو عباده الله و عدم إشراك أحد معه فى ألوهيته، فكما إنّ الملائكه و الأرواح و السماوات و الأرضين كلّها تعبد الله و تخضع له كذلك الإنسان.

و هناك فكره أخرى توحى بها هذه الآيات و هي: إن الإيمان الصادق هو الإيمان بأن محور الكون هو الحق، فالكون جد لا لعب و لا لهو فيه، و هذا الإيمان هو ضمان لاثاره إحساس الإنسان بالمسؤوليه فى حياته الدنيا، كما إنّ اللهو و اللعب هما عدوّا إحساس الإنسان بمسؤوليته.

جزاء الظلم:

[١١] وَ كَمْ قَصَبًا مِّنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ إِنَّ نَعْمَ اللَّهُ الَّذِي تَحُوتُنَا قَدْ تَوَحَّى إِلَيْنَا بِفِكْرِهِ خَاطِئُهُ وَ هِيَ: بما إن الله أرحم الراحمين فهو لن يعذب أحدا. و لكي ننسف هذه الفكرة، و نقتلع جذورها من أنفسنا لا- بد لنا من قراءة التاريخ، و السير في الأرض لنرى آثار الماضين كيف انتهوا و كيف جاءهم عذاب الله، فان الله سبحانه و تعالى قد قصم كثيرا من القرى و دمرها بظلمها لأنها رفضت أن تؤمن بالحق و تنصاع له، فالقضية- إذا- جدية، و ما يندرنا الله به قد وقع فعلا بالنسبة لمن سبقونا، لذلك ينبغي أن نخاف فلا نالوا جهدا عن مواجهه هذا المصير السيء.

و نلاحظ في هذه الآية لفته لطيفة في التعبير القرآني، حيث يقول: « وَ كَمْ قَصَبًا مِّنْ قَرْيَةٍ »، ثم يقول: « وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ »، فلما ذا لا يقول القرآن و كم قصمنا من قوم و أنشأنا بعدهم قوما آخرين؟ أو و كم قصمنا من قريه و أنشأنا بعدها قري أخرى؟ و الجواب هو حينما يقصم الله سبحانه و تعالى قريه فانه لا يهلك أهلها فقط، و يترك العمارات و الشوارع و المصانع سالمه، و انما يدمر كل شيء فيها، مره واحده، و حينما ينشئ قوما آخرين فانه لا ينشئ معهم قراهم، و معابدهم و مصانعهم، بل يخلقهم، و بعد ذلك يقول لهم: اسعوا في الأرض أى اصنعوا حضارتكم بأنفسكم، فهم المسؤولون عن بناء البيوت و الشوارع و تأسيس المصانع.

[١٢] فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَنْسَأْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ

إِنَّ إِرْهَاصَاتِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَانَتْ قَائِمَةً، وَ لَكِنَّهُمْ تَغَافَلُوا عَنْهَا، وَ لَوْ أَنَّهُمْ تَحَسَّسُوا بِهَا وَ تَابُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ نَزُولِ الْبَأْسِ وَ الْعَذَابِ لَقَبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ، مِثْلَمَا قَبِلَتْ تَوْبَةَ قَوْمِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ لَكِنَّهُمْ بَقُوا عَلَى حَالَتِهِمْ حَتَّى أَحْسَوْا بِأَسِّ اللَّهِ وَ لَمَسُوهُ لَمَسًا، آتَشَدَّ قَامُوا يَرِكُضُونَ، وَ ظَنُّوا أَنَّ الْهَرَبَ يَنْفَعُهُمْ.

[١٣] لَا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلَيَّ مِمَّا أَتْرَفْتُمْ فِيهِ إِلَى أَيْنَ تَرْكُضُ أَيُّهَا الظَّالِمُ؟! الْمَا ذَا تَخْرُجُ مِنْ قَرِيَّتِكَ الَّتِي عَمَرْتَهَا وَ الزَّيْنَةَ الَّتِي جَمَعْتَهَا؟ ارْجِعْ وَ ابْقِ هُنَاكَ حَتَّى نَهْدِمَ بَيْتَكَ عَلَى رَأْسِكَ، وَ عِنْدَ مَا نَفْجُرُ مِصْنَعَكَ نَفْجُرُهُ وَ أَنْتَ فِيهِ، وَ عِنْدَ مَا نَنْسِفُ بَيْتَكَ نَنْسِفُهُ مَعَكَ.

وَ لَعَلَّ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الرِّكْضَ لَا يَنْفَعُ، كَمَا إِنْ كَلِمَةُ «لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ» فِي ذِيْلِ الْآيَةِ رُبَّمَا تُوحِي بِالسُّؤَالِ الشَّائِعِ مِنَ الْأَطْلَالِ وَ بَقِيَةِ آثَارِ الشُّعُوبِ، وَ كَأَنَّهِمْ بَعْدَ الدَّمَارِ يَتَحَوَّلُونَ إِلَى عِبْرَةٍ لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ حَيْثُ يَقْفُونَ عَلَى دِيَارِهِمْ وَ يَسْأَلُونَهُمْ:

أَيْنَ حَضَارَتِكُمُ الَّتِي أَتْرَفْتُمْ فِيهَا، أَيْنَ مَسَاكِنِكُمُ الَّتِي اطمأنتم إليها؟! كَمَا

جاء في رائعته منسوبة إلى الامام علي عليه السلام :

ناداهم سائل من بعد دفنهم أين الأسره و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت منعمه من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود ينتقل

و السؤال هو: من يناديهم بهذا النداء؟ و الجواب: إنه واقع حالهم- كما يبدو لي-، و كأن كل من اطلع على وضعهم ناداهم بهذا النداء.

و يظهر أن الآية توحى أيضا بفكره هامه هي:

إن أي بشر يظلم نفسه أو يظلم الآخرين اغترارا بعامل مادي، فان العذاب



سوف يأتيه انطلاقا من ذلك العامل نفسه. فمثلا- قوم فرعون كانوا معجبين بالمياه المتدفقه عبر النيل، حتى إنهم كانوا يعبدون الماء، و كانوا يختارون في أول الربيع أجمل فتاه عندهم فيلقونها في نهر النيل قربانا لهذا الإله، و كان فرعون يقول: « وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي »، فانتقم الله منهم انطلاقا من ذلك الماء نفسه حيث أغرقهم فيه.

و قوم عاد كانوا يفتخرون بالبيوت الصخريه و كانوا ينحتون من الجبال بيوتا و يتصورون إن تلك البيوت سوف تخلدهم و تمنع عنهم البأس، فبعث الله سبحانه و تعالى إليهم بريح كانت تحطم هذه الصخور و تهدمها عليهم، و هكذا غيرهم.

فيكون معنى وَ ارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتْرَقْتُمْ فِيهِ ارجعوا الى تلك النعم التي بسببها انحرفتم و ضللتكم لكي تروها و هي تتحول عليكم نقمه.

وَ مَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ قبل أن ينحرف الإنسان، و يظلم الآخرين من أجل الحصول على متاع الدنيا و حطامها، عليه أن يسأل نفسه أولا: هل إن هذه الأشياء ستنتفعه يوم الجزاء، و هل سترفع عنه العذاب عند ما يقع؟! و بعد أن يفكر في الأمر جيدا، عليه أن يفعل ما يشاء و يتحمل المسؤوليه في كل أعماله و تصرفاته.

[١٤] قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ [١٥] لقد اعترفوا بخطئهم و ظلمهم و لكن الاعتراف جاء متأخرا! حيث استمروا ينادون على أنفسهم بالويل حتى لحظه النهايه.

فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ

لقد حصدهم العذاب حصدا كما تحصد المكائن الزراعيه الضخمه السنابل، فلم تقم هناك لأحد منهم قائمه، ثم خمدوا كما تخمد الجمره فلا حراره و لا حركه.

### هدفه الخلق:

[١٦] لما ذا يا إلهي فعلت هذا؟! أليس هؤلاء عبادك؟! أو لست أرحم الراحمين؟! بلى ربنا أرحم الراحمين و لكنه خلق السماوات و الأرض بالحق، و هؤلاء تجاوزوا قيم الحق.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ إِنَّ هَؤُلَاءِ اتَّخَذُوا الْحَيَاةَ لَبَا فَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُمْ.

[١٧] لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ إِنْ كَانَتْ الْخَلِيقَةُ بِأَلَا هَدَفٍ، فَانَ اللَّهُ كَانَ يَنْتَرِعُ مِنْهَا الْهَدْفِيهِ، وَ يَتَّخِذُهَا لَهُوَ، أَى يَجْعَلُهَا بِأَلَا- غَايَاتٍ مَرْسُومَةٍ، وَ لَا سَنَنَ دَائِمَةٍ، وَ لَا قَوَانِينَ دَقِيقَةٍ تَفْرُضُ عَلَى أَصْغَرِ جَزِيئَتِهِ فِي الذَّرَّةِ بِنَفْسِ الصَّرَامَةِ الَّتِي تَفْرُضُ عَلَى أَعْظَمِ مَجْرَدِهِ فِي الْفَضَاءِ.

و حيث نرى كل شىء يسعى نحو هدفه، أو بتعبير أفضل يسير الى غايته، فهل من المعقول أن يكون خلق الإنسان عبثاً، و بلا هدف أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ؟ كلاً.. أنت بدورك تخضع لقانون الهدف، و بالتالى لمعادله المسئوليه و الجزاء.

و فى معنى الآيه أقوال شتى إلا إن هذا المعنى العام يمكن أن يستوحى من كل تلك الأقوال.

[١٨] بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ وَ هذه هى سنه الله الثابته فى الكون على مرّ العصور و الدهور، و على الإنسان أن يبنى حياته على أساس، إذا أراد أن يفوز و يحقق أهدافه و يتجنب مصارع الردى و ينجو من العذاب المحتوم.

و كلمات الآيه صاعقه شديده الوقع نافذه الى عمق الضمير، فالحق يقذف (يرمى بقوه و ربما من مكان بعيد و قد يتأخر قليلا ليقطع المسافه و لكنّه يصل حتما)، ثمّ إنّّه يهدف أمّ الرأس حيث الدماغ، و يتلاشى الباطل و يضمحل فلا يبقى منه شيء أبدا.

و الآيه تبصرنا بواقع الخليقه و الأنظمه السائده عليها، و توحى إلينا بضروره تزكيه أنفسنا من خلال معرفه تلك الأنظمه، فقانون الجاذبيه الذى يسقط به الحجر من عل، ليس بأقوى من قانون سقوط الظالم من كرسى الحكم! [١٩] وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ هذا الحقّ يجب أن يتجسد فى واقع السلوك البشرى، كما تجسد فى واقع سلوك الملائكه و سلوك عباد الله الصالحين، الذين لا يستكبرون عن عبادته و يفعلون ما يؤمرون.

[٢٠] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ الحياه يجب أن تكون جدّيه، و يجب أن يسبح الإنسان ربّه دونما تعب أو استكبار.

اشاره

أم اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ (٢٣) أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤) وَمِمَّا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)

اللغه

٢١ هُمْ يُنْشِرُونَ: أى يقدرون على نشر الأموات و احيائهم؟

ص: ٢٩٠

هدى من الآيات:

ما أبهض ثقل المسؤولية على قلب البشر، يكاد فؤاده يتصدع حين يعلم إنه لمسؤول، أمام خالق السماوات والأرض لا يخفى عليه شيء في السماء والأرض.

و كذلك تراه يبحث عما يخفف عنه هذا الثقل الباهظ، وينجيه -بزعمه- من سؤال بارئه.

و يفند السياق القرآني -في إطار تحسيسه بواقع المسؤولية- هذا الزعم، ويقول:

هل الآلهة تنشر الموتى؟ أو لا يعلمون أن لو كان في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا و تفترتا؟ تقدر رب العرش عما يصف المشركون، إنه فوق التأثر بخلقه، فهم يسألون عن أفعالهم، وهو لا يسأل عما يفعل. ثم يطالبهم بالبرهان، و يؤكد إن كلّ الرسالات الإلهية تتفق على كلمه التوحيد، و ان شرك هؤلاء نابع من إعراضهم عن الحقّ.

و ربما زعموا إنّ الملائكة الأشداء هم أولاد الله، أو لا يعلمون إنهم عباد مكرمون (مقربون الى الله و هذا سرّ قدرتهم)، و انهم لا يظهرون رأيهم بل يطيعون أمر ربهم، و ان الله تعالى محيط بهم علما، و انهم لا يشفعون إلاّ باذنه، و انهم يخشون ربهم؟ فكيف يعارضونه؟ و انهم مجزيون على أعمالهم، فلو قال أحدهم إفكا إنّه إله من دون الله يجزيه ربّه جهنم كما يجزى سائر الظالمين.

## بينات من الآيات:

### اشاره

[٢١] من العوامل التي تبعد الإنسان عن إحساسه بالمسؤولية و تعطيه مبررا لتنصله عنها في الحياه هو الاعتقاد بإله غير الله، أنى كانت صورته ذلك الإله، و أنى كان اسمه.

بل إن تعلق الإنسان بأى شىء تعلقا ذاتيا بعيدا عن الله، يدعوه الى أن يتقرب الى ذلك الشىء و يجعله واسطه بينه و بين الله فى زعمه، لا لشىء إلاّ لكى يتخلص من ثقل المسؤوليه، ذلك لأنه من الصعب جدا على الإنسان الاحساس بأنه مسئول أمام قوه قاهره علمه حكيمه محيطه به، تجازيه على كلّ صغيره و كبيره تبدر منه، لذلك فهو يحاول -جهده- أن يتهرب من هذه المسؤوليه، و لو لا إحساس المؤمنين برحمه الله لما استطاع أى منهم أن يتحمل ضغط المسؤوليه على قلبه.

و القرآن الحكيم يؤكّد -المره تلو الأخرى- على عدم وجود أى شىء أو شخص يمكنه أن يقف أمام قدره الله، و ذلك لكى يواجه الإنسان ربه عاريا عن كلّ التبريرات و الحجج الواهيه، و بالتالى يصبح جديا فى حياته، و يترك اللهو و اللعب، و من ثمّ يتحمل هذا الحمل العظيم و هو أمانه المسؤوليه التى أبت السماوات و الأرض و الجبال أن يحملنها، و حملها الإنسان، إنه كان ظلوما جهولا.

و تؤكد هذه الآيه إن الإله الحقيقي هو الذى يستطيع أن يحيى الأموات، فهل هذه الآلهه المزعومه تستطيع ذلك؟ أم هل يقدر أحد أن يدعى ذلك؟ كلا بل تراهم يعترفون فى لحظات الحاجه، عن مدى ضعفهم و استكانتهم، حتى إن نمرود الذى ادعى - مره - إنه يحيى و يميت، انهار عند ما رأى النيران الملتهبه - التى عمل جلاوزته المستحيل من أجل تأجيحها و تهيئتها لحرق شخص واحد - قد خمدت و تحولت الى برد و سلام على إبراهيم، فقال: من أراد أن يتخذ إلها فليتخذ مثل إله إبراهيم، و كذلك بهت حينما حاج إبراهيم فى ربّه، و ذلك عند ما قال له: إنّ الله يأتى بالشمس من المشرق فأت به من المغرب.

كلّ شىء فى السماء و الأرض من أصغر شىء الى أكبر شىء، دليل على وحده الربوبيه فى الوجود، حيث إن الانسجام و التناغم الدقيق الذى نراه فيما بين الأنظمه المختلفه التى تحكم الكون دليل وجود مدبر له، فالنظام الذى يدير أضخم المجرات هو نفس النظام الذى يدير الذره الصغيره المتواضعه.

يقول الامام على عليه السلام: «ما دلّتك الدلاله إلاّ على أنّ فاطر النمله هو فاطر النخله»، بلى لأن النظام الذى يحكم دوره الحياتيه فى جسد النمله هو نفس النظام الذى يحكم انتقال الماء و الهواء و الأملاح فى هيكل النخله.

أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِئُونَ وَ هكذا تبين هذه الآيه فكره وحدانيه الله سبحانه و تعالى، فى حياتنا العمليه و قد سبق أن قلنا: إنّ توحيد الله سبحانه و تعالى، توحيدا حقيقيا هو أحد أبرز العوامل التى تساعد الإنسان على تحمّل المسؤوليه فى الحياه، و هو ما تسعى الى ترسيخه سوره الأنبياء، كما إن الاعتقاد بآلهه من دون الله هو أحد أبرز التبريرات التى تحول دون

[٢٢] لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آلَهُ غَيْرَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذَا لَاضْطَرَبَ النِّظَامُ فِيهِمَا، لِأَنَّ تَعَدُّدَ السُّلْطَةِ يُسَبِّبُ فِسَادَ الْمَمْلَكَةِ وَاجْتِلَالَ أُمُورِهَا،

جاء في حديث نجده في كتاب التوحيد باسناده إلى هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام و كان من قول أبي عبد الله له: «لا يخلو قولك: إنما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا و الآخر ضعيفا، فإن كانا قويين فلم لا يدفع واحد منهما صاحبه و ينفرد بالتدبير، و إن زعمت إن أحدهما قوى و الآخر ضعيف ثبت إنّه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، و إن قلت: إنهما اثنان لا يخلو من أن يكونا متفقين من كلّ جهة أو متفرقين من كلّ جهة، فلما رأينا الخلق منتظما، و الفلك جاريا، و اختلاف الليل و النهار و الشمس و القمر دلّ صحه الأمر و التدبير و ائتلاف الأمر إنّ المدبر واحد، ثمّ يلزمك إن ادّعت إثنين فلا بدّ من فرجه بينهما حتى يكونا إثنين، فصارت الفرجه ثالثا بينهما قديما معهما، فليزملك ثلاثة، فان ادّعت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهما فرجتان فيكون خمسا، ثمّ يتناهى في العدد الى ما لا - نهايه في الكثرة. » (١) هذا من الناحية العقلية، أما من الناحية النفسية فان فكره تعدد الآلهه جاءت لتعكس حاله التبير و الصراع عند البشر، ذلك إن الأساطير التي تتحدث عن تعدد الآلهه و إن كانت خرافه و بعيدة عن الحقّ و الحقيقه إلا إنّها تمثل انعكاسا لنفسيه واضعيتها و المعتقدين بها، لذلك فباستطاعتنا أن نكتشف من خلالها طبيعه البشر عبر



الأزمته المختلفه، و نصل الى قناعه بأنه و إن تغيرت صورته الإنسان و أشكال حياته فان طبيعته لم و لن تتغير.

و الأساطير دائما تقصّ علينا قصص الآلهه المزعومه و هى تقاتل بعضها أو لا أقل تنافس مع بعضها فى السلطه و تقرّ بأن كلّ إله له تفكير و إرادته يختلف تماما عن شركائه الآخرين.

مثلا- يزعم المجوس وجود إلهين كبيرين هما: (أهور مردا) إله الخير و (أهريمن) إله الشر، (أهريمن) هذا خلق الشر، فخلق (أهور مردا) الخير مضادا له، و الصراع قائما بينهما. و فى بعض المذاهب المسيحيه المنحرفه نرى هذه الأسطوره أيضا، و هى إنّ الأب يريد أن يعذب الناس، فيأتى الابن و يشفع لهم رغما عن أبيه! و فى الأساطير اليونانيه القديمه كثيرا ما نقرأ عن معارك طاحنه تجرى بين الآلهه فى السماء. و من هنا نعرف إنّ فكره تعدد الآلهه نابغه من حاله الفرار عن المسؤوليه و البحث عن ملجأ موهوم يخلص الفرد من ثقل الجزاء، و إن الزعم بتعدد الآلهه يعكس حاله الصراع الداخلى بين الشهوات و العقل و يأتى لتبرير الشهوات التى تأمر بها النفس الأماره أمام العقل الناهى عنها أو النفس اللوامه.

إنّ كلّ ذلك دليل على إنّّه إذا كان الآلهه متسالمين مع بعضهم البعض إذا لم تكن هذه الحاجه المزعومه الى الآلهه المتعدده، لان احتياج الإنسان المزعوم للاعتقاد بتعدد الآلهه يندم آتئذ.

لذلك نرى القرآن الحكيم يبيّن بأن فكره تعدد الآلهه المنعكسه عن تناقض الذات، و التى تعتقد بأن فى السماوات و الأرضين آلهه متصارعه إنّما هى فكره خاطئه لأن وجود سلطات متصارعه فى الكون يؤدى لفساده و اختلال نظام

فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ رَبُّ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَرْشِ يَعْنِي الْقَدْرَةَ وَالْهَيْمَنَةَ، و ليس هو مكان يجلس عليه ربنا سبحانه و تعالى، و لعل هذه الخاتمة البليغة توحى بأن عدم معرفه الله هو السبب لتصور شريك له، إذ أن الزعم بوجود شريك للرب دليل على جهل صاحبه بأن الله سبحانه هو الملك الجبار الذي لا يغلب سلطانه، و لا يمكن الفرار من حكومته.

[٢٣] و دليل قدره الله المطلقه و سلطانه الشامل العظيم إنه فوق السؤال، و إنه لا أحد يخرج عن إطار المسؤوليه أمامه:

لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [٢٤] أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ كَمَا إِنَّا نَأْتِي بِالْبُرْهَانِ وَ الدليل على ألوهيه الله، فعليكم أيها المشركون أن تأتوا ببرهان و دليل على ألوهيه آلهمتكم. و إن هذه الآيه توحى بفكره هامه و هى: إن الذين يدعون وجود إله غير الله سبحانه و تعالى، إنما يزعمون ذلك انطلاقاً من أهواء نفسيه يبررون بها عدم التزامهم بمسؤولياتهم أمام الله، فاذا طالبتهم ببرهان عقلي أو حجه منطقيه فسيعجزون عن ذلك و تتبخر دعاويهم، حيث لا تصمد ظلمات أنفسهم أمام وهج الحقيقه.

هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي

هذه ليست فكره جديده موضوعه فى رساله السماء، فكلّ الرسالات الالهيه تؤكّد على وحدانيه الله.

و من عوامل الضلاله النفسيه، إحساس الإنسان بضروره التوافق الاجتماعى، و القرآن الحكيم يذكرنا هنا-و فى آيات عديده- بأنّ كثره الضالين ليست دليل صدقهم، بل الحقّ المدعم بالبرهان العلمى هو المقياس..

يَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ [٢٥] و إذا كان الناس فى بلد(مثل مكه يوم نزلت فيها هذه الآيات) يشركون بالله، فإن هؤلاء هم خط الضلاله، و فى مقابلهم صراط الهدى أقدر و أعمق جذورا.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ إِن رِسَالَاتِ اللَّهِ لَا تَخْتَلِفُ فِي فِكْرِهِ التَّوْحِيدِ، وَ مَا نَرَاهُ فِي بَعْضِ الدِّيَانَاتِ مِنْ تَعَدُّدِ الْأَلْهَةِ إِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةُ التَّشْوِيهِ، وَ التَّحْرِيفِ الَّذِي طَرَأَ عَلَيْهَا، وَ إِلَّا فَانِ الْيَهُودِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَ الْمَسِيحِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ وَ كُلِّ مَا سَبَقَهَا مِنَ الدِّيَانَاتِ إِنَّمَا هِيَ كَالْإِسْلَامِ تَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَ عَدَمِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّورِ، وَ سِوَاءِ بِشَكْلِ مَبَاشَرٍ أَوْ غَيْرِ مَبَاشَرٍ.

### شفاعه الرسل:

[٢٦] وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ هُنَاكَ أَنَاسٌ طَيِّبُونَ صَالِحُونَ، وَ لَكِنِ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا أَوْلَادًا لِلَّهِ، إِنَّمَا هُمْ عِبَادُ اللَّهِ، وَ إِن صَفَتَهُمُ الْوَحِيدَهُ هِيَ صِفَةُ الْكِرَامَةِ مِنَ اللَّهِ، فَلَا تَتَّصِرُ-أَيُّهَا الْإِنْسَانُ!-أَنْ

يأتي أحد من هؤلاء يوم القيامة لينقذك من عذاب الله إذا كنت أسخطته في حياتك.

[٢٧] لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ عباد الله لا يقولون الكلام الذى لا يقوله الله، فهم امتداد لرساله الله و سلطته لذلك فإنهم لا يشكلون تناقضا مع ألوهيه الله و سلطته المطلقه.

[٢٨] يَغْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى فِي بعض الحكومات الفاسده، تفرض السلطه قانونا ما، و لكن أى متلاعب يستطيع خرق هذا القانون بأن يضع مبلغا من المال فى يد أحد المسؤولين، فيساعده على مخالفه هذا القانون و الالتفات حوله.

و لكنّ الإنسان لا يستطيع أن يفعل مثل ذلك أمام الله و سننه، فملائكه الله و عباده المكرمون لا يأخذون الرشوه، و لا يحاولون أن يفعلوا أى شىء خارج نطاق مشيئه الله سبحانه.

وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ الرسل و الملائكه هم بدورهم يخافون الله، و يعرفون إنه محيط بهم فكيف يشفعون لأحد و يدخلونه الجنّه من دون أمر الله و علمه؟!

جاء حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه و آله فى ذكر ما رأى فى المعراج و فيه قال صلى الله عليه و آله :

«ثم أمرنا بملائكته من ملائكه الله عزّ و جل خلقهم الله كيف شاء، و وضع وجوههم كيف شاء، ليس شىء من أطباق أجسادهم إلّا و هو يسبح الله و يحمده

من كل ناحيه بأصوات مختلفه، أصواتهم مرتفعه بالتحميد و البكاء من خشيه الله، فسألت جبرئيل عنهم فقال: كما ترى خلقوا، إن الملك منهم الى جنب صاحبه، ما كلمه قط، و لا رفعوا رؤوسهم الى ما فوقها، و لا خفضوها الى ما تحتها، خوفا و خشوعا، فسلمت عليهم فردوا على إيماء برؤوسهم و لا ينظرون إلى من الخشوع، فقال لهم جبرئيل: هذا محمد نبي الرحمة أرسله الله الى العباد رسولا- و نبيا، و هو خاتم النبيين و سيدهم أ فلا- تكلموه؟ قال: فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا على بالسلام و أكرموني و بشروني بالخير لي و لأمتي « (١) إذا لتسقط كل التبريرات السخيفه التي يحاول بها الإنسان تبرير تنصله من مسئوليات أفعاله في الدنيا، و ليبقى عاريا أمام أعماله، و آتذ فقط يصلح عمله و تزكو نفسه.

[٢٩] إن أولئك الذين لهم ميزه في الحياه من عباد الله الصالحين، إنما هم مكرمون بعبادتهم لله و خضوعهم لحاكميته المطلقه، و لو قال أحد منهم بأني إله من دون الله للقى مصير الظالمين.

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ فلا يمكن إذن أن نتوسل بألهه أخرى لتتقذنا من عذاب الله، و هكذا يهدم القرآن فكره الأصنام التي يتشبث بها الإنسان لكي يبعد نفسه عن المسؤوليه و من ثم الجزاء.

ص: ٢٩٩

إشاره

أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَ فَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَ جَعَلْنَا فِي  
الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ  
(٣٢) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَ لَمَّا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ  
فَهُمْ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِنَّا نُرْجِعِ الَّذِينَ تُرْجِعُونَ (٣٥) وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ  
يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)

اللغه

٣١[فجاجا]:الفجاج جمع فجع،و هو الطريق الواسع بين جبلين

٣٦] يذكر آلهتكم]: أي يقول إنها لا تنفع و لا تضر.

ص: ٣٠١

هدى من الآيات:

توحى آيات هذا الدرس، بأن الحياه كلها مبنيه على أساس الحقّ، وبحكمه بالغه، ولغايه محدوده، ونظره واحده من الإنسان لما حوله من المخلوقات كافيهِ لإقناعه بأن لكلّ شيء هدفا لا يشذ عن ذلك مخلوق أبداً، وان كلّ شيء بقدر و حساب، فالجبال الراسيات لها هدف، وكذلك سقف السماء، ولو تمعنّا قليلاً لوجدنا الشمس والقمر يسبحان في فلكك معلوم و يسيران نحو هدف محدد و بصوره منتظمه.

و على الإنسان أن يبحث عن فلكه (و هو الحقّ) و أن يسير ضمنه لا يحيد عنه، و لا يتأتى ذلك إلا حين يعود البشر الى فطرته، و يتفكر فيما حوله، ليرى: إنّ وراء هذا الخلق تقديراً و تدبيراً دقيقين، و هذا التفكير يقودنا الى الحقّ الذي يجب أن نتمحور حوله، و بالمسؤوليه التي تنعكس من خلاله على أنفسنا، إذ ما دام هناك حقّ فأنت



مسئول أمامه، ولا بد أن تسير في حياتك باتجاهه.

و يبين لنا القرآن في هذه الآيات بأن بدايه الإنسان تمت بحق، ونهايته كذلك حق، فهل يستطيع أن يهرب من الموت أحد؟ وما دامت البدايه و النهايه ليستا بيد الإنسان، فاستمرارها كذلك ليس بيده. إذن فلا بد أن يتكيف مع الحق، وذلك عبر الجدّيه في تحمّل المسؤوليّه.

## بينات من الآيات:

### إشاره

[٣٠] أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا أَي كَانَتَا مَتصَلَتَيْنِ فَفصلهما الله عن بعضهما، كيف كانت السماوات و الأرض متصله ففصلت، (رتقا ثم فتقا)؟ و الجواب:

أولاً: لقد كانت الماده الأولى التي خلقها الله سبحانه، و كان عليها عرش قدرته و سلطانه، ذات كتله شديده التركيز، فأحدث الربّ فيها انفجاراً هائلاً، لا يزال صداه منتشرًا في أطراف الفضاء برغم مرور (١٥) مليار سنه عليه. كما تقول نظريات العلم الحديث، و تضيف: إنّ الكون لا- يزال في اتساع، و لا- تزال أجهزه التلسكوب التي تغور بنا في عمق الفضاء الرحيب، تكشف لنا عن مجرات ناشئه أو هي في طور الخلق.

و إنّ نظره علميه الى هذه الحقائق كفيله بأن تبلور في نفوسنا فطره الإيمان.

ثانياً: و آيه واضحه من تجليات هذه الحقيقه، نراها في ظاهره الأمطار، كيف

كانت السماء رتقا لا تمطر و كيف كانت الأرض رتقا لا تنبت ففتقهما الرب. (١)

و هكذا يخرج الله الخبء فى السماوات و الأرض، و يفتق ما رتق من الأشياء باستخراج كنوزها، و استظهار مكنونها، سبحانه.

إذن فالحياء ليست لعبا و لا لهوا كما يزعمون، بل لكلّ شىء هدف، و على الإنسان أن يشخص هدفه و يسعى نحوه.

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ لقد تمّ خلق الكون بالفتق بعد الرتق، و الفصل بعد الوصل، أما وجود الحياه فوق الأرض فتمّ عن طريق الماء، و هذه هى الأخرى من أحدث النظريات العلميه، و الماء يشكل (٧٠٪) من وجود الإنسان، و بالذات من وجود المخ الذى تتجلى فيه الحياه بأبرز صورها.

[٣١] وَ جَعَلْنَا فِي الْمَآرِضِ رَوَاسِيَ أُنَّ تَمِيزُهُمْ يَقُومُ الْجِبَالُ بَدْوَرِ الرُّوَاسِي وَ هِيَ الثَّقَلُ الَّذِي يَثْبِتُ الْأَرْضَ كَمَا تَثْبِتُ الْمَرْسَاهُ السَّفِينَةَ.

إنّ الجبال أشبه ما تكون بدرع واقيه، تلف حول الأرض و من أعماقها لتحافظ على توازنها:

أولا: فى مواجهه الرياح و العواصف التى تتعرض لها الأرض.

ثانيا: بمقاومه الزلازل العاتيه التى يتعرض لها كوكبنا بسبب ضغط الغازات

ص: ٣٠٤

التي في جوفها.

ثالثا: لتخفيف أثر جاذبيه القمر على اليابسه كما تؤثر على مياه البحر.

أ رأيت كيف وضع الله هذه الجبال في مواقعها، وكيف ربطها ببعضها في دقه و متانته، وكيف ألزمها مواضعها؟ فهل لك أن تختار لنفسك اللعب و اللهو.. و تزعم أن لا هدف وراء حياتك؟ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ و بين هذه الجبال طرق يتحرك الناس عبرها من مكان لمكان، و يتفاعل أهل كل طرف مع الآخرين، و لهذه الطرق فائدتان:

الأولى: الاهتداء من خلالها الى الأهداف و الأماكن التي ينشدها الإنسان.

الثانية: السير عبرها و الاهتداء بها الى معرفه الله عن طريق التفكير في الجبال التي تحفها. و كلمه « لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » تحتل المعنيين معا.

[٣٢] وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا حِينَمَا نَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ سِوَاءَ نَظَرِهِ بَدَائِيهِ كَمَا كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا آبَاؤُنَا قَبْلَ أَلْفِ عَامٍ، أَوْ نَظَرِهِ عِلْمِيهِ كَمَا يَرَاهَا الْعَالَمُ الْفَلَكَى الْيَوْمَ، فَانْنَا نَرَى الْأَجْرَامَ الْكَثِيرَةَ تَسْبِحُ فِيهَا صَغِيرَهُ وَ كَبِيرَهُ، وَ بَعْضُهَا ذُو خَطَرٍ عَلَيْنَا فَمَنْ الَّذِي حَفِظْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَخْطَارِ؟! إِنْ الْبَدْوَى فِي الصَّحْرَاءِ عِنْدَ مَا يَرَى النِّيرَانَ فِي السَّمَاءِ لَيْلًا يَسْمِيهَا شَهْبًا، أَمَا عَالَمُ الْفَلَكَ يَعْرفُ بِأَنَّهَا قَذَائِفُ ضَخْمَةٍ، لَوْ لَا الْغُلَافُ الْوَاقِي حَوْلَ الْأَرْضِ لَدَمَرَتِ الْأَرْضُ تَدْمِيرًا، فَمَنْ الَّذِي جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا غَيْرَ اللَّهِ؟!

ص: ٣٠٥

ففى كلّ يوم يتوجه عشرون مليون جرم الى الأرض بسرعه خاطفه، تبلغ حوالى ٥٠ كيلومترا فى الثانيه، و لو لا السقف المحفوظ الذى يحيط بالأرض لكانت الصخره الصغيره منها و التى تبلغ حجمها واحد من ألف جزء من الغرام، ذات أثر هدام بسبب سرعتها الفائقه التى تبلغ سرعه نواه القنبله الذريه، كيف و ان بعضها يبلغ قطرها عشرات الكيلومترات؟! و لقد حفظ الله -برحمته- الكره الأرضيه منها بالغللاف الواقى المكوّن من الغازات التى تذوّب أو تبخّر ما يصل إليها من هذه الأجرام الخطيره.

كما تتعرض الأرض لأمواج هائله من الأشعه المضرّه، سواء منها تلك التى تبعثها الشمس أو تقذفها النجوم الأخرى، فيقوم الغلاف الواقى بدور المصفاه حيث تأذن لما ينفع منها الأرض بالمرور من خلالها و تمنع القسم الخطير منها.. و لو انخرق هذا الغلاف، بقدر كيلومتر واحد، لكانت آثار الأشعه الكونيه على الأرض مدمره.

أو ليس الحكمه الالهيه مشهوده من وراء هذا السقف المحفوظ؟ أو كان خلق السماوات و الأرض لعبا؟ سبحان الله عما يصفون.

إنّ الغلاف الواقى يقوم أيضا بحفظ حراره الأرض على مقياس معين ينفع الناس و الأحياء، و لولاه، لكانت أمواج الحراره تحرق الرطب و اليابس. كما إنّه يقوم أيضا بادخار كميات من المياه المتبخره لنقلها من المحيطات الكبيره الى الصحارى.. أو ليس كلّ ذلك شاهد صدق، على إنّ الله لم يخلق الحياه عبثا؟ سبحانه. (١)

وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ

ص: ٣٠٦

---

(١-١) راجع تفسير «نمونه»/ج ١٣- ص ٤٠٠-٤٠٢.

فبالرغم من كل هذه الآيات التي بثها الله في السماء، فإن الناس يعرضون عنها، لا لأنهم لم يزودوا بالبصيره الكافيه لوعيتها، و لكن لأنهم يعرضون عنها تعمدا.

[٣٣] وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ هَذِهِ آيَاتُهُ تَشِيرُ إِلَى الزَّمَنِ، وَ لَقَدْ وَصَلَ الْعُلَمَاءُ إِلَى صَنْعِ سَاعَةٍ تَقْيِسُ الزَّمَانَ بِدَقِّهِ فَائِقَهُ تَصِلُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ أَلْفِي جُزْءٍ مِنَ الثَّانِيَةِ، وَ مَقْيَاسُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ الزَّمَنِيِّ لَا يَتَغَيَّرُ وَ لَا بِمَقْدَارِ جُزْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَيْنِ أَوْ أَقَلٍّ، وَ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا دَلِيلًا عَلَى أَنَّ خَلْقَ الْكَوْنِ لَمْ يَكُنْ عَثَا، وَ هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَيَاتِنَا قَائِمَةً عَلَى أُسَاسِ الدَّقِيقَةِ وَ الْجَدِيدِ، وَ تَكْيِيفِ النَّفْسِ مَعَ حَقَائِقِ الْحَيَاةِ.

إنَّ جوهر الحقِّ و المسؤوليه في الحياه هو البحث عن الهدف، و السعي الحثيث نحوه.

وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كُلُّهُمَا فِي فَلَكٍ يَسْبِغُونَ هُمَا يَسْبِحَانِ وَ يَتَحَرَّكَانِ وَ الْبَشَرُ أَيْضًا يَتَحَرَّكُ، وَ لَكِنْ لَا بَدَأَ أَنْ تَكُونَ حَرَكَتُهُ ضَمِنَ إِطَارٍ وَ خَطَهُ مِنْ أَجْلِ الْوَصُولِ إِلَى شَيْءٍ، لِأَنَّ الْحَرَكَهَ مِنْ دُونِ هَدَفٍ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ.

### سنه الموت:

و تتجلى جدية الحياه، و انها ليست لعبا و لهوا، في أمرين: الموت، و الابتلاء.

و لقد جعل الله الموت حتما على البشر:

[٣٤] وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ

فكّل الناس ميتون، و لعلّ الأدب القرآنى السامى يذكر هنا ضمير المخاطب ليجعلنا جميعا فى جو رهيب بحيث نشعر بمراره النهايه لكى لا نلعب و لا نلهو فى الحياه.

و ما دام الرسول و هو أكرم الخلق على الله قد مات فهل يخلد أحد بعده؟! [٣٥] كَلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ و تعبير ذائقه يقرب المعنى للذهن أكثر، إذ يصور الموت و كأنه شربه يذوقها الجميع، لكى نتحسس بمراره الموت عن طريق التذكر المستمر له، و لعلّ الآيه توحى بأنه ليس هناك إنسان إلا و يتحسس الموت بوعى تام، حتى لو كان الموت قد وافاه أثناء نومه.

بلى لا- بدّ أن نتذوق جميعا كأس الموت غصه بعد غصه، أ فلا نعتبر بمن مضى منا؟ و من لم يتعظ بهذه النهايه الرهيبه فبم- يا ترى- يعتبر؟

لقد قال أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- يوما و قد تبع جنازه فسمع رجلا يضحك،: «كأن الموت فيها على غيرنا كتب، و كأن الحقّ فيها على غيرنا وجب، و كأن الذى نسمع عن الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نواريهم أجدائهم، و نأكل تراثهم، كأننا مخلدون بعدهم، و قد نسينا كلّ واعظه و رمينا بكلّ جائحه. » (١) وَ نَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَ الخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ الخير أفضل من الشرّ، و لكن القرآن يأتى بذكر الشرّ قبل الخير ليبيّن لنا بأننا محكومون بإرادته الله، فلنتكيف مع هذه الاراده. و لكى نعى حقيقه هامه تبيّن

ص: ٣٠٨

---

١- ١) نور الثقلين/ ج ٣- ص ٤٢٨. و فى الأصل نريهم و لعله خطأ مطبعي، و الجائحه: النازله و الشده.

الآيات الوجه المشترك لظواهر الحياه المختلفه، فمع أن الشر يختلف عن الخير في ظاهره، إلا انهما يلتقيان في نقطه واحده هي إنهما لبلاء الإنسان حيث يتقلب البشر بين الخير و الشر، بين العافيه و المرض، بين الغنى و الفقر، و الأمن و الخوف و..و. و لا حيله له فيها. فهل رأيت مريضا يحب الاستمرار في زوبعه الألم، أم هل صادفت فقيرا يستمرئ البقاء في سواد الفقر، أو خائفا لا يريد التخلص من ضائقه الخوف؟، و لكن تدبير الله المحيط بنا يقلبنا بين الشر و الخير ليفتننا بهما، ثم يبعثنا إليه ليحاسبنا، أ فلا نوقظ أنفسنا من نومه الغافلين؟! الكى لا نتخذ الحياه لهوا و لعبا.

و ما دامت نهايه الإنسان الى الله، فهو مسئول أن يجير كل الظروف، خيرها و شرها، في صالح الهدف الأسمى، و يفكر في المستقبل بدل أن يتأثر سلبا بالظرف الذى يعيشه خيرا أو شرا تأثرا آتيا، فيطغى بسبب الخير، أو ينهزم و ينحرف بسبب الشر، و هذه من طبيعه الإنسان فهو ينسى أهدافه بسبب ظروفه المحيطه به.

و لا ريب إن الذى يعى حقيقه البعث يكون بعيدا عن اللعب و اللهو.

[٣٦] وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يَنْتَهِدُونَكَ إِلَّا هُزُواً أ هَذَا الَّذِي يَذُكُّرُ آلِهَتِكُمْ وَ هُمْ يَذُكُّرُ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ مع هذه الآيات الجليه فى الآفاق، و فى أنفسهم، تجد الكفار يستهزئون بالحق و يتخذونه لعبا، أما القرآن فيبين بأن الحق لا ينبغى أن نستهزئ به، لأنه ينتقم ممن يستهزئ به قريبا أو بعد أمد محدود.

و كم هو صلف هذا الإنسان، فى الوقت الذى يتميز غضبا حين يسمع إن الرسول يذكر آلهمم التى لا تغنى عنهم شيئا، و يتساءل: هذا هو الشخص الذى يذكر الآلهه (و لا ينقل كلام الرسول فيها احتراما لها)، فى ذات الوقت تراه يكفر بالرحمن الذى أسبغ عليه نعمه ظاهره و باطنه!!؟

اشاره

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَلَا عَنْ دُبُرِهِمْ رَبُّهُمُ يُرَوِّدُهُمْ فِيهَا وَيَكْفُرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَعِينُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠) وَلَقَدْ أَسْتَهْرَيْتُ بُرْسِلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١) قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَعِينُونَ نَضِیرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥)

اللغه

٤٠ [فتبھتھم]: فتحیرھم.

٤٢ [یکلؤکم]: یحفظکم، من کلا بمعنی حفظ.





### هدى من الآيات:

هناك حواجز نفسيه تمنع تحسس الإنسان بمسؤوليته الكبرى فى الحياه، و تدفعه الى اللهو و اللعب، و تحجبه عما تمليه الرساله الالهيه من توجيهات و مواعظ، و من تلك الحواجز النفسيه التى يعالجها القرآن الحكيم هنا:

أولاً- حاله الاستعجال عند الإنسان. حيث يعتقد بأن تأخر الجزاء دليل على أن العمل لا يستلزم الجزاء، و هذا يمنعه من التفكير الجدى فى الحياه، لأن أكثر الأعمال لا يأتى جزاؤها إلا بعد حين، حسب حكمه الله و تقديره.

ثانياً: الشرك. و هو من الحجب النفسيه التى تمنع الإنسان من الإيمان بمسؤوليته الملقاه على عاتقه، و الذين يشركون بالله بأى شكل و تحت أى عنوان كان، إنما يهدفون أساساً الى التخلص من مسئوليته التوحيد، و التى تتطلب قدراً من التضحيه و الصبر، و تحدى عامل الزمن، و لكنهم بعدولهم من الحق الى الباطل، يعرضون أنفسهم للجزاء المرهق و العذاب الدائم، فى مقابل راحه و قتيه و هميه ركنوا إليها

بجهلهم و حمقهم.

ثمّ يشير القرآن الى فكره هامه و هى إنّ الجزاء يأتى فى اللحظات التى يزداد فيها غرور الإنسان بنفسه، فالمجتمع فى بدايه حياته يكون حذرا، و لكن عند ما يطول عمره، و تكثر النعم و الخيرات عنده، فانه ينسى حذره و يركبه الغرور و يعتقد: إنّ ما عنده من الراحة و المتعه سيكون أبديا، و مع استمراره فى الحياه، و ازدياد غروره، فان سلبياته تتكاثر و يزداد ظلمه، فيتراكم جزاء أعماله و فى لحظه واحده، يفاجؤه الجزاء و يدمر عليه كلّ شىء، و هذا قانون اجتماعى ثابت لا يستثنى منه مجتمعاتنا فى هذا الزمان.

## بينات من الآيات:

### اشاره

[٣٧] يستعجل الإنسان الجزاء لأنه خلق من عجل و لكن ما هو العجل، و كيف خلق الإنسان منه؟ بعضهم قال إنّ العجل الذى خلق منه الإنسان صفه له، و كأن الله سبحانه و تعالى أراد أن يركز الضوء على خاصيه بشريه فى خلقه الإنسان و تكوينه، و ليست صفه عارضه تكتسب من البيئه المحيطه به.

و بعضهم قال إنّ المقصود بالعجل الطين، أى إنّ الإنسان قد خلق من ماده دنيئه ذات صفات سلبيه، و لذلك فهو يتعجل الأمور و لا يملك الصبر عليها بطبيعته الماديه المحضه.

و يبدو إنّ العجل يعنى شيئا آخرأ أبعد أفقا، و أكثر عمقا، و هو إنّ الزمن قد جعل من عوامل خلقه الإنسان و أحد عناصره، شأنه شأنه كلّ مظاهر الطبيعه المسخره له، فكلّ المخلوقات و الموجودات التى نراها فى أرضنا و سمائنا، يشكل الزمن جزء من

ص: ٣١٣

طبيعتها و تركيبها.

و لقد كشفت لنا الفيزياء الذريه عن هذه الحقيقه، بسلسله من التجارب العمليه، حتى لم يعد يحيط بها غموض، و قبل ذلك أشارت إليها جملة من الآيات القرآنيه، منها « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ » و يبدو من الآية إِنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ جَعَلَ الزَّمَانَ جزء من الخلقه حيث مرت بعده مراحل الى أن أخذت شكلها النهائى.

و هكذا فالإنسان يحسّ بالزمن لأنه عنصر أساسى فى خلقته الطينيه الماديه، و لولا روح الإنسان و قيم الرسالات الالهيه التى تبلور هذه الروح و تعطىها خصائص عاليه، لكان الإنسان يعيش لحظته وحدها، و لما كان يتطلع الى المستقبل أو يرى الآفاق البعيده للحياه.

و هكذا يريد القرآن أن يخبرنا بأن هذه الطبيعه البشريه التى يشكل الزمن جزء منها، هى التى تدعو الإنسان الى اللامسؤوليه، لأنه يعيش بطبيعته لحظته وحدها، و بالتالى يعجز عن إدراك حتميه الجزاء، الذى يتطلب مقدارا معيناً من الزمن، لكى يتحقق و يأخذ مجراه.

إنّه ينتظر جزاء عاجلاً- و قريباً لأعماله، فاذا تأخر عنه فتره، قد تطول أو تقصر، قال: لا- جزاء، و طبيعى إن من ينكر الجزاء ينكر المسؤوليه كذلك. مثلاً إذا ظلمت السلطه شعبها فثار بعد عشرين عاماً، لا- يقول رجالها: إنَّ هذه الثوره انفجرت بسبب ذلك الظلم، و لا يرون أيضاً ذلك الظلم، و لا يرون أيضاً ذلك الارتباط الوثيق بين الأمرين، بل إنهم يأخذون بالبحث و التفتيش عن أليه علّه ليقولوا: إنَّ الثوره جاءت من الخارج، فى حين إنَّ العله الحقيقيه تكمن فى الداخل، و بالذات فى جهاز الحكم

ص: ٣١٤

الفاسد، فهم لا يفكرون إن ظلمهم سوف يولد حركة ثوريه تتنامى، و تنتشر، و تتحول الى بركان مدمر و لو بعد حين.

و القرآن الحكيم ينبهنا بأنكم، سواء عشتم مستقبلكم أم لاء و آمنتكم به أو كفرتم، فإن الجزاء سيأتي حتما، و سوف يحيط بكم عذابه، و ما دام المستقبل حقا فلا بد أن تؤمن به، متحدين بذلك كل الضغوط التي تواجهنا في الحياه، و على رأسها طبيعتنا البشريه الاستعجاليه.

إن الذي ينكر الجزاء، بأن يسلم قيادته لنفسه النزقه المتعجله، يسلب الله منه عقله و بصيرته، و يستدرجه شيئا فشيئا، فلا يشعر إلا و العذاب مطبق عليه بغته، سواء كان ذلك عذاب الساعه أو ما هو دونها، فالطاغوت الحاكم يفقد تمييزه للأمر، و تبصره بالعواقب فيستمر في سياسته الخاطئه، و إذا به يصحو يوما ليجد نفسه ملقى عن عرشه، كشاه إيران، أو ممزقا برصاصات المجاهدين، كفرعون مصر.

و كذلك بالنسبه لبعض المجتمعات البشريه التي تراكت أعمال أفرادها السيئه حتى أحاطت بهم، استهزءوا برسلهم أو بمن يمثلهم من الأوصياء و العلماء، و اتخذوا ما جاء وهم به لهوا و لعبا، فقد حاق بهم ما استهزءوا به و أزال حضارتهم.

و كثيرا ما نجد القرآن الحكيم يتحدث عن المجتمعات و ليس الأفراد، مما يثير السؤال التالي: ما دامت المسؤوليه هي مسئوليه الفرد فلما ذا يحدثنا القرآن عنها بصيغه المجموع؟ و الجواب: إن ذلك لسببين:

الأول: إن مسئوليه الفرد لا تقتصر على حدود ذاته الضيقه، و إنما تمتد لتشمل

المجتمع الذى يعيش فيه، لأن أكثر أعمال الناس هى أعمال اجتماعيه، و جزاؤها لا بد أن يكون جماعيا أيضا، و ذلك لطبيعته التواجد فى مكان واحد و التفاعل نفسيا و ماديا بين الناس.

الثانى: هو إنَّ جزاء الأفراد-عاده-لا يرى،إننا لا نستطيع مثلا أن نحیی شابا مات فى مقتبل عمره لنسأله ما هى أعمالك السيئه التى أدت بك الى هذه النهايه،و بالتالى نعرف إن ميته المنكره كانت جزاء لانحرافه،و سوء مسلكه،أما المجتمعات فأعمالها تكون ظاهره،و آثارها واضحه،لذلك يضرب القرآن بها أمثالا لنعبر بها.

إنَّ هذه المجتمعات لم تؤمن بالجزاء،فاتخذت المسؤوليه لهوا و لعبا،فأحاط بها كفرها حتى أزالها،و عند ذلك لم تنفعها الآلهه التى اعتمدت عليها من دون الله.

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ أَنْ تَعْجَلَ الْأُمُورَ،و عدم الاضطبار على الزمن،هو من طبيعه الإنسان،و من العناصر الأساسيه فى تكوين خلقته.

سَيَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ سَتَأْتِي آيَاتِ الْعَذَابِ وَ سَتُرَوْنَهَا حَتْمًا،فلما ذا العجله؟! [٣٨] وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ إِنَّهُمْ كَلِمًا سَمِعُوا وَعَظَا وَ تَذَكِيرًا مِنْ أَحَدٍ قَالُوا أَيْنَ ذَلِكَ الْجَزَاءِ الَّذِي تَعِدُنَا بِهِ؟!لو كانوا يعلمون إنَّ الجزاء الذى يستعجلونه شديد،و إنَّه حين يحيط بهم لا

يمكنهم الفرار منه بأية صوره كانت،لما لجأوا الى السخرية و الاستهزاء و لما لَوُوا رؤوسهم معرضين.

## جزاء الاستهزاء:

[٣٩] لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهم الدَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ هِمَا المنطقتان الحساستان من الإنسان،و في ذلك إشارة الى شدة العذاب و إحاطته.

و لَا هُمْ يُنصَرُونَ فَلَا تنصرهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها و يخضعون لها من دون الله.

[٤٠] بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ أُولَا:تأتيهم النار فجأه كما لو كان ذلك من دون سابق إنذار،لأنهم تعودوا على الكفر بالندر،و عدم اتخاذها مأخذ الجد،فأصبحوا مع مرور الزمن كالجاهل الذي يفتح عينه على الحقيقه لأول مره.

ثانيا:إنَّ النار الرهيبة تسبب لهم البهت،فتسلبهم عقولهم و تحيرهم،ثم تكتنفهم بعذابها الأليم.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِنَّهم لا- يستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم و لن يعطوا مهله أكثر مما أعطوه في الحياه الدنيا،و لو بمقدار لحظه.

[٤١] وَ لَقَدْ اسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ قَدْ اسْتَهْزَأَتْ بِالرُّسُلِ، فَاذَا بَتَلَكِ الرِّسَالَاتُ الَّتِي اسْتَهْزَءُوا بِهَا تَتَحَوَّلُ إِلَى حَقَائِقٍ أَلِيمَةٍ تَحِيطُ بِهِمْ وَ تَنْتَقِمُ مِنْهُمْ. وَ لَا يَخْفَى إِنَّ ذَلِكَ إِضَافَةٌ إِلَى التَّعْذِيبِ الْبَدَنِيِّ عَذَابًا نَفْسِيًّا لِلْكَافِرِينَ.

و لكن هل الرسالة الالهيه بذاتها عذاب؟ و هل هي التي تؤدي الى الضرر الوخيم الذي يصب المعاندين في جهنم؟ بالطبع -كلا- فالرساله بما فيها من أفكار إنما هي تعبير عن الحقيقه، و حينما يستهزئ أحد بها فإنه يستهزئ بالحق ذاته، فحينما أقول لا تأكل هذا الطعام لأن فيه جرثوما، فإن هذه الكلمه تعكس حقيقه واقعيه، و عند ما تخالف و تأكل منه، فإن الجرثوم و هو تلك الحقيقه الواقعيه، سيحيط بك و يوقعك في الألم و المعاناه، لذلك يعبر القرآن عن هذه الحاله تعبيرا دقيقا، و يقول:

فَلِقُوا بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ۗ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۗ الْقُرْآنُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَمَا فِي أَكْثَرِ آيَاتِ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ، يَكْثُرُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ اللَّعِبِ، وَ اللَّهْوِ، وَ الاسْتَهْزَاءِ وَ السَّخْرِيَةِ، فَلَمَّا ذَا؟ السَّبَبُ هُوَ إِنْ الْحَدِيثُ فِيهَا، يَدُورُ حَوْلَ الْمَسْئُولِيَةِ، وَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ نَقِيضٌ لَهَا، فَاللَّعِبُ، وَ لَهْوُ الْقَلْبِ، وَ الاسْتَهْزَاءُ بِالرِّسَالَةِ، وَ السَّخْرِيَةُ مِنَ الرُّسُلِ، وَ بِالتَّالِي مِنَ الْحَقَائِقِ، هَذِهِ كُلُّهَا تَقْتُلُ احْسَاسَ الْإِنْسَانِ بِمَسْئُولِيَتِهِ فِي الْحَيَاةِ.

**و لا يسمع الصم الدعاء:**

[٤٢] قُلْ مَنْ يَكَلُّكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ

ص: ٣١٨



إن تدبير الحياه بيد الله كما إن تقديرها بيده سبحانه، فمن الذى يحفظنا ليلا و نهارا من أخطار الحياه سوى الرحمن؟ فهو الذى يحفظنا بنعمه عن بلائه، و برحمته عن غضبه. لأنه جل شأنه قد كتب على نفسه الرحمه، و الرحمن هو الذى يكلؤنا و لكن نحن لا نقدر هذه النعمه فنكفر به و بآياته و نعرض عن ذكره.

بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ الله هو الذى يريهم، و هو الذى لا يزال يكمل لهم النعم، و ينزل عليهم البركات، و مع ذلك تراهم يكفرون به و يستهزئون برسالاته.

و ما دام العذاب الالهى فى الدنيا لا- رادع عنه، (إلا- من قبل الله نفسه)، و لا- أحد من الآلهه المزعومه تقدر على دفعه إن حلّ بقوم، فلنعرف إن الآلهه ليست بشىء، و إنها لا تضر و لا تنفع، و انها لا تقدر على دفع عذاب الآخره أيضا.

[٤٣] أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا<sup>١</sup> الله لم يقطع عن أياديه ساعه فلما ذا نكفر به؟! إذا لم يعطك أبوك نقودا، و لم يدعك تنام فى البيت، و لم يهتم بك، فسوف تبحث عن صديق أو عن جهه من الجهات تؤمن لك ضرورات حياتك، و لكن الله- و الأمثال تضرب و لا- تقاس- لم يغلق عليك الأبواب، و لم يبعث عليك العذاب حتى تتركه و تتوجه الى آلهه غيره تؤويك الى كنفها! و نقرأ فى الأدعيه تعابير دقيقه، و فى نفس الوقت مثيره لأحاسيس الإنسان الفطريه فى هذا الاتجاه: فما دام الله سبحانه و تعالى لم يغير عادته الإحسان إلينا،

فلما ذا نفتش عن غيره؟ او ما دام ربنا قويا قاهرا فلما ذا نخدع أنفسنا بالالتجاء الى الضعفاء من عباده؟ انقرأ

فى دعاء عرفه للإمام الحسين عليه السلام: [ما ذا وجد من فقدك، و ما الذى فقد من وجدك. لقد خاب من رضى دونك بدلا، و لقد خسر من بغى عنك متحولا. كيف يرجى سواك، و أنت ما قطعت الإحسان. و كيف يطلب من غيرك، و أنت ما بدلت عاده الامتنان]. (١)

□ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ تِلْكَ الْأَلْهَةُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْصُرَ نَفْسَهَا فَكَيْفَ تَنْصُرُ غَيْرَهَا.

□ □ وَ لَا هُمْ مِمَّنْ يُصْحَبُونَ لَا نَعْتَبِرُهُمْ أَصْحَابًا، لَا نَعْطِيهِمُ الْقُوَّةَ، وَ لَا هُمْ يَمْتَلِكُونَ الْقُوَّةَ الذَّاتِيَّةَ.

[٤٤] بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ إِنَّ السَّبَبَ الَّذِي يَرِيدُ فِي نَسِيَانِ هَؤُلَاءِ هُوَ اسْتِمْرَارُ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ، لِذَلِكَ تَرَاهُمْ مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ وَ تَطَاوُلِ السِّنِينَ يَتَزَايَدُ غُرُورُهُمْ، وَ مَعَ تَزَايَدِ الْغُرُورِ تَتَزَايَدُ النِّقْمُ الَّتِي تَأْتِي مَعَ النِّعَمِ، فِي سِلْسِلَةٍ مُتَوَازِيَةٍ.

□ □ أَ فَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَ فَهُمْ الْغَالِبُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَهْلِكُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَجْتَمَعَاتِ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَ لِأَنَّ جَزَاءَهُمْ قَدْ آتَى أَوَانَهُ، فَلَمَّا ذَا لَا نَعْتَبِرُ؟! وَ هُنَا يُوجِّهُنَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ إِلَى نَوْعَيْنِ مِنَ الْإِعْتِبَارِ:

١- الإعتبار بمن مضى من الأمم.

ص: ٣٢٠

١- (١) مفاتيح الجنان/ص ٢٧٣.

٢- الاعتبار بمن نعاصرهم من الأمم التي تتحطم و تهلك بسبب أعمالها.

إن على الإنسان أن يعتبر بالماضى من آبائه الذين ماتوا و انقضوا، و كذلك لمن حوله من أترابه، الذين يموتون كل يوم، كذلك حال المجتمعات (١)، و لكن المشكله الأساسيه هي التي يشير إليها القرآن فى الآيه الأخيره:

[٤٥] قُلْ إِنَّكُمْ أَنْذِرْتُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ المشكله هي إنَّ الإنسان قد أصيب بالصمم، و لهى قلبه، فجعل يستهزئ بالحقيقه، لذلك حينما يرى العبر فانه لا يستفيد منها شيئاً.

ص: ٣٢١

---

١- ١) هناك تفسيرات أخرى لهذه الآيه. منها إنَّ نقصان الأرض بموت العلماء. و به جاءت الروايات. و هو تفسير عميق لا يتنافى مع ما ذكرنا آنفاً إذ إنَّ موت المجتمعات إنَّما هو بنقصان علماءها «راجع تفسير نور الثقلين / ج ٣- ص ٤٢٩».

إشارة

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَ هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٠) وَ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَال لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلَىٰ ذِكْرِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعِيدٌ أَنْ تُؤَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)

اللغة

٤٦[نفحه]: أى الوقعه اليسيره التى تقع -كنفخ الطيب الذى هو شىء يسير من ريحه.

٤٧[القسط]:العدل.

ص:٣٢٢

٥٢]عاكفون]:مستمرون دائمون على عبادتها.

٥٧]و تالله]:حلف بالله لتأكيد ما يقول،و التاء للتعجب.

٥٨]جذاذا]:أى قطعه قطعه،و أصله من الجذ بمعنى القطع.

ص:٣٢٣

### هدى من الآيات:

فى سياق حديث القرآن الحكيم عن مسؤليه الإنسان فى الحياه،المرتكزه على الجديه و الهدفيه،تذكرنا آيات هذا الدرس،بأن من علائم المسؤليه هى نفحات العذاب،التي يتعرض لها البشر بسبب سوء أفعالهم،فلكى تعرف الآخره،و ما فيها من عذاب أو ثواب،لا بد أن تتفكر فى الدنيا و ما فيها من آثار العذاب و الثواب و نفحاتهما!!إلا إن الموازين القسط التي تحسب كل صغيره و كبيره فيجازى الشخص بها،مؤجله الى يوم القيامه،حيث لا تظلم نفس شيئاً،حتى و لو كان بوزن خردله.

و لقد جاءت رسالات الله تترى لتعطى الناس ميزانا يفرق به بين الحقّ و الباطل،و ضياء يهتدى به فى ظلمات الحياه،و يذكر المتقين ليزدادوا إيماناً و عزمًا.

فمن أبرز غايات الرسل تذكير الناس بيوم القيامة-حيث الموازين القسط-، و لكن المتقين هم الذين يخشون ربهم بالغيب و يخافون أهوال الساعة.

و هذا الكتاب هو الآخر ذكر مبارك أنزله الله لذات الغايه.

و السؤال ما الذى يحجب الإنسان عن الأخذ بالفرقان، و الإيمان بالرسالات الالهيه التى تذكر بالآخره، و تتبه الغافلين عن نومهم فى الدنيا؟ إنّه و كما يتضح من القرآن التقليد، و تبعيه الآباء من دون تبصّر و لا تدبّر.

هكذا يضرب لنا القرآن مثلا من حياه إبراهيم عليه السلام الذى وقف أمام قومه الذين اتبعوا منهج آبائهم ففقدوا إحساسهم بالمسئوليه، و صرخ فى وجوههم قائلا: ما هذه الأصنام التى تتمسكون بعبادتها، و تلامونها على الدوام؟! فلم يكن عندهم جواب منطقي يردون به على هذه الصرخه، إلا أن قالوا: إننا وجدنا آباءنا يعبدونها فحذونا حذوهم.

و لكى يثبت لهم إمكان تحدى الإنسان لتاريخه الباطل بقوه إرادته، أخذ معولا- و ذهب الى معبدهم فى يوم عيدهم، و حطم الأصنام، و احدا تلو الآخر، ثم وضع المعول فى عنق أكبرها حجما، و ذهب الى بيته، بانتظار أن يعودوا، فيروا إن التماثيل قد حطمت، فيكون ذلك نقطه بدء لهم لكى ينفصلوا عن تاريخهم السىء المنحرف، و يعيشوا واقعهم بعقلية مفتحة و بصيره مستنيره.

**بينات من الآيات:**

**اشاره**

[٤٦] إن الدنيا مزيج من الجنه و النار، و لقد خلق الله سبحانه و تعالى دارا لأوليائه، جعل فيها من كل ما لذّ و طاب من النعم، دون أن يشوبها خوف أو

ص: ٣٢٥

حزن، وخلق دارا أخرى للمعاندين، و جعل فيها من كل عذاب أشده و آلمه، دون أن يكون فيها مكان للرحمة أو مجال للنعمه، و خلق دارا ثالثه تجمع صفات تلك الدارين، فيها ضغث من الجنه و ضغث من الجحيم، و هى الدنيا، ثم جعل ما فيها من ثواب و نعم شاهدا على ما فى تلك الدار من ثواب و نعمه، و ما فيها من عقاب و نقمه، شاهدا على ما فى الجحيم من أليم العذاب. و هذا هو مضمون حديث مفصل مروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام .

و فى هذه الآيات يؤكد السياق ذلك، فلكى تعرف إنك مسئول فى الآخره تدبر فى نتائج أعمالك فى الدنيا، و لكى تعرف حقيقه العذاب و الثواب فى الآخره جربهما فى الدنيا.

لذلك تجد الصحابى أبا ذر- عليه السلام- يذهب الى الصحراء، يعزى جسده، و يلقي بنفسه على الرمضاء حيث تصهره الشمس و يكونه الحصى، و يقول لنفسه يا أبا ذر ذق حراره الدنيا لكى تبعد نفسك عن نار الآخره، فان نار جهنم أشد حرا.

و فى الحديث الشريف: «تذكروا بجوعكم و عطشكم فى شهر رمضان- جوعكم و عطشكم فى يوم القيامة».

إن كل ما نواجهه فى حياتنا الدنيا من صعوبات و مشاكل و مخاطر، هو نفحه من عذاب الله تذكرنا بحقيقه العذاب الموجود فى الآخره، و يصيبنا إن لم نتبع الفرقان الذى أنزله إلينا ربنا، و الذى يفرق لنا بين الحقّ و الباطل، و بين الحلال و الحرام، و بين الخير و الشر.

وَلَيْنُ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ



أول ما يبدأ عذاب الله عز وجل بالنزول على المعرضين والمعاندين، ينزع عنهم السكره التي كانت مسيطره على عقولهم، والتي جعلتهم يغترون بالدنيا الفانيه، وعند ذلك يعودون الى رشدهم، ويقولون لقد عرضنا أنفسنا الى الهلاك بإرادتنا و اختيارنا، حينما فرطنا في المسؤوليه، و تهاونًا في أداء الأمانه.

[٤٧] وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِيطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا تِلْكَ كَانَتِ النِّفْحَةَ، أما الجزاء فسيجدونه في يوم القيامه حيث الحساب، الدقيق و العسير، إن خيرا فخير، و إن شرا فشر، و تعالى الله أن يظلم أحدا شيئا.

و الموازين القسط هم الرجال الربانيون الأنبياء و الأوصياء (١) الذين يتخذ منهم الرب شهداء على الناس، و الذين لا بد أن يقيس الإنسان أعماله بهم و بنهجهم و سيرتهم.

وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبِّهِ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا الْخَرْدَلُ: نبات له حبات بالغه في الصغر و الخفه، لو إن الإنسان أحسن و عمل عملا بوزن هذه الحبه، و في أى مكان على وجه الأرض، و على أية درجه من السريه و الكتمان، فان الله سيأتى به -بقدرته و علمه اللامحدودين- مثبتا و مسجلا، يعرضه على صاحبه في يوم القيامه، ثم يعطيه جزاءه العادل عليه.

وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ وَ لَا نَحْتَاجُ إِلَىٰ مِنْ يَعِينُنَا فِي عَمَلِيهِ الْحِسَابِ هَذِهِ.

ص: ٣٢٧

[٤٨] لأن الله لا يظلم أحدا شيئا، سبحانه، ولأنه رحيم بعباده، ولأن الحساب هناك دقيق و عسير، وبالتالي لأن المسؤوليه باهضه. فقد منّ على عباده برسالاته التي هي:

أولاً: الفرقان بين الحقّ و الباطل، بين ما ينبغى و ما لا ينبغى من الأفعال.

ثانياً: و يضىء قلوبهم بنور الإيمان حتى يتحمّلوا مسؤولياتهم و يؤدوا ما عليهم.

ثالثاً: يذكر المتقين منهم حتى لا يعترهم النسيان.

هكذا أكمل الربّ حجه على عباده، فلم يحملهم عبء المسؤوليه دون توفير وسائل تحقيقها لهم.

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ الفرقان: هو ما يفرق بين المتناقضات الموجوده فى الحياه، و به نعرف الحقّ من الباطل، و نعين الحدود الفاصله بينهما، و قد يكون الفرقان هو التوراه كما تشير إليه هذه الآيه، و قد يكون واحدا من الكتب الالهيه الأخرى و منها القرآن، كما انه يستطيل ليشمل الأشخاص كالأنبياء و الأئمه عليه السلام و من يقوم مقامهم و يمثل امتدادا حقيقيا لهم.

و الضياء: هو النور الذى يشع فى القلب، و يمكن المؤمنين من السير فى دروب الحياه المدلهمه بثقه و اطمئنان.

أمّا الذكر: فهو ما يثير دفينه العقل، و يمنع الإنسان من الركون الى الغفله و النسيان، و يتمثل فى المواعظ البليغه التى يستفيد منها المتقون الذين يخافون الله



فى الذى أنزلها، و لذلك يقول الله فى هذه الآيه: «أنزلناه» ليقطع عليهم سبيل الإنكار و التكذيب.

و كما إن التوراه كانت فرقانا و ضياء و ذكرا.. فان القرآن كذلك ذكر (و هو أعلى صفات التوراه الثلاث). و مثلما أصبح كتاب موسى بركه على بنى إسرائيل، كذلك هذا الكتاب سيكون (و فعلا كان) مباركا على من اهتدى به، يخرجهم من الظلمات الى النور، و يعطيهم تكاملا معنويا و ماديا.

### إبراهيم يحطم الأصنام جميعا:

[٥٣-٥١] وَ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَ جَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ الضمير فى «رشد» يعود الى إبراهيم عليه السلام، و لم يقل ربنا «رشدنا» مثلا، و فى ذلك إيهاء الى أن الله خلق الإنسان راشدا-عاقلا-نقى الضمير، و لكنه يتبع آباءه على غير هدى فتتحرف فطرته و يضع رشد.

و لقد أدى إعراض قوم إبراهيم عن رشدهم المركوز فى فطرتهم، الى أن يردوا على حجته القويه المنطقية بذلك الجواب السخيف الأحمق فقالوا: إننا نعبد هذه الأحجار لأننا رأينا أسلافنا يفعلون ذلك..

[٥٤] قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ لَقَدْ نَسَفَ إِبْرَاهِيمُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَقِيدَتَهُمُ الْمَهْزُوزَةَ، و تركهم فى حيره من الأمر، و الآيه التاليه تدل على إنهم لم يكونوا على شىء فى دينهم.

[٥٥] قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ لَقَدْ أَصَابْتَهُمْ كَلِمَةُ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّمِيمِ، فطرحوا عليه هذا السؤال كمن يعطى نفسه فرصة لإعاده ترتيب أوراقه و لملمه خواطره المتناثره.

[٥٦] و لكن إبراهيم واصل حجته القويه المنطقيه، و أطبق عليهم بهذه الحقيقه الصارخه التي لا سبيل لانكارها:

قَالَ يَلِ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ لَا- أَحَدٌ مِنْ آلِهَتِهِمْ كَانَ يُدْعَىٰ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ.

و لذلك فلا بد أن يكون الإله الحقيقى لهذا الكون غير الأصنام الصماء البكماء.

و هكذا أصرَّ إبراهيم عليه السلام إنه ليس لاعبا، و ليس حديثه من نوع حديث المراهقين الذين يشكون لضعف فى عقولهم- حاشاه-، بل إنه يدعو و بجد الى ربِّ السماوات و الأرض، و هو شاهد على صدق دعواه، بثبات قوله، و شجاعه طرحه، و استعداده للتضحيه، و سلامه نهجه و صدق مواقفه، و سعادته و فلاحه.

و هنا دحض حجتهم بالكامل، و انقطعوا عن أى جواب، و لكن النفس البشريه ليست من البساطه بحيث تؤمن بالحق أول ما تراه، فهناك عوامل معقده و متشابكه اجتماعيه و ثقافيه و اقتصاديه، تنشأ عنها مصالح و اعتبارات يخيل نظريًا للإنسان بأنه لا يستطيع التخلّى عنها. إنهم عرفوا الحقيقه و انجلت أمام أعينهم، و لكن إتباعها يتطلب منهم أن يضحوا بالكثير من مكاسبهم الماديه، كالجاه و السلطه و الثروه و غيرها. و لذلك لم يبادروا بإعلان قبولهم بالحقّ و خضوعهم له، بل انهم لاذوا بالصمت كمن ينحني لتمرّ العاصفه بسلام، ثم يواصل دربه.

[٥٧] و لكن إبراهيم لم يسكت، و لم يفسح لهم المجال للاسترسال فى الصمت و التقليد و الخوض فى الباطل مع الخائضين، بل قال:

□ □  
وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعِيدَ أَنْ تُؤَلُّوا مُدْبِرِينَ أَى سَاطِمَهَا بَعْدَ أَنْ تَذَهَبُوا لِحُضُورِ اجْتِمَاعَاتِ عِيدِكُمْ. و كان هذا القيد الزمنى بسبب إن إبراهيم عليه السلام كان فردا واحدا فلم يكن من الممكن أن يكسر تلك الأصنام مع وجود أعداد كبيره من المشركين عندها.

[٥٨] ثم شفع تهديده الكلامى بالتنفيذ العملى..

□ □  
فَجَعَلَهُمْ حُرًا إِذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ حطم تلك الآلهه المزيفه شر تحطيم، و ترك واحدا منها، كانوا يعدونه أعظم أصنامهم، و علق معوله فى صدره، ليترك لهم مجالاً أكثر للتفكير فى حقيقه هذه التماثيل الحجرية التى لا تضر و لا تنفع، و ذلك لأنه كان لديه تصور مسبق لما سيحدث بعد ذلك من إلقاء القبض عليه و مسائلته بعد اكتشاف قومه للأمر، و كان يريد أن يكسر جدار الصمت و يوقف مسيره الاسترسال مع الوضع الفاسد، و لكى يجد فرصه جماهيريه ليبين لهم بأن هذه الأصنام لن تسبب لهم الضرر إن كانت مكسره، كما إنها لن تنفعهم إن ظلت قائمه على منصاتهما، فما ذا عسى ينفعهم هذا الصنم الكبير عند ما يرجعون إليه و يلوذون به!؟

ص: ٣٣٢

إشارة

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَيْنِ الْغَيْبِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَلَكُمْ وَالِيمًا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)

اللغة

٧٢]و يعقوب نافله]:أى زائده، إذ لم يكن يعقوب حسب دعاء إبراهيم و إنما كان لطفًا محضًا من الله عليه.

ص: ٣٣٤



### هدى من الآيات:

كما إن نفعه العذاب فى الدنيا، شاهده على العذاب المركز فى الآخرة، كذلك الثواب الدينوى دليل على ما وراءه من ثواب عظيم فى الآخرة.

و كما إن الإنسان حينما تستعبده أصنام التاريخ، أو أصنام المجتمع، فانه يلاقى جزاءه فى الدنيا و الآخرة، حيث تتحول تلك الأصنام التى تعبد من دون الله الى نجمات تحيط به، كذلك فان الإنسان الذى يتحرر من عباده الأصنام التاريخيه أو البشريه، يبني حياته بشكل سليم و يجازيه الله سبحانه و تعالى جزاء حسنا.

فهذا إبراهيم قد حطم-أولا- و قبل كل شىء-الأصنام التى كانت تستعبد الناس آنئذ، حيث انفصل عن عباده الآباء، و تحدى ضغوط المجتمع، و لم يكتف بعدم الخضوع لأبيه (آزر)الذى كان يتخذ موقفا متشددا، بل حاول أن يجعل أباه يتبعه و يطيعه، لأنه على يقين.

كما تحرر من الخضوع لطاغوت المجتمع، و للسلطة السياسيه الفاسده، بما تملك هذه السلطه من وسائل البطش و الإرهاب، فكان ذلك الإنسان الذى خلقه الله على الفطره الإيمانيه، و أصبح عبدا مؤمنا صالحا كما أرادته خالقه.

إنّ الإنسان المتحرر عن عبوديه الطاغوت، و عبوديه الآباء، و عبوديه الشهوات، و سائر العبوديات، يصبح مستقل الشخصيه، لا يخضع إلا لخالق الكون العزيز الحكيم، و هكذا بدأ إبراهيم حياته بدايه سليمه، فأعطاه الله سبحانه بدل ذلك المجتمع الفاسد مجتمعا صالحا، و بدل ذلك الإرهاب و الطغيان أمنا و حريه، و بدل ذلك التاريخ الفاسد جعله منطلقا جديدا لبناء تاريخ صالح.

لقد عوضه الله عن كلّ بلاء صبر عليه بنعمه، فبتحرره من قيد الطاغوت أعطاه الله سبحانه نعمه القياده و جعله إماما، و عند ما تحرر من قيد المجتمع المشرك أعطاه مجموعه من المؤمنين يتبعونه، و أعطاه الأولاد و جعل ابن خالته لوطا يتبعه، فأنشأ ذلك المجتمع النظيف. و تحرر من قيد التاريخ المنحرف، فجعله الله سبحانه و تعالى نقطه البدء لتأريخ جديد مجيد، و جعل أولاده أئمه للناس، كما زودهم برساله متكامله بإزاء ذلك المنهج الفاسد الذى يتبعه الطاغوت و المجتمع الخاضع له..

برسالة تدعو الى الخير، و إقامه الصلاه، و إيتاء الزكاه، و عبادته الله وحده، دون الخضوع لهذا أو ذاك.

هذا هو بعض ما يمكن أن نستوحيه من هذه الآيات الكريمه.

## بينات من الآيات:

## إشاره

[٥٩-٦٠] قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ

من الذى حطم الأصنام؟ لا بد إن الذى حطمها ظالم لنفسه لأنه عرض نفسه لانتقامنا.

بلى هناك شخص يدعى «إبراهيم» يذكر الأصنام بالسوء، ويرفض أن يعبدها و يخضع لها، فمن المؤكد أنه هو الذى حطمها.

[٦١] و تحطيم الأصنام لم يكن يدل فقط على تحطيم الأحجار، وإنما كان يدل أيضا على تحطيم الأنظمة الاجتماعيه و التقاليد الفاسده، و تحطيمها يعنى التحرر منها، لذلك تجد إن مجتمع الطاغوت (نمرود) لم يكتف بمحاولة تعذيب إبراهيم، و بإعدامه، إنما أراد أن يكرس تلك التقاليد و القيم الفاسده عن طريق فعل كل ذلك عبر تظاهره اجتماعيه صاحبه، ليكون عبره للآخرين الذين قد تحدثهم أنفسهم باتباع منهجه التوحيدى.

قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَغْنِي النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ يَمَكْتَنَا أَن نَفْهَم مَن هَذِهِ الْآيَةِ: بَأَنَّ ذَلِكَ الْمَجْتَمَع قَدْ دَبَّتْ إِلَيْهِ أَفْكَارُ الرَّفْضِ، حَيْثُ كَانَ هُنَاكَ آخَرُونَ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى التَّحَرُّرِ مِنْ عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ، وَ قَدْ سَبَقَ أَنْ اسْتَوْحِينَا مِنْ آيَةٍ أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ تِلْكَ الْآيَةِ هِيَ « قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ».

[٦٢] قَالُوا أ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ إِبْرَاهِيمُ لَمْ يَنْكُرْ أَنَّهُ فَعَلَهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ وَ إِنَّمَا:

[٦٣] قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ

لا شك إن هذا أسلوب ساخر أراد به إبراهيم عليه السلام أن يلفت به أنظارهم إلى حقيقته معتقداتهم الفاسده، وإلا فهم يعلمون مسبقا إن هذه أحجار لا تنطق لأنهم هم الذين صنعوها بأيديهم.

[٦٤] فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ أول صدمه نفسيه أصيب بها هؤلاء هي انهيار مكانه الأصنام فى أنفسهم و التى كانت رمزا لإيمانهم بالتاريخ الفاسد، و بالخضوع للحاكم الظالم المتجبر، و اعتقادهم بالأساطير... إلخ.

فرجعوا الى أنفسهم و قال كلّ منهم لنفسه: أنا الظالم، أنا المخطئ الذى رضيت أن أعبد هذا الصنم، الذى لا ينطق و لا يستطيع أن يدافع عن نفسه.

[٦٥] ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ و لكنهم باعتبارهم بشر، و باعتبار إن البشر لا يستطيع تحدى واقعه الفاسد بسهولة، أخذتهم العزه بالإثم، و ركبوا مطيه الغرور برغم أنهم عرفوا الحقيقه و أدركوا بطلان أفكارهم و زيف معتقداتهم فقالوا مكابرين:

لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ أى كيف تطلب منا أن نسألهم، و أنت تعلم إنهم لا- يتكلمون، أ تسخر منا أم ما ذا؟! و إذا كانت الأصنام لا تنطق و لا تتكلم فهى لا تستطيع أن تهدى من يعبدها سواء السبيل، و إذن ما الفائدة منها؟ إن أهم صفه للاله الذى يعبد هى: أن يكون قادرا على هدايه الإنسان، لأنّ



و كان لهم فلسفه أخرى و هى إشراك الناس فى جريمه حرق النبى عن طريق دعوتهم للاشتراك فى جمع الحطب و إعداد مكان لا-حرقه،حتى لا- تتحرك فيهم المشاعر الانسانيه و الفطريه،و يثوروا على الطاغيه نمرود،تماما كما فعل ابن زياد الوالى الأموى بأهل الكوفه حيث بعث كل أهل الكوفه لحرب الامام الحسين عليه السلام حتى يشركهم فى جريمه قتل الامام المفترض الطاعه،و بالتالى يأمن سخطهم و ثورتهم مستقبلا.

و صنعوا لنمرود مكانا عاليا يجلس عليه و يتفرج على عمليه حرق إبراهيم ثم توقفوا..ما ذا نفعل؟النار كانت من الشده بحيث تحرق كل من يقترب منها! فأوحى الشيطان إليهم بمكيده فجاءوا بالمنجنيق،و وضعوا فيه إبراهيم مغلولا،ثم قذفوا به الى تلك النار المستعره قذفا.

### يد الرحمة:

[٦٩] قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ حينما قال الله سبحانه و تعالى «يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا» أخذ إبراهيم يرتجف من شدة البرد،و لكن سرعان ما قال ربنا«و سلاما»فاعتدلت درجه الحراره و قد جاءت قصه مفصله

فى تفسير على بن إبراهيم نذكرها فيما يلى لمزيد العبر التى فيها:

تقول الروايه- فيما تقول-فجلس إبراهيم و جمع له الحطب،حتى إذا كان اليوم الذى ألقى فيه نمرود إبراهيم فى النار برز نمرود و جنوده و قد كان بنى لنمرود بناء ينظر منه إلى إبراهيم عليه السلام كيف تأخذه النار،فجاء إبليس و اتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يقدر أحد أن يتقارب من النار،و كان الطائر إذا مرّ فى الهواء يحترق،فوضع إبراهيم فى المنجنيق و جاء أبوه فلطمه لطمه و قال له:إرجع عما أنت عليه،و أنزل

الربّ تبارك و تعالی ملائكه الى السماء الدنيا و لم يبق شيء إلا طلب الى ربه، و قالت الأرض يا ربّ ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق؟! و قالت الملائكة:

يا ربّ خليلك إبراهيم يحرق؟! فقال الله عزّ و جل: إنّه إن دعاني كفيته، و قال جبرئيل: يا رب خليلك إبراهيم ليس في الأرض أحد يعبدك غيره سلطت عليه عدوه يحرقه بالنار؟ فقال: اسكت إنّما يقول هذا عبد مثلك يخاف الفوت، هو عبدى آخذه إذا شئت، فان دعاني أجبته، فدعا إبراهيم عليه السلام ربه بسوره الإخلاص، يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد نجنى من النار برحمتك، قال: فالتقى معه جبرئيل فى الهواء و قد وضع فى المنجنيق، فقال: يا إبراهيم هل لك إالى من حاجه؟ فقال إبراهيم عليه السلام أما إليك فلا، و أما الى ربّ العالمين فنعن، فدفع إالى خاتما مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه و آله ألجأت ظهري الى الله و أسندت أمرى الى الله و فوضت أمرى الى الله، فأوحى الله عزّ و جل الى النار: كوني بردا فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال، و سلاما على إبراهيم، و انحط جبرئيل عليه السلام و جلس معه يحدثه فى النار و نظر نمرود فقال: من اتخذ إلهها فليخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظماء أصحاب نمرود: إنى عزمت على النار أن لا تحرقه، فخرج عمد من النار نحو الرجل فأحرقه، فأمن له لوط فخرج مهاجرا الى الشام، و نظر نمرود الى إبراهيم فى روضه خضراء فى النار مع شيخ يحدثه فقال لآزر: يا آزر ما أكرم ابنك على ربّه. (1)

[٧٠] وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ هذه عبره لى و لك، تحدّ الطاغوت و تحدّ المجتمع الفاسد المنحرف، و تحدّ الأصنام التى تعبد من دون الله، و فى لحظه المواجهه تدر كك رحمه الله سبحانه، فلا

ص: ٣٤١

تخف، لأن أهم شيء يربطك بعجله الانحراف هو حبال الخوف و أغلال الرهبة، فاقطع هذه الحبال و تلك الأغلال حتى تتحرر، و تكون أنت الفائز و أعداؤك الأخرين.

### الهجرة في سبيل الله:

[٧١] وَ نَجِّنَاهُ وَ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ بدل هذه الأرض المحكومة بالطاغوت، أعطاه الله أرضا حرة و مباركة هي فلسطين.

[٧٢] وَ هَبْنَاهُ لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ ذَا فِئَةٍ وَ كُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ و أعطاه الله سبحانه أيضا إسحاق، و من بعده يعقوب، و من بعد يعقوب جيلا من المؤمنين الملتزمين الذين يدعون بالأسباط، حيث عوضه الله بهم عن ذلك المجتمع الفاسد الذي اصطدم به في دعوته التوحيدية.

و أنت أيها المؤمن أيضا.. هاجر و لا تقل هذا أبى و هذا أخى و هذا صديقى.. إلخ، اترك كل ذلك و هاجر من المجتمع الفاسد إذا لم تستطع أن تصلحه، و آتخذ يعوضك الله تعالى بأفضل منهم.

[٧٣] وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا جعل الله الذين هاجروا أئمة و هذه من نتائج الهجرة في سبيل الله.  
وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ هذا هو برنامجه: أعمال الخير- الزكاة- الصلاة..



وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ وَالتحرر الكامل عن سلطه الشرق و الغرب، و الادانہ بالعبوديه المطلقه لله سبحانه و تعالى فقط.

إن هذه القيادة و الامامه تجسدت في إبراهيم عبر أكثر من خمسه آلاف سنه و الى يومنا هذا، في ذلك اليوم جاءه حاميه ظاهرا و أقرب الناس إليه و هو عمه آزر-لما غلّوا يديه ليلقوا به في النار-فبصق في وجهه و قال: ألم أنك يا إبراهيم فلما ذا فعلت، هذا هو جزاء فعلتك..بلى في تلك الأرض لم يكن أحد يدافع عن إبراهيم، و لكن الى الآن و الأجيال التي بعدنا، تلهج ألسنتهم بذكر إبراهيم و مدحه، و كل واحد يبحث عن طريقه إبراهيم ليقتدى به فيها، و هذا جزاء من أحسن عملا، في الدنيا، أما الجزاء الأكبر فهو ينتظر المحسنين في الآخرة.

ص: ٣٤٣

إشاره

وَ لَوْ طَأَّ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْجَبَايِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِيءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَ أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) وَ نُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَ نَصِيحَةً مِنْ آلِ قَوْمِ الْكَافِرِينَ كَذَّبُوا بِالآيَاتِ الَّتِي أَنْهَاهُمْ أَنْ يَكُونُوا قَوْمَ سَوِيءٍ فَاعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كَلَّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَ سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَ عَلَّمْنَاهُ صِنْعَهُ لِيُوسِ لَكُمْ لِتُحْصِنَ نَفْسَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)

اللغة

٧٨ [الحرث]: الزرع.

[نفشت]: النفش بمعنى فرار الإبل أو الغنم ليلا ليرعى بدون راع.

ص: ٣٤٤

٨٠ [صنعه لبوس]: اللبوس هو السلاح الذي يلبس كالدرع.

ص: ٣٤٥

هدى من الآيات:

هنا لك سؤالان يتبادران الى الذهن عند ما يقرأ الإنسان القرآن، وهما:

أولاً-لما ذا يكثر القرآن من قصص الأنبياء في آياته؟ ثانياً:لما ذا يذكر القرآن قصص الأنبياء بصوره متفرقه و في سور مختلفه؟  
الجواب على السؤال الأول هو:

أ-لكى يبين لنا بأن رسالات جميع الأنبياء تسير فى خط واحد، و تدعو فى جوهرها الى شىء واحد و هو منهج التوحيد.

ب-لكى يكرس كونهم قدوه و أئمه لنا، و بالتالى نستفيد من أقوالهم و أفعالهم و مواقفهم و نطبقها فى واقع حياتنا العملى الذى نعيشه.

ص: ٣٤٦

و الجواب على السؤال الثاني باختصار:

أ-إن القصص التي يوردها القرآن ليست هدفا في حد ذاتها حتى يسردها مره واحده.

ب-إن تكرار القصة في مواضع متعدده يشعر بأهميتها، و يلفت النظر الى ضروره التفكير فيها و دراستها جيدا،و من ثم الاقتداء بأخلاق الأنبياء و مواقفهم فيها.

ج-عند ما يكرر القرآن ذكر القصة الواحده،فانه لا يكرر جزئياتها،و إنّما في كلّ مره ينقل جانبا معينا منها يتناسب مع المواضيع التي يعالجها السياق،و هذا الأسلوب يلقى أضواء كاشفه على أحداث القصة،و يظهر العبر المطلوبه منها، و كذلك يجعلها شيئا فشيئا متكامل في الأذهان لتكون-بالتالي-برنامج عمل في الحياه بالنسبه الى المؤمنين.

و في سوره الأنبياء يضرب القرآن الحكيم مثلا من واقع مسئوليّه الإنسان في الحياه،و هي على جانبين:

الأول:مسئوليّه أعماله السيئه،و يقابلها العقاب الصارم،كما حدث لقوم لوط و نوح.

الثاني:مسئوليته تجاه أعماله الحسنه،و يقابلها الثواب الجزيل،كما حدث للوط و نوح و من آمن بهما.

كما يبين لنا أن الأنبياء كانوا في ساعات الشده يتوجهون الى ربهم بالدعاء فينجيهم من بطش أعدائهم،و هذا يكشف لنا إن حياه الأنبياء-أساسا-لم تكن

ص: ٣٤٧

مفروشه بالورود، بل كان ملؤها الآلام و المشاكل، و لكنهم انتصروا عليها بإذن الله، مما يعطينا شحنة من الأمل و الاندفاع فى مواجهه صعوبات حياتنا و تحدياتها، إذ سنكون على يقين من إنه، إن عجزت قدراتنا عن الصمود أمامها فان هناك من يمدنا بالعون اللازم و هو الله العزيز القدير.

## بينات من الآيات:

### نجاه لوط:

[٧٤] وَ لُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا أَهْم نِعْمه يسبغها الربّ لعبده هى نعمة الهدى، التى تؤدى الى معرفه الحقيقه، و غايه الهدى النبوه، و قد أعطى الله لوطا «حكما» أى نبوه، و النبوه: ليست مجرد علم غيبى بالحقائق، بل هى أيضا إذن من الله بالاستخلاف فى الأرض و بالتالى إمامه الناس.

و لعله لذلك اختلفت معانى كلمه «الحكم» و موارد استعمالها فى الكتاب، فحينما تستعمل فى الرساله، و حينما فى القضاء، و حينما فى العقل، و الجميع ينتهى الى ذات المنصب الالهى الذى يجمع كلّ تلك الفضائل.

و علما: أى معرفه الحقائق التفصيليه.

و الى جانب الحكم و العلم أعطى الله لوطا: نعمه أخرى و هى نجاته من الأخطار الماديه و المعنويه المحيطه به، حيث نجاه من القرية التى كان أهلها يقومون باللواط، و قطع الطرق، و كثير من المنكرات و أنقذه من أذى قومه السيئين و الخارجين

عن أمر الله و المبعدين عن دينه و شريعته.

وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ وَ نَسَبَ السِّيَاقِ الْمُنْكَرَاتِ إِلَى ذَاتِ الْقَرْيَةِ، إشاره الى أنّ جميع أهلها كانوا كذلك، حتى و كأن القرية ذاتها كانت تعمل الخبيث.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِقِينَ كَانَتْ أَخْلَاقُهُمْ سَيِّئَةً، و كان عملهم فسقا، و مثل هؤلاء لا يتوقع منهم إلا الشر و الأذى و الاعتداء على رسل الله، و على كل من يرفع صوته مناديا بالصلاح و التغيير.

[٧٥] وَ أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ شَبَّهَ الرَّحْمَةَ بِالْبَيْتِ الَّذِي يَدْخُلُهُ الْإِنْسَانُ، فيحيط به من جميع جوانبه و يحفظه من الأخطار الخارجية، و يمدده بأسباب الراحة و الاطمئنان في الداخل، و قد أدخل الله عز و جل نبيه لوطا في رحمته الخاصة، لأنه كان من الصالحين، أي كان سليم النية مخلص القلب عالي الأخلاق.

**هكذا استجاب الله لنوح عليه السلام :**

[٧٦] وَ نُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ هذه الآية تبين أهمية الدعاء و عظمه شأنه، إذا كان مستكملا لاركانه و شرائطه، فنوح عليه السلام صبر و استقام في أداء رسالته، و أخلص الطاعة لربه و خالقه،

ص: ٣٤٩

فلما تعرضت الأمه المنحرفه لخطر الطوفان الرهيب الذى لم يكن ليصمد أمامه شىء، و لم تكن حتى سفينه نوح كافيه للافلات من غضبه الأمواج الهادره، طلب نوح عليه السلام من ربه النجاه، فجاءته الاستجابة الالهيه الكريمه لتشمله هو و من كان معه باللطف و العنايه، و تشير الآيه الى أنّ هناك شرطين أساسيين للدعاء:

أ- العمل فى مسير الدعاء، أى أن يكون الدعاء مصحوبا بما يتمكن عليه الإنسان من العمل و السعى فى اتجاه الهدف المطلوب، لا أن يكون وسيله للعود و التهرب من المسؤوليه، و نوحا إنّما دعا ربّه بعد ٩٥٠ عاما من الدعوه و الجهاد.

ب- الخشوع و التضرع الى الله سبحانه، بحيث يتمثل الإنسان نفسه واقفا بين يدي ملك الملوك جبار السماوات و الأرض، أمّا أن يدعو ربه، و يكون فكره مشغولا بمواضيع دنيويه أو متعلقا بأشخاص آخرين، فهذا ليس من أدب الدعاء و ليس طريقا للاستجابة أبدا.

و الدعاء الصحيح يحوّل الإنسان من حضيض البئر الى ملك يجلس على عرش مصر، كيوسف عليه السلام، و من رجل مطارذ يلقى به فى أتون النار الملتهبه الى إمام للناس يصبح بدايه تاريخ، كإبراهيم عليه السلام، و من شاب مغمور الى ملك مهاب، كداود عليه السلام، أو من رجل قد أحاط المرض و الفقر به الى إنسان سوى ثرى ذى أهل و أولاد و جاه فى المجتمع، كأيوب عليه السلام (على نبينا و آله و عليهم أفضل الصلاه و السلام)، و كلّ ذلك جرى بالقدره الالهيه الغيبيه، و بواسطه الألفاف الرحمانيه التى شملتهم، بسبب إخلاص طاعتهم و توجيههم لخالقهم.

و هذا هو معنى المسؤوليه، حيث إنّها لا تقتصر على العمل و تحمّل الأذى و الصعاب فقط، و إنّما تمتد الى انتظار الفرج، و توقع الثواب من قبل الربّ الغنى



الحميد، الذي يعجل بجزء من رحمته لعباده الصالحين في الدنيا، و يؤجل الأعظم منها الى الحياه الأبدية في الدار الآخرة.

[٧٧] وَ نَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ إنْفَاذَ الْإِنْسَانِ مِنْ مَجْتَمَعِهِ الْفَاسِدِ قَضِيهِ هَامَهُ تَرْكُزُ عَلَيْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ بَلْ كُلِّ سُوْرَةِ الْاَنْبِيَاءِ، وَ اِنَّ مِنْ الْاَصْنَامِ الْمَجْتَمَعِ الَّذِي اِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلٰى اِصْلَاحِهِ فَعَلَيْهِ اَنْ يَنْقُذَ نَفْسَهُ مِنْهُ بِاللَّجْوَةِ اِلَى اللّٰهِ، فَاِنَّ الْبَلَاءَ اِذَا نَزَلَ عَمَّ، وَ هَكَذَا اَنْقَذَ اللّٰهُ نُوْحًا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ .

اِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاعْرِفُوْهُمْ اَجْمَعِيْنَ كَانَتْ اَعْمَالُهُمْ مِّنْحَرَفَهُ وَ نَفْسُهُمْ خَبِيْثَةً، لِذَلِكَ اَغْرَقَهُمُ اللّٰهُ، وَ لَمْ يَبْقَ اَحَدٌ مِنْهُمْ عَلٰى الْاَرْضِ، حَيْثُ اسْتَجَابَ الرَّبُّ دَعَاءَ نُوْحٍ فِيْهِمْ حِيْنَ دَعَاهُ قَائِلًا: «رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ اَلَى الْاَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ دٰثِرًا».

### سليمان و القضاء الفصل:

[٧٨] وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ اِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ اِذْ نَفَسَتْ فِيْهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شٰهِدِيْنَ مِنْ مَّظَاهِرِ رَحْمَةِ اللّٰهِ بَعْدَهُ الَّذِي يَبْحَثُ عَنِ الْهَدٰى وَ يَجَاهِدُ مِنْ اَجْلِهِ، اِنَّ اللّٰهَ سَيِّدِيْهِ. وَ سُوْرَةُ الْاَنْبِيَاءِ تُؤَكِّدُ فِيْ مَوَاضِعٍ مُّخْتَلِفَةٍ عَلٰى هَذِهِ الْفِكْرَةِ وَ هِيَ: اِنَّ الْعَقْلَ وَ الْهَدٰى اَفْضَلُ نِعْمَةٍ يَتَمَتَّعُ بِهَا الْاِنْسَانُ، وَ قَدْ وَهَبَ اللّٰهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ لِدَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ حَيْثُ كَانَا يَحْكُمَانِ فِيْ قَضِيَةِ مَعْقَدَةٍ وَقَعَتْ عَلٰى عَهْدِهِمْ حَيْثُ اِنَّ قَطِيْعًا مِنْ غَنَمِ قَوْمٍ دَخَلَ حَقْلَ كَرْمٍ لِقَوْمٍ آخَرِيْنَ، وَ اَفْسَدَ الزَّرَاعَةَ. وَ لَعَلْنَا نَسْتَوْحِيْ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ اِنَّ

مجتمع داود كان ينقسم الى قسمين:مجتمع زارعى،و مجتمع رعاه،و كانوا يختلفون، حيث إنّ الرعاه كانوا يأتون بأغنامهم الى المدينه و يطلقونها فاذا جنّ الليل تهيج الأغنام فتدخل فى الحقول المزروعه و تعبت بها،و كان أصحاب الحقول يطالبون بدفع تعويضات عن خسارتهم.

قال تعالى:

إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ إِنَّ الْغَنَمَ تَرعى فى الليل بشكل غير منتظم،و هكذا حين دخلت على مزرعه الناس أهلكتها،فلما جاء المزارعون رأوا أنّه لم يبق من كرومهم شىء،لا-العناقيد و لا الأوراق،فحكم داود- كما جاء فى بعض النصوص-أن يكون الغنم من نصيب صاحب الحقل،و لعل حكمه هذا القضاء تكمن فى أن على أصحاب الماشيه حفظها ليلا بينما على صاحب الزرع حفظها نهارا،حيث

جاء فى حديث مأثور عن رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله: «إنّته قضى بحفظ المواشى على أربابها ليلا،و قضى بحفظ الحرث على أربابه نهارا.» (1)و حسب ما

جاء فى الحديث: «كان سليمان جالسا عند والده،فقام،و قال:

لا يا أبتاه ليس الحكم كما ذكرت،قال:فما هو الحكم؟قال:الحكم هو أن نعطي البساتين التى أتلفت بسبب نفس الغنم،لأصحاب الأغنام ليقوموا بإصلاحها،و نعطي الأغنام لأصحاب البساتين يستفيدون من لبنها و صوفها و نتاجها حتى تصلح بساتينهم،ثم يرجع كلّ شىء لصاحبه،فيكون أصحاب الغنم قد دفعوا ثمن إهمالهم و تفریطهم، و يكون أصحاب البساتين قد عوضوا عن

ص: ٣٥٢

الإضرار التي لحقت بمزروعاتهم».

[٧٩] فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ لَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ الْحُكْمَ لِسُلَيْمَانَ حَيْثُ كَانَ وَصَى دَاوُدَ، وَكَانَ شَدِيدَ الْإِهْتِمَامِ بِتَحْمِيلِ مَسْئُولِيَّتِهِ، وَكَانَ يَسْعَى نَحْوَ تَطْبِيقِ الْعَدَالَةِ، فَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ حُكْمًا.

وَكَأَلَّا آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا دَاوُدَ أَيْضًا كَانَ عَلَى حَقٍّ، وَهِنَا نَتَعَرَّضُ لِلسُّؤَالِ التَّالِي: إِذَا كَانَ دَاوُدُ نَبِيًّا كَسُلَيْمَانَ، فَكَيْفَ اخْتَلَفَ قَضَاؤُهُمَا، وَهَلْ كَانَ كَلَّا- الْحَكِيمِينَ صَحِيحًا، كَمَا نَسْتَوْحِي مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، إِذَا كَيْفَ يَكُونُ لَوَاقِعُهُ وَاحِدَةً حَكْمَانِ مُخْتَلِفَانِ؟  
الجواب:

أولاً: جاء في النصوص ما يوحي إلى أن الحكم الثاني كان بمثابة النسخ، حيث

يسأل أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: قول الله عز و جل: «وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ» قلت: حين حكما في الحرث كان قضيه واحده؟ فقال عليه السلام: «إنه كان أوحى الله عز و جل إلى النبيين قبل داود إلى أن بعث الله داود: أي غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم، ولا- يكون النفس إلا- بالليل، فان على صاحب الزرع أن يحفظه بالنهار، وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل، فحكمت داود بما حكمت به الأنبياء عليه السلام من قبله، وأوحى الله عز و جل إلى سليمان عليه السلام: و أي غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السنه بعد سليمان عليه السلام و هو قول الله عز و جل:

وَ كَلَّا آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا فَحُكْمَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِحُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ. « (١)

ص: ٣٥٣

(١-١) نور الثقلين/ ج ٣- ص ٤٤٢.

جاء في حديث مأثور: «إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَكْشِفَ لِلنَّاسِ فَضْلَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّهُ وَصَّى أُمَّهُ وَخَلِيفَتَهُ مِنْ بَعْدِهِ.» (١) ثالثا: إن داود لم يحكم إنما كان يناظر ابنه في الحكم، وبذلك أيضا وردت نصوص شرعية.

رابعا: إن قيمة ما أتلغه الغنم في حقل القوم كانت بقيمة الغنم، وكانت هناك طريقتان لاستيفاء هذه القيمة: الأولى أخذ الغنم، والثانية أخذ نتاجها لعام واحد، وقد حكم كل نبي بطريقه معينه، وقد قال داود لسليمان بعد الحكم، فكيف لم تقض بقراب الغنم، وقد قوم ذلك العلماء من بنى إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم، فقال سليمان إن الكرم لم تجتث من أصله وإنما أكل حملة و هو عائد في قابل. (٢)

### النعمة و المسؤولية:

وَ سَيَخْرُجُنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَّالِ يُسَبِّحُنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ هُنَاكَ تَفَاسِيرٌ مُخْتَلِفَةٌ وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَعَلَّ أَقْرِبَهَا - اللَّهُ الْعَالَمِ - إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَ تَعَالَى سَخَّرَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْجِبَالَ بِمَا فِيهَا مِنْ مَعَادِنَ وَ إِمكَانَاتٍ، وَ سَخَّرَ لَهُ الطَّيْرَ بِمَا تَمْلِكُ مِنْ قُدْرَاتٍ عَلَى الطَّيْرَانِ، فَمَا بَالُ الْإِنْسَانِ يَتَمَرَّدُ عَلَى رَبِّهِ، وَ هُوَ يَسْتَعِدُّ الْمَعَادِنَ مِنَ الْجِبَالِ، وَ يَسْخَرُ الطَّيْرَ، فَيَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ: إِنَّ الْحَدِيدَ الْمَسْخَرُ لَكَ لَيْسَ مَلِكُكَ إِنَّمَا هُوَ بِيَدِكَ لَفْتَرَهُ مَحْدُودَهُ، وَ هَذِهِ الْآلَةُ الْحَدِيدِيَّةُ الَّتِي تَسْتَعِدُّهَا قَدْ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ تَقُولُ: إِلَهِي أَنْتَ سَخَّرْتَنِي لِفُلَانٍ فَمَا فَضَلَهُ عَلَيَّ، فَإِذَا اسْتَطَعْتَ

ص: ٣٥٤

١- (١) المصدر/ص ٤٤٣.

٢- (٢) المصدر.

أن تثبت-يوم القيامة-بأنك كنت إنسانا،و تحملت مسئوليتك فى الحياه فأنت أفضل من الحديد.

إنّ الطيور و الجبال و الأشياء كلها لله و ليست لنا،و لكن كلما سخرنا الأشياء، كلما ازدادت مسئوليتنا و كبرت،و يوم القيامة نحاسب حسابا عسيرا.إذا كانت هناك أرض (موات)و كان من الممكن إصلاحها و استصلاحها بناء أو زارعه أو رعايا أو أى شىء آخر،و لم تصلحها،فان هذه الأرض قد تأتى يوم القيامة لتشتكى عند الله قائلة:إلهى أنت سخرتنى من أجل الناس و لكنهم لم يستفيدوا منى.

إنّ المسئوليه بالنسبه للإنسان دقيقه و شامله فهو مسئول عن كلّ ما يحيط به، كما هو مسئول عن نفسه و أهله و مجتمعه.

إنّ داود لم يكن بالذى يسخر الجبال بقوته الذاتيه،و البشر ليسوا بالذين يسخرون الحديد و النار بطاقتهم الذاتيه،بل الله يفعل كلّ ذلك بقدرته و يسخرها لهم بفضله،فلو نامت البشريه ليله ثم استيقظت و قد سلب الله منهم العقل لأصبحوا و حوشا بكماء،فهل يقدرّون على شىء من حضارتهم؟كلا..و لا تشغيل سياره أو إناره مصباح فلما ذا لا يشكرون الله بعمل الصالحات،و تحمل المسئوليه؟ [٨٠] وَ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ اللبوس: كلّ أداه حربيه يلبسها الإنسان من درع و جوشن و غيره،و البأس الحرب.

ص: ٣٥٥

لقد كانت حركة داود إصلاحية في الأرض، تتطلب صدّ هجمات الأعداء و المعارضين، و لذلك فقد ألهمه الله طريقه صنع الدروع، و الآن له الحديد، و هناك نكته ظريفه في الآيه و هي: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ صِنَاعَةَ آيَاتِ حَرْبِهِ هُجُومِيَةً مَدْمَرَةً، بل اقتصر على الآيات الدفاعية و لعلّ ذلك يوحى بأن الرسالات الالهيه لا تدعو الى القتل و الدمار ابتداء، و انما هي تدعو الى الإصلاح و السلام، و لذلك فهي بحاجة الى الدفاع عن نفسها في مواجهه أعداء الإسلام و الانسانيه.

[٨١] وَ لِسَيِّدِيْمَانَ الرِّيْحِ عَاصِيَةً فَهَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ كانت الريح تحمل سليمان عليه السلام بأمر الله سبحانه لتنقله الى أى مكان شاء فى مده قصيره، و قد يأتى يوم يكتشف فيه علماء التاريخ و الآثار إن الطائره كانت مصنوعه من أيام سليمان عليه السلام، حيث كانت تنقله يوميا بين القدس و قلاع بعلبك ليشرف على أمور مملكته.

[٨٢] وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوضُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ لم يصل العلم هذا المستوى، و لكن ليس من المستحيل أن يستخدم البشر الشياطين فى يوم ما ليقوموا ببعض الأدوار، إن البشر الآن يستخدم أنواعا من الحيوانات كالدلافين فى أعمال الانقاذ أو عمليه التجسس، و الكلاب لاكتشاف المجرمين، و الحمام الزاجل لنقل الرسائل، و هكذا.. و لكنه فى المستقبل ينبغى أن يصل الى درجه استخدام الأرواح و الشياطين.

الغوص كان أصعب الأعمال حيث لم يكن أحد من البشر فى تلك الأيام يستطيع القيام به و لكن الشياطين كانوا يقومون به بكلّ سهوله بالاضافه الى أعمال

أخرى أيضا، مثل البناء..

إن الذهاب الى بعلبك يرى تلك القلاع الضخمه المبنيه من صخور هائله و التي لا يعرف البشر الى الآن كيف جىء بها إلى هناك من أماكن بعيدة، حيث إن تلك الصخور لم تكن موجوده في تلك الأرض، من أتى بهذه الصخور، و من بنى تلك القلاع؟ يبدو أن الشياطين فعلوا ذلك.

وَ كَذَٰلِكَ لَٰهُمُ ٱلْحَافِظِينَ إِنَّ هَذِهِ الطاقه الهائله المتمثله بالشياطين لم تكن فالتة الزمام، بل كانت محفوظه في إطارها المرسوم من قبل الله سبحانه و تعالى، و هذه إشاره للإنسان بأن توجهه الى الله و توكله عليه يعطيه إمكانيه لتسخير الأشياء، و حل المشاكل في الحياه.

ص: ٣٥٧

وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ ذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفُلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَ أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَ أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ يَدْعُونَنا رَغْبًا وَ رَهْبًا وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَ جَعَلْنَاهَا وَ إِبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١)





هدى من الآيات:

فى الدرس السابق بينا إنَّ الأنبياء عليهم الصلاة و السلام هم قدوات للبشر و إنما تتكرر قصصهم فى القرآن الحكيم-المره بعد الأخرى-و بأساليب مختلفه لكى تتكرس قيادتهم للبشرية، و لا- تزال آيات القرآن الحكيم تؤكد هذه الفكرة، فبعد أن تذكر قصص بعض الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، تبين إنَّ هؤلاء جميعا كانوا يتبعون خطأ فكريا واحدا هو التوحيد، و لذلك يجب على الإنسان أن يتبعهم و يتخذهم قدوات فى حياته، و إن أفعال الأنبياء عليه السلام و صفاتهم و سيرتهم، و إن اختلفت صورها، فإنها واحده فى المحتوى، و إنَّ وحده الأفعال و الصفات و السير عندهم هى بقدر يكفى الإنسان للاقتداء بهم.

و بالرغم من إنَّ القرآن الكريم فى هذه السوره بالذات لم يبين جوانب عديده من حياه الأنبياء، إنما أشار الى أسمائهم و الى أبرز صفاتهم إشاره خاطفه، لكنه مع

ذلك يقول فى نهايه قصصهم « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلًا مَّعَهُ وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ »، لما ذا؟ لكى يقول لنا بأن هذه المجموعه هى المجموعه «القدوه» و هى المجموعه «الامام» بالنسبه إليكم أيها البشر.

و لتأكيد هذه الفكره تشير هذه الآيات و التى قبلها الى هؤلاء و تأتى بأسمائهم متتاليه بالرغم من إنهم كانوا فى عصور مختلفه و أمصار متفرقه،حتى إن القرآن أتى بأسمائهم بصورة غير مرتبه تاريخيا.

فيذكرنا بموسى ثم بإبراهيم ثم بنوح، ثم بسليمان و أيوب، ثم بإدريس، و بين هؤلاء آلاف السنين، و إن أحدهم قبل أو بعد الآخر، و ذلك لكى لا يقول فرد أو مجتمع ما إننى أتبع النبي الأخير و لا أتبع النبي الأول، أو إننى أؤمن بالنبي الأوسط أو الأول دون الأخير، فكلهم نور واحد، و يجب علينا أن نفتدى بهم جميعا.

و القرآن الحكيم يتبع بيانه للقصص و الأحكام و العبر و الأمثال، خطأ واحدا هو خط التوحيد، و التوحيد هو: صبغه القرآن التى يضعها على كل قصه، و على كل عبره، و كل حكم تشريعى، و كل رؤيه و بصيره.

و إن لله سبحانه أسماء حسنى و يهدينا الذكر الى أسماء ربنا العزيز، و من هنا تجد و كأن كل سوره من سور القرآن قد خصصت لبيان اسم من أسماء الله الحسنى، و هذه السوره بالذات تبين اسم المجيب حيث إن الله قريب من الإنسان، يستجيب له و يسمع نداءه و الأنبياء الكرام عليهم الصلاه و السلام بعد أن توكلوا عليه فى أشد لحظات حياتهم، فاذا به يستجيب لهم و ينصرهم، و يعطيهم أكثر مما طلبوا.

و هذه من خصائص فضل الله سبحانه و تعالى، إذا فتحت أبواب رحمته فانها تفيض من كل جانب لكثرتها و تنوعها حتى تكون حياتك أضيق من استيعاب كل رحمته الله، كما إذا فتحت أبواب السماء بالمطر كيف نرى الأرض عاجزه عن استقبال أمطار السماء حتى أنها تعيد الزائد منها الى البحار مره أخرى.

## بينات من الآيات:

### قصة النبي الصابر:

[٨٣] أصيب بالمرض و مات أهله، و نفذت مواشيه، و كان عزيزا في قومه فافتقر، فابتعد عن الناس بسبب فقره و مرضه، و كانت زوجته الوفية هي التي تخدمه، و تنفق عليه و ذلك بقيامها بالخدمة في بيوت الناس بعد أن كانت ملكه في قريتها، و حينما يفتح به الكيل يبدأ بالدعاء، ذلك هو النبي الصابر أيوب عليه السلام، و لكن انظر كيف يدعو؟ [٨٣] وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ لَأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا أَصَابَ أَيُّوبَ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ نِدَاءَهُ اسْتِعْظَافًا وَ دَعَاءً وَ كَأَنَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ الضَّرَّ قَدْ بَلَغَ مِنِّي غَايَتَهُ، وَ لَعَلَّ التَّعْبِيرَ (النِّدَاءَ) هُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الضَّرَّ قَدْ دَفَعَ بِأَيُّوبَ إِلَى أَنْ يعلو صوته و يصرخ، مع أَنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ يَنَاجِي وَ لَيْسَ بِبَعِيدٍ حَتَّى يَنَادِيَ.

وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَإِلَيْكَ أَتَوَجَّهُ بِالدَّعَاءِ لِتَرْفَعَ عَنِّي هَذَا الضَّرَّ.

[٨٤] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ هذه عبره لنا نحن الذين نعبد الله لكي نعلم، أى رب رحيم نعبده، وكيف إنه يستجيب دعاءنا، فلا يكشف السوء عنا فقط، إنما ويزيدنا من فضله أيضا.

و يبقى سؤال: لما ذا ابتلى الربّ أيوب و هو النبي العظيم المكرّم عند ربّه؟ و ما ذا كانت بليته، و ما الذى نعتبره من قصته؟ للاجابة عن هذه الأسئلة و غيرها أنقل هنا نص حديثين مأثورين عن أئمة الهدى عليهم السلام:

#### ١- الحديث الأول

مأثور عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام يفنّد فيه الإمام المزاعم التى كانت رائجه و تدعى أن أيوب ابتلى بسبب ذنب ارتكبه، و أنه قد بلغ به البلاء حدا نبذه الناس، يقول الامام عليه السلام: «إنّ أيوب عليه السلام ابتلى بغير ذنب، و أن الأنبياء معصومون لا يذنبون و لا يزيغون و لا يرتكبون ذنبا صغيرا و لا كبيرا» و قال عليه السلام: «إنّ أيوب مع جميع ما ابتلى به لم تنتن له رائحه، و لا قبحت له صورته و لا خرجت منه مده من دم و لا قيح، و لا استقدره أحد رآه، و لا استوحش منه أحد شاهده، و لا تدود شىء من جسده، و هكذا يصنع الله عز و جل بجميع من يبليه من أنبيائه و أوليائه المكرمين عليه، و إنما اجتنبه الناس لفقره، و ضعفه فى ظاهر أمره، لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد و الفرج (١)، و قد قال النبي صلى الله عليه و آله أعظم الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، و إنّما ابتلاه الله بالبلاء العظيم الذى يهون معه على جميع الناس لثلا يدعوا له معه

ص: ٣٦٣

(١- ١) فى المصدر (القرح) و أظنه خطأ.

الربوييه (١) إذا شاهدوا ما أراد الله تعالى ذكره أن يوصله إليه من عظام نعمه متى شاهدوه، ليستدلوا بذلك على إن الثواب من الله تعالى على ضريين: استحقاق و اختصاص و لئلا يحقرُوا ضعيفا لضعفه، و لا فقيرا لفقره، و لا مريضا لمرضه، و ليعلموا أنه يسقم من يشاء و يشفى من يشاء، متى شاء كيف شاء بأي شىء شاء، و يجعل ذلك غيره لمن يشاء، و شقاوه لمن يشاء، و هو عز و جل فى جميع ذلك عدل فى قضائه، و حكيم فى أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلاح لهم و لا قوه إلا بالله. « (٢) هكذا يؤكد هذا الحديث: إن حكمه ابتلاء أيوب (أو لا أقل العبرة التى نستوحىها منه) عدم جعل البلاء فى الدنيا دليلا على غضب الله، بل قد يكون دليلا على قرب صاحبه من الله.

## ٢- أما الحديث الثانى

المروى عن أبى بصير عن الامام الصادق عليه السلام فانه يفصل القول فى بلاء أيوب كيف كان، و متى طفق كيل الصبر عنده: إنما كانت بليته أيوب التى ابتلى بها فى الدنيا، لنعمة أنعم الله بها عليه فأدى شكرها، و كان إبليس فى ذلك الزمان لا يحجب دون العرش، فلما صعد عمل أيوب بأداء شكر النعمة، حسده إبليس، فقال: يا رب إن أيوب لم يؤد شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا فلو حلت بينه و بين دنياه، ما أدى إليك شكر نعمه، فقال: قد سلطتك على دنياه، فلم يدع له دنيا و لا ولدا إلا أهلك كل شىء له، و هو يحمد الله عز و جل، ثم رجع إليه فقال: يا رب إن أيوب يعلم إنك

ص: ٣٦٤

---

١- ١) كذا فى النص و أظنه خطأ و المعنى لكى لا ينسبوا أيوب الى الربوييه، هذه الفكرة مذكوره فى نصوص أخرى أيضا.

٢- ٢) المصدر/ص ٤٤٧.

سترده إليه دنياه التي أخذتها منه، فسلطني على بدنه تعلم إنه لا يؤدي شكر نعمه، قال الله عز وجل: قد سلطتك على بدنه ما عدا عينه وقلبه ولسانه وسمعه، فقال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: فانقض مبادرا، خشيه أن تدركه رحمه الله عز وجل فتحول بينه وبينه، فنفسخ في منخريه من نار السموم، فصار جسده نقطا نقطا (١)، فلما اشتد به البلاء و كان في آخر بليته جاء أصحابه فقالوا: يا أيوب ما نعلم أحدا ابتلى بمثل هذه البليه إلا لسريه سوء، فلعلك أسرت سوء في الذي تبدي لنا، قال: فعند ذلك ناجى أيوب ربه عز وجل: رب ابتليتني بهذه البليه و أنت تعلم إنه لم يعرض لي أمران قط إلا لزمتهما على بدني، و لم آكل أكله قط إلا و على خواني يتيم، فلو أن لي منك مقعد الخصم لأدليت بحجتي (٢) قال:

فعرضت سحابه فنطق فيها ناطق فقال: يا أيوب أدل بحجتك، قال: فشد عليه مأزره و جثا على ركبتيه و قال: ابتليتني و أنت تعلم إنه لم يعرض لي أمران قط إلا لزمتهما على بدني، و لم آكل أكله من طعام إلا و على خواني يتيم، قال:

فقيل له: يا أيوب من حب إليك الطاعه؟ قال: فأخذ كفا من تراب فوضعه في فيه ثم قال: أنت يا رب. (٣)

و نستوحى من هذه الروايه عده حقائق:

أ- إن شكر أيوب كان عظيما فامتحنه الله سبحانه بأعظم البلاء ليعرف الناس أن الشكر ليس عند الرضاء في منطق الأنبياء، بل و أيضا عند البلاء، و إن أيوب و سليمان في الشكر سواء.

ص: ٣٤٥

١- ١) الى هنا ينقطع الحديث المأثور عن كتاب علل الشرائع عن أبي بصير، و يستمر بعدئذ حديث آخر مشابه له مأثور في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. انظر المصدر.

٢- ٢) ادلى لحجته: طرحها و أصبح بها

٣- ٣) المصدر/ص ٤٤٧-٤٤٨.

ب- إن حكمه النبوه تتنافى مع التغيير، و لذلك فان الله لا يدع أنبياءه عليهم السلام يتعرضون للشتم بل يستجيب دعاءهم.

ج- إن أيوب ذلك العبد الصابر و ذلك النبي الكريم عند الله، تاب الى ربه فور ما صدر منه ما يبدو أنه نوع من الفخر بعلمه، بالرغم من إن صبره و شكره و اجتهاده كان كل ذلك عظيما غايه العظمه.

### صبر الأنبياء:

[٨٥] وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفْلِ كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ يَذُكُرُ اللَّهُ سُبْحَانَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفْلِ وَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَا بِالرَّغْمِ مَنَ إِن تَرْتِيبُهُمُ الزَّمَنِي كَانَ هَكَذَا: إِدْرِيسَ ثُمَّ إِسْمَاعِيلَ فَمَا الْكُفْلَ، وَ ذَلِكَ لَكِي يَبَيِّنُ صِفَةَ يَجِبُ أَن نَقْتَدِي بِهِمْ مِنْهَا وَ هِيَ صِفَةُ (الصَّبْرِ).

لقد صبر إدريس على دعوه قومه فلم يستجب له إلا قليل حتى رفعه الله إليه.

أما إسماعيل فقد ابتلاه الله حين أمر والده بأن يتركه و أمه بواد غير ذى زرع عند بيت الله الحرام، فذاق العطش و الغربه، و كان فيهما صابرا، حتى إذا بلغ أشده، أمر والده بذبحه فأسلم لله صابرا محتسبا.

و أما ذا الكفل فقد كان مرسلا الى قومه يتبع شريعة داود عليه السلام و قد كفل مجموعه من الأنبياء يقال: إنهم سبعون، فأطلقهم و بقى مسجوناً فى بئر عميقه وضع على رأسها صخره كبيره، و ظل صابرا، الى أن أهلك الله الطاغوت فأطلق سراحه بعد ذلك.



[٨٦] وَ أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلأنهم كانوا من الصالحين أدخلهم الله في رحمته، و نحن أيضا يجب أن نصبح من الصابرين الصالحين حتى يدخلنا الله معهم.

### دعاء يونس:

[٨٧] وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا إِنْ كَلِمَهُ «ذَا النون» تعنى لغويا صاحب الحوت و هى تشير الى نبينا يونس بن متى عليه السلام، و قصته تلخص فى أنه دعا على قومه حيث لم يستجيبوا للرسالة و ذلك قبل أن يكون وقت الدعاء عليهم، ثم خرج من قريته التى تضم حوالى (١٢٠) ألف شخص و هاجر عنها و هو يحسب أنه خرج من ضيق قومه حيث ابتعد عن الذين أصرروا على عدم قبول دعوته، رغم إنه بذل فى إقناعهم جهودا كبيره، و لكنه انتقل من مكان ضيق الى ما هو أضييق منه، فى بطن الحوت، الذى ابتلعه فمكث هناك و هو فى حاله كرب شديد.

فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ أَى اعتقد أنه سيتجه الى الحرية، بينما كان يتجه الى السجن الرهيب.

ذهب الى شاطئ البحر حيث جاءت سفينه فركب فيها، و إذا بحوت ضخمة يهاجم السفينه ليبتلعها، فقال أهل السفينه دعونا نقترع فنأخذ واحدا من ركاب السفينه و نلقى به الى الحوت فيترك السفينه تواصل رحلتها، و هكذا فعلوا فوقت القرعه عليه كما قال ربنا سبحانه: «فَلَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ» (الصفات ١٤١/).

لما اقترعوا ثلاث مرات خرج اسم يونس فيها جميعا، وهذا كان من تقدير الله سبحانه، لسجن نبيه عبره لنا، فالقى في البحر حيث يسارع ذلك الحوت الى ابتلاعه و غاص به في الأعماق فأصبح يونس في ظلمات متراكمه، وهنا أدرك خطأه فأخذ يستغفر ربه و يناجيه، تأثبا معتذرا معترفا بكمال الله تعالى و بنقصانه هو:

فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنْ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ، و لكنهم يشعرون أمام الله سبحانه بالذنب و التقصير، و حتى عبادتهم لا- يعتبرونها عباده لفرط إيمانهم بالله، و تجلى نور الله في أفئدتهم، و يعتبرون عبادتهم نوعا من التقصير بحق الله، لأنها بالتالى عبادات بشر ضعفاء عاجزين لذلك يقول:

سبحانك أنت التزيه المقدس، أما نحن فبشر نتصف بالنقص و الجهل و العجز.

إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لأننى من البشر، و أنا شخصا أتحمّل مسؤوليه خطئى و لا أحمله ربّى أو الأقدار.

[٨٨] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَلِمَهُ «نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ» تَعْطِينَا الْأَمَلَ بِأَنَّا مَهْمَا فَرَطْنَا فِي جَنْبِ اللَّهِ فَان بَابِ الْاسْتِغْفَارِ مَفْتُوحٌ أَمَامَنَا، وَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَابِلَهُ لِأَن تَسْعَنَا فَلَا دَاعِيَ لِلْيَأْسِ وَ الْقَنُوطِ.

[٨٩] وَ زَكَرِيَّا إِذِ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ يقول: يا رب أنت الإله، وأنت الوارث، ولكنى أحتاج الى من يرثنى، و زكريا عليه السلام لم يكن يطلب من الله وارثا يرث أموره الماديه، إنما كان يطلب وارثا يرث رسالته، حسبما يبدو لى.

[٩٠] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ أَى جعلنا له أسره مثاليه.

فيحيى كان نبيا منذ الطفوله، و زكريا الذى قضى عمرا فى تبليغ الرساله و الدعوه إليها، و كان شيخ المرسلين و كانت زوجته صالحه، فكُونوا جميعا تلك الاسره المتكامله.

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ هذه الأسره قامت على أساس المسارعه فى الخيرات، و إنَّ كلَّ تجمع يدور حول محور معين، و ذلك المحور يعتبر روح التجمع، و الاسره الفاضله هى الأسره التى تتجمع و تتعاون و يندفع أفرادها الى أعمال الخير التى تعود عليهم و على مجتمعهم بالازدهار و التقدم.

وَ يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَ الصفه الاخرى لهذه الأسره هى المزيد من التوجه الى الله سبحانه، و العمل

بمنهجه، و التمسك بروح العباده و جوهر العباده، و لبّ الإيمان و هو الدعاء، لأنه حبل متصل بين المرء و ربّه.

و إذا خافوا من شيء دعوا الله، و إذا أرادوا شيئاً دعوا الله، و لذلك

جاء فى محتوى الحديث الذى يخاطب به الله موسى: «ادعنى لملح طعامك».

وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ الخشوع: هو صدق التوجه الى الله، و عميق المعرفة بالنفس و عجزها و تقصيرها.

### مريم نموذج المرأة الفاضله:

[٩١] وَ الَّتِي أَحْصَيْتُ فَوْجَهَا فَفَخَذْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ لِكُلِّ الْأَجْيَالِ وَ لِكُلِّ الْأَفْرَادِ وَ لِكُلِّ الطَّبَقَاتِ، و لِكُلِّ الْحَالَاتِ البشرى نموذجاً يقتدى به، و من النماذج المطلوبه فى كلّ زمان و خصوصاً فى وقتنا الحاضر، «المرأه القدوه» و كانت تلك المرأه القدوه هى (مريم بنت عمران) عليها السلام.

لقد اعتصمت من الرذيله فأعطاها الله سبحانه عيسى، و ذلك بعد أن نفخ جبرئيل فى جيبها فحملت من دون أن يمسه بشر.

وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ أن تحمل امرأه عذراء لم تتزوج و لم يمسه أى بشر، و تلد طفلاً سوياً-معجزه عظيمه- جعلها الله للناس فى جميع الأجيال آيه داله على هيمنته على الكون و تديره المباشر لما يجرى فيه من أحداث.

إشارة

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَمَا كُنْتُمْ إِذْ أَنْتُمْ رَاغِبُونَ (٩٣) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُرْ بِإِسْمِ اللَّهِ وَإِذَا لَهُ كَائِبُونَ (٩٤) وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً فِيهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)

اللغة

٩٦[حدب]: أى مرتفع من الأرض - كالجبال و الآكام..

٩٧[شاخصه]: الشاخصه هى العين التى لا تطرف من شدّه الهول.

٩٨[حصب]:الحصب كل حجر يرمى به، و لذا قيل للأحجار الصغيره حصباء.

١٠٢[حسيسها]:صوتها الذي يحسّ به.

١٠٤[السّجلّ]:السجل هو ما يسجل فيه.

ص:٣٧٢

هدى من الآيات:

تذكرنا الآيات بالجزاء، وإنَّ كلَّ قريه أهلكت جزاء لأفعالها فى الدنيا، ستعود الى الآخرة لتلقى جزاءها العادل، متى؟ حين تجيء  
أشراط الساعة، فتفتح السبل أمام اجتياح أقوام «أجوج و مأجوج» حيث يتدققون من كلِّ حذب كالسيل، هنالك يقترب البعث  
ذلك الوعد الحق، فتظلُّ أبصار الكفار شاخصه من هول القيامة، وهم يقولون: قد كنا فى غفلة عن هذا! ثمَّ يعترفون بمسؤوليتهم  
عن هذه الغفلة التى شملتهم بالرغم من النذر المتواتره» فهم كانوا ظالمين. و يأتيهم الجواب:

إن جزاءكم اليوم أن تنبذوا فى نار جهنم، أنتم و الآلهة التى زعمتم أنها تشفع لكم، و تخلصكم من الجزاء.

ثمَّ تقول: إن كانت تلك آلهه فعلا إذا ما دخلت النار! بلى الكل فى النار خالدا فيها، لهم فيها زفير من شدة العذاب و هم فيها لا  
يسمعون.

بينما الذين هداهم الله بعيدون عنها،الى درجه أنهم لا يسمعون حتى حسيستها،و هم فيما اشتهدت أنفسهم خالدون! لا يخشون من الفرع الأكبر،حيث تتلقاهم الملائكه بالبشرى و الترحاب قائله:

هذا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ .

و فى ذلك اليوم الرهيب يطوى الربّ السماء، كما يطوى الكتاب الأوراق، كذلك يعيد الله الخلق كما بدأه،إنّه وعد الله الذى ألزم به نفسه سبحانه.

## وحده الرسالات و الأنبياء

### بينات من الآيات:

[٩٢]بالرغم من ان الناس يختلفون فى انتماءاتهم،و ولائهم-كلّ يدعى انتماء لرسول و ولاء لإمام-فان المهم فى الملام الأعلّى،ليست هذه الانتماءات النظرية و الولاءات الصوريه،و انما المهم هو العمل الصالح الذى يكون خالصا لوجه الله سبحانه و تعالى،تحت ظل الانتماء و الولاء المشروع.إنّ العمل هو الذى يفرق بين أخوين،كما يجمع بين رجلين غريبين،يختلف كلّ شىء فى حياتهما باستثناء (العمل الصالح).

فالصبر يجمع بين إسماعيل و إدريس و ذى الكفل-كما بيّنّا فى الدرس السابق-بالرغم من إنّ إدريس فى بلد آخر،و ربما فى عصر ما قبل التاريخ المكتوب، بينما ذو الكفل كان فى عصر متأخر،و فى بلد ثان.

و يعود القرآن الى التأكيد على فكره المسؤوليه،و تحطيم الأصنام النفسيه،التي تحول دون إيمان الإنسان بمسؤوليته،و من تلك الأصنام(صنم الطائفه).



بعض الناس يتهربون من مسؤولياتهم في الحياه، اعتقادا بأن دينهم الذى يلتزمون به و يتمسكون بعقائده أفضل من دين الآخرين و من عقائدهم، و أن نبيهم أفضل من سائر الأنبياء، و أن إمامهم أفضل من سائر الأئمه، و يحسبون أن ذلك يغنيهم عن العمل، و عن تحمل مسؤوليتهم الجديّه في الحياه، و يأتي القرآن، ليهدم هذه العقده النفسيه، و يبين بأن الأنبياء هم أمه واحده و يشكلون القدوه الحسنه للبشريه. فاذن، لا- مجال هناك لإيجاد خلاف بين الأنبياء، لكى نقول: إنا ننتمى الى هذا فنحن أفضل منكم. كلاً! إنّ الذى ينتمى الى محمد صلى الله عليه و آله ينتمى الى عيسى عليه السلام و موسى عليه السلام و إبراهيم عليه السلام و إدريس عليه السلام و نوح عليه السلام، و جميع الأنبياء و الصديقين عليهم الصلاه و السلام، و من ينتمى إليهم صادقاً فهو ينتمى الى محمد صلى الله عليه و آله، و الانتماء الحقيقى هو العمل الصالح، لذلك يربط القرآن بين فكره وحده الأنبياء و فكره الجزاء، و فور ما يحدثنا عن وحده الأنبياء، يقول الله تعالى:

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ و يحدثنا فى آيات تاليه عن الآخره، و عن أشرط الساعه، لان الاقتصار على الولاء النظرى الجامد إنما هو صنميه يجب أن تحطم فى نفوس البشر لكى لا- يلجأ إليها الإنسان خشيه تحمله المسؤوليه، ذلك لأن القرآن يعالج الفكره الخاطئه بأمرين:

أولاً: يكشف القرآن الحكيم زيف الفكره التى يعتمد عليها البشر، و يبرّر بها لا مسؤوليته، و لا جدّيته فى الحياه.

فمثلاً يقول: إن الهروب الى ظل التفرقه الطائفيه و المذهبيه، للتخلص من ثقل المسؤوليه خطأ، ذلك لان الرسالات الالهيه إنما هي واحده.

ثانياً: يقتلع الجذر النفسى الذى تعتمد عليه هذه الفكره.

لما ذا يهرب الإنسان الى ظل الطائفية،و المذهبيه؟و لما ذا يريد أن يفرق بين الله و رسله؟لأنه لم يستوعب حقيقه الجزاء بصوره جدّيه.

فاذا عرف الإنسان:إنّ عمله سوف يجازى عليه جزاء حقيقيا مؤكداً و إنه لا يستطيع أن يهرب من جدّيه الحياه و تحمل مسؤولياتها فانه لا يبرر تقاعسه بهذه الأفكار الخاطئه،و هكذا استخدم السياق القرآنى هذين الاسلوبين كما سوف نرى.

و الآيه تدعو الى وحده الأُمه الإسلاميه،أما ما نراه اليوم من تعدد الدول الإسلاميه و تعدد الأنظمه الحاكمه فيها فهو خلاف المنهج القرآنى القويم و هو السر فى تخلفنا و شقائنا.

وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ بَدَلُ أَنْ يَقُولَ الْقُرْآنُ وَ تَقَطَّعُوا رِسَالَاتِهِمْ قَالَ: وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ، لَعَلَّهُ لَكُمْ يَوْضَعٌ بِأَنَّهُ حَتَّى وَ لَوْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الدِّينَ لَا يَخْتَلِفُ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ، وَ عِنْدَ مَا يَتَقَطَّعُ النَّاسُ أَمْرَهُمْ، وَ يَخْتَلِفُونَ فِي الرِّسَالَاتِ وَ الرِّسْلِ، انْطِلَاقًا مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَ مَصَالِحِهِمُ الْمَادِيَةِ فِي الدُّنْيَا، فَهَذَا سَيُضَعِّعُهُمْ أَمَامَ مَسْئُولِيهِ خَطِيرِهِ بَيْنَ يَدَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

كُلُّ إِلَهٍ رَاجِعُونَ الْجَمِيعَ يَعُودُونَ إِلَيْنَا، وَ لَكِنْ لَا نَقِيسُهُمْ بِأَمْرِهِمْ، إِنَّمَا نَقِيسُهُمْ بِأَمْرِنَا (أى برسالاتنا) و رسالاتنا واحده، و حكمنا واحده.

[٩٤] وحينما يقول الإنسان: أنا مسلم، نسأله أولا: ما هو عملك؟، أو يقول: أنا أتمى الى السيد المسيح عليه السلام، نقول له: المسيح يجازى بعمله و أنت تجازى بعملك وحدك.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ اعْمَلْ أَى شَىءٍ مِنَ الصَّالِحَاتِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا فَانكَ سِتْرَاهُ وَ سَتَشْكُرُ عَلَى سَعْيِكَ، وَ تَعْطَى عَلَيْهِ الْجِزَاءَ الْمُنَاسِبَ، إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا.

وَ إِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ مَا دَامَ الْقَلَمُ بِيَدِ اللَّهِ، وَ السَّجَلُ بِيَدِهِ، فَهُوَ لَا يَنْسَى عَمَلَكَ، فَلَا تَقُلْ: إِنْ هَذَا الْعَمَلُ لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ بِهِ، فَمَا الْفَائِدَةُ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ؟، وَ نَجِدُ فِي كَلِمَةِ «مِنَ الصَّالِحَاتِ» إِشَارَةً إِلَى إِنْ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَسْتَصْغِرَ أَى عَمَلٍ يَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ، لِأَنَّ أَعْمَالَ الْخَيْرِ الصَّغِيرَةِ عِنْدَ مَا تَتَجَمَّعُ فَانَهَا سَتَكُونُ أَعْمَالًا عَظِيمَةً، يَظْهَرُ أَثْرُهَا فِي الْمَجْتَمَعِ عَلَى الْمَدَى الْقَرِيبِ أَوْ الْبَعِيدِ.

دع هذا الاحساس ينمو عندك: بأن الله يراقبك و يسجل كل كبيره و صغيره من أعمالك الحسنه، آتئذ تندفع الى العمل بروح عاليه و أمل مشرق.

[٩٥] وَ حَرَامٌ عَلَى قَوْمِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِنْ تِلْكَ الْقُرَى (أى الأمم و المجتمعات التى يدمرها الله بسبب كفرها و أعمالها المنحرفه) لَنْ تَعُودَ إِلَى الْحَيَاةِ أَبَدًا، وَ هَذَا مَا يُؤَيِّدُهُ حَدِيثٌ مَنْقُولٌ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْلَ الْقِيَامَةِ الصَّغْرَى (١)، وَ هُنَاكَ مَعْنَى آخِرٍ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَالَهُ بَعْضُ

ص: ٣٧٧

إن القرية التي تهلك تعود الى الجزاء، وهذا المعنى يفهم من سائر الآيات القرآنية أيضا، فتكون الآية مشيره الى أن هناك ساعتى هلاك للأمم الظالمه: ساعه خاصه بها، و ساعه للكون كله، و هى الساعه العظمى و القيامه الكبرى.

### نهاية الحضارات:

[٩٦] حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ أَي إِنَّ الطَّرِيقَ أَمَامَ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ قَدْ انْفَتَحَ، فَيَنْدَفِعُونَ مَسْرِعِينَ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمَرْتَفِعَةِ لِيُغْزُوا بِلَدَانَ الْعَالَمِ - أما ذلك السد الذي ذكره القرآن فى سورة الكهف - فيكون آنذاك قد أنهار، و يأجوج و مأجوج الذين هم رمز الخراب يكونون قد جاؤوا، يقول بعض علماء الحضاره: بأن الحضاره أشبه ما تكون بشجره إذا مرَّ عليها الزمان تتسوس من داخلها و لكنها تبقى قائمه الى أن يأتى من الخارج من يقوم بتحريكها حركه بسيطه فتقع على الأرض، و هكذا الحضارات يعيث بداخلها الفساد و لكنها تبقى الى أن تأتى موجه بربريه من أطرافها فتقضى عليها قضاء نهائيا، و هذه نهايه كل الحضارات فى التاريخ.

و لعلّ هذه الآية تلمح الى أنّ نهايه الحضارات البشرىه تجرى هكذا، باعتبار أنّ يأجوج و مأجوج قوم برابره همجيون، يهجمون على هذه المجتمعات و ينهونها.

و يبدو أنّه قبل قيام الساعه ستكون هناك موجه بربريه، و إنّ الله سبحانه شاء أن ينهى حياه الإنسان بيد الإنسان نفسه، أو ليس الظالم سيفه ينتقم به، و ينتقم منه.

[٩٧] وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ إِذَا جَاءَ هَؤُلَاءِ فَاعْلَمْ بِأَنَّ السَّاعَةَ بَاتَتْ قَرِيبَةً، وَإِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ فَالْإِنْسَانُ لَا يَعْرِفُ مَاذَا يَعْمَلُ، أَنَّهُ يَفْقَدُ إِرَادَتَهُ وَيَسِيطِرُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ، وَ تَرَى عَيْنَهُ قَدْ وَقَفَتْ فِي اتِّجَاهٍ مُحَدَّدٍ لَا تَتَحَوَّلُ عَنْهُ يَمَنَةً أَوْ يَسْرَهُ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ وَ شِدَّةِ الرَّعْبِ، لِذَا يَقُولُ الْقُرْآنُ:

فَإِذَا هِيَ شَاحِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا تَرَى هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ كَانُوا غَافِلِينَ عَنْ هَذَا، وَ لَكِنْهُمْ سُرْعَانِ مَا يَتَذَكَّرُونَ إِنْ غَفَلْتُمْ كَانَتْ مِنْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وَ لِذَلِكَ لَا تَكُونُ مَبْرَرَةً لِرَفْعِ الْمَسْئُولِيَةِ عَنْهُمْ، فَقَالُوا:

بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ [٩٨] وَ هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَ يَعْتَقِدُ الْإِنْسَانُ أَنَّهَا تَكْفِيهِ الْمَسْئُولِيَةَ، هِيَ وَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا سَوْفَ يَصْبَحُونَ وَ قُودَ جَهَنَّمَ، وَ يَخْلُدُونَ فِيهَا مَهَانِينَ، فَكَيْفَ تَعْبُدُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ هَذَا الصَّنَمَ الَّذِي يَنْبِذُ فِي الْجَحِيمِ، وَ يَحْتَرِقُ فِي النَّارِ، وَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَوْفَ يَنْصُرُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟! إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ [٩٩] لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوا

لأنَّ الآلهة لا يعقل أن تدخل جهنم.

وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ الَّذِينَ عبدوا و الذين عبدوا من دون الله راضين بذلك.

و الولاءات التي يعتقد الإنسان انها تكفيه مسؤوليته في الحياه نوعان:

١-الولاء للصالحين و لكن بصورة خاطئه اتخاذ هذا الولاء بديلا عن العمل، فمن يوالى رسول الله محمد صلى الله عليه و آله و لا يعمل بسنته و تعاليمه،فانه لن يستفيد شيئا من ولاءه.

٢-الولاءات المنحرفة من أساسها،كالولاء لرئيس العشيره،لرئيس التجمع، للطاغوت،لصاحب المال،لصاحب الجاه،من دون تقوى.

هذه الولاءات خاطئه من أساسها،لأنَّ الله سبحانه لم يأذن للإنسان باتباع أحد،إلا أولئك الذين عينهم في القرآن الكريم أو عرفهم عبر بصائر الذكر الحكيم.

[١٠٠] لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ إِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ سِوَى الصَّرَاحِ، و لكنهم من شدة العذاب و الألم لا يسمعون صراخ بعضهم.

### الذين سبقت لهم الحسنى:

[١٠١] إن المؤمنين الصادقين بعيدون عن نار جهنم، و هم في شغل فاكهون يتنعمون في الجنة،بينما هناك أناس يحترقون بالنيران الملتهبه، و قد صمّت آذانهم

من شدة زفيرها حتى فقدت حاسه السمع، تلك النعمة العظيمة التي لم يشكروا الله عليها في الدنيا و لم يستعملوها في طاعته.

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ و الحسنی هی الرساله الحسنه..الفكره الحسنه..السيره الحسنه..و هؤلاء وفقهم الله لها في الدنيا،و بالتالى فهم مبعدون عن نار جهنم فى الآخره.

[١٠٢] لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا و هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ من نعيم مقيم و حور و ولدان.

[١٠٣] لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ فى الآيات القرآنيه تأكيد على هذه الفكره:إنّ الإنسان فى الآخره ينعم بألوان النعم،و هذا يكفيه جزاء لأعماله الصالحات و لكن الله يعطيه نعمه ثانيه،بأن يرسل اليه الملائكه ليستقبلوه أحسن استقبال و ينقلوا له شكر الله على أعماله و سلامه عليه،و هذا تكريم معنوى عظيم.

[١٠٤] يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ السجّل:هو الغلاف،و الكتب:هى الأوراق المكتوبه،فالغلاف يجمع الأوراق المكتوبه و بعد فتح الغلاف تنتشر الأوراق،هكذا يطوى الله السماوات فتنتهى الدنيا و تقوم الساعه و يأتى يوم الحساب.

هكذا تكون عظمه الساعه، و لكن مع ذلك يعطى الله السكينه و البشرى للمؤمنين.

و لعل الآيه تشير أيضا الى فكره أخرى هي:

إنّ إفناء السماوات و الأرض و إعادة خلقها عند الله هو من السهوله مثل الذى يغلق فيها أهدنا كتابا ثم يفتحه مره أخرى، و هذا المثال إنّما هو لتقريب الأمر الى أذهاننا لا على سبيل المطابقه.

إنّ تصور هيمنه الله سبحانه على الكون يجعلنا أقرب الى واقعيات الحياه، و بالتالى الى جدّيه الحياه و مسئوليّاتنا فيها.

كَمَا يَدَانَا أَوَّلَ خَلْقِ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ هَذِهِ الْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى فِكْرِهِ عِلْمِيهِ وَ هِيَ أَنَّ بَدَايَةَ الْخَلْقِ دَلِيلٌ عَلَى نَهَائِهِ، وَ هَذِهِ الْبَدَايَةُ وَ تِلْكَ النِّهَايَةُ شَاهِدَانِ يَكْشِفَانِ طَبِيعَهُ وَ تَفَاصِيلَ عَوْدِهِ الْخَلْقِ، لِأَنَّ الْخَلْقَ وَ تَطَوُّرَاتِهِ تُسِيرُ عَلَى سَنَةٍ وَاحِدَةٍ لَوْ فَهِمَ الْإِنْسَانُ تَطْبِيقَهَا عَلَى ظَاهِرِهِ فَانَهُ سَيَفْهَمُ تَطْبِيقَهَا عَلَى بَقِيَةِ الظَّوَاهِرِ.

### كلمه أخيره:

إن المشكله النفسيه هي الأساس، و من دون معالجتها سوف تستمر الأفكار الباطله عند الفرد، هكذا تجد القرآن فى آخر سوره الأنبياء يذكرنا باليوم الآخر و يصور لنا مشاهدته، و يثير فينا قوه الخيال، و هي قوه هامه عند البشر، و على الإنسان أن يستفيد منها فى تربيته ذاته، فيقول للإنسان تصور و قوفك أمام الله، و تصور لحظه



قيام الساعه، و تصور حينما يفتح الطريق أمام يأجوج و مأجوج؟! كل ذلك لتهتز نفسيه الإنسان، و يلين قلبه، و يكون مستعدا لإصلاح فناعاته، و إسقاط حجب التبرير عن نفسه.

ص: ٢٨٣

إشاره

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْمَارِضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهٗ فَتَنَّهُ لَكُمْ وَمَتَاعٍ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢)

اللغه

١٠٦ [لبلاغاً]: أى كفايه فى البلوغ إلى القصد و هو الحق.

١٠٩ [آذنتكم]: أعلمتكم.

[و إن أدرى]: أى و ما أدرى.

هدى من الآيات:

لأن الإنسان مسئول عن أفعاله، فقد منّ الله على الصالحين من عباده بورائه الأرض، هكذا كتب في الزبور من بعد الذكر.

بهذا الأمل العظيم يبدأ الدرس الأخير من سورة الأنبياء التي حفلت ببيان كرامه الله للمرسلين عليه السلام و استجابته دعائهم و نجاتهم من قومهم الظالمين.

و يكفى هذا الحديث بلاغا للعبادين.

إن رساله الله الى النبي محمد صلى الله عليه و آله رحمه للعالمين (لا لقوم أو عصر)، و هذه الرساله ذات اتجاه واحد، يتلخص فى عباده الربّ الواحد، و هى رساله الإسلام.

أمّا إذا تولوا فأنذرهم و أنبئهم- يا رسول الله- إني لا أدري متى يصيبكم ما أنذرتكم به عاجلا أم آجلا، و هكذا تتجلى مسئوليته المجتمع عن أفعاله، و لا أحد

يقدر على الهروب منها الى ظل الكتمان إذ الله سبحانه محيط علما بما يجرون و ما يكتمون من أقوالهم،(فيعلم مدى كذبهم في ادعاءاتهم التبريرية).

و هم يعتمدون على ما أوتوا من إمكانات،و لكنها فتنه و بلاء،و هي موجوده إلى حين.

و يلجأ الرسول الى كهف قدره الالهيه ليحكم بالحق،و ربنا المستعان على تبريراتهم و دعاياتهم.

## بينات من الآيات:

### إشاره

[١٠٥] يبشر الله عباده الصالحين، بأنهم هم الذين يرثون الأرض و ما عليها، ثم يقول: إنَّ هذا إبلاغ لأولئك الذين عبدوا الله و سلّموا أمورهم لربهم، ما هي العلاقه بين الآيتين؟ الواقع ليست الحقيقه غامضه، بل لها دلائل و شواهد عده،و لكن الإنسان عاده يصاب بعقده أو عقيدته فاسده،أو غفله مطبقه،و عليه أن يبذل المزيد من الجهد لإصلاح نفسه من عقدها و عقائدها الفاسده،و كذلك من غفلتها.

إنك متى ما خلّصت نفسك من عقدها و عقائدها الفاسده،و أيقظتها من غفلتها،آنئذ يمكننا أن نحكم بأنك فهمت الحقيقه،و ليس ذلك فحسب، بل إنَّ الحقيقه صارت بالغه الوضوح في نفسك.

و يسمى الله سبحانه قوله: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ بلاغا، لأنَّ الإنسان بعد ما يصفى نفسه من رواسب العقد و العقائد الفاسده،و يوقظها من غفلتها،يكون مستعدا لتلقى هذه الحقيقه و هي وراثه الصالحين الأرض جميعا،

كيف؟ لأنّ الحياه مبنيه على أساس الصلاح، وليس على أساس الفساد، فلو كان الكون فاسدا لتحطم و زال.

ثمّ نتساءل ما هي علاقته هذا الأمر بحدِيثنا في قوله: **عِبَادِي الصَّالِحُونَ**؟ الإنسان الصالح هو الذى يسير وفق سنن الله، ولا بدّ أن يسير منسجما مع مسيره الكون، ولا بدّ أن يلتقيها في يوم من الأيام، أما الإنسان الفاسد الذى لا يسير وفق سننه، فانه من الطبيعى أن يفترق مع مسيره الكون، وتكون بينهما هوة تتسع مع الزمن، و الذى يسير وفق برامج الحق لا بدّ أن يلتقى مع الكون، أما الذى يسير وفق أهوائه فانه سوف يكون إمّا وبالا على الكون فينشر فيه فسادا، أو يكون الكون وبالا عليه فيهلكه أو يدمره.

إنّ سنن الله في الكون تطبق شئنا أم أبينا، وإن من يسير وفقها لا بدّ أن يلتقى معها، بينما الذى يسير ضدها لا بدّ أن ينتهى، و عنوان هذه السنن هو الصلاح، و قد بنى الكون على الصلاح، و الصالحون من عباد الله هم الذين يرثون الأرض، لأنهم يطبقون سنن الله فيها.

**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ما هو الزبور و الذكر، و لما ذا خصهما الرب بالذكر، أو ليست هذه سنه إلهيه نوهت بها رسالات الله جميعا؟ بلى، و لذلك احتمل بعض المفسرين أن يكون الذكر هنا هو القرآن بينما الزبور

كُلّ كتاب هبط قبله، فيكون إذا معنى (من بعد) الذكر ما يساوى قولنا بالاضافه الى القرآن.

و لكننا نستظهر من لفظه الزبور نفس معناها عند ما استخدمت فى موردين، و أيد بها كتاب داود.

بينما نستوحى من آيه سبقت فى هذه السوره: إن الذكر يطلق على التوراه، و يبقى السؤال إذا بما ذا اختص داود عليه السلام من بعد موسى عليه السلام بهذه البشرى؟ و الجواب- كما يبدو لى:-

إنّ الله أنقذ بنى إسرائيل، ذلك القوم المستضعف من سلطه فرعون، و على يد النبى موسى عليه السلام، و أورثهم أرض الظالمين.

كما أعطى لداود حكما و هيأ له أسباب القدره، فكان من المناسب أن يذكرهما، بأن وراثه كّل الأرض تكون للصالحين: أولا لكى يكون ما تحقق فعلا- على عهدهما شاهدا على ما يتحقق فى المستقبل جريا على نهج القرآن فى الارتقاء بالقارئ من الحقائق المشهوده الحاضره، الى الغيب الأوسع مدى، و ثانيا و ليعلم كّل مؤمن بأن الله سوف يورث الأرض للصالحين من عباده كما فعل فى عهد داود و موسى، فيكون ذلك أملا- يبعثه الى المزيد من النشاط، و بصيره كونه لمعرفه حركه الكائنات التى تنتهى الى وراثه الأرض جميعا.

هكذا نستوحى من الآيه فكرتين:

أولا: إن كّل مجموعه مؤمنه تعبد الله بحق، و تكون صالحه، تستحق أن ترث أرضها.

ثانياً: إن كَلَّ الأرض سوف تسعد بحكومه عادله، إلهيه، وهذه هي التي نجدها فيما يسمى ب(مزامير داود) و الذي بالرغم من وجود تحريفات في كتب العهدين حفظت لنا الكثير من حقائق الوحي و وصايا الأنبياء، فاننا نقرأ في بعضها ما ترجمته:

«إن الله يعلم أيام الصالحين، و سيكون ميراثهم أبدياً». (١)

و لذلك جاءت النصوص الإسلاميه عن الرسول صلى الله عليه و آله تترى و تبشر بأنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل البيت يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً.

و

جاء في حديث مأثور عن الامام أبو جعفر عليه السلام في تفسير هذه الآية: هم أصحاب المهدي في آخر الزمان. (٢)

### الصلاح بين تخلفنا و تقدم الغرب:

الصلاح مطيه التقدم، ذلك لأنه يعنى التوافق بين عمل الإنسان و سنن الخلائق، و نتساءل: إذا لما ذا تخلفنا و تقدم الغرب الكافر، هل هم صالحون فعلاً؟ نقول بلى إنهم قد اكتشفوا بعض سنن الله و عملوا بها مثل (السعى-النظام-التخطيط-العطاء) فتقدموا علينا.

إلا إنهم لا يملكون خلفيه عقائديه صحيحه و بالتالى إطاراً سليماً لنشاطهم،

ص: ٣٨٩

---

١- ١) هناك نصوص كثيره نقلت في تفسير (نمونته) في هذا الحقل راجع ج ١٣- ص ٥٢١، و هذا النص نقله الكتاب المزبور من الترجمة الفارسيه لكتاب العهد القديم، الذي ترجم في عام ١٨٧٨ تحت إشراف مراجع الكنيسه.

٢- ٢) تجد هذين النصين و نصوص أخرى في «نور الثقلين» ج ٣- ص ٤٦٤-٤٦٥.

و لم يهتدوا الى الصراط القويم، فكانوا كمن يجدّ السير على غير الطريق الصحيح فتراه يركض، و يملك من العزيمة على السير، و وسائل التحرك ما يساعده على الوصول الى الهدف، إلاّ إنّه أضلّ الطريق فلا يغنيه السعى و النظام و التخطيط و العطاء شيئاً.

هؤلاء (العرب) حققوا جزء من الشرط الثانى دون الشرط الأول و الأهم لوراثه الأرض و هو عباده الله، فلذلك لن يكونوا المبشرين بوراثه الأرض، لأنهم ليسوا عباد الله الصالحين، بلى انهم يملكون من الصلاح نسبه يجزيهم الله عليها بتقدمهم المحدود و الموقت فى الدنيا، و عندنا-نحن المسلمين-نسبه من الفساد تتخلف بسببها فى الدنيا.

إذا لا بدّ من تطبيق كلّ الدين حتى نكون صالحين، و كلّ الدين هو الذى يجعلنا نتعايش مع سنن الكون و نبشر بوراثه الأرض بقدر تسخيرها فى سبيل الله.

[١٠٦] إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ عَابِدًا فَإِنَّهُ لَنْ يَصِلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ.

[١٠٧] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ إِنَّ الصَّيْغَةَ الْعَامَةَ لِرِسَالَاتِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَرِسَالَةُ الْإِسْلَامِ بِالذَّاتِ، هِيَ الرَّحْمَةُ، لِأَنَّهَا تَهْدِي النَّاسَ إِلَى نِعْمِ اللَّهِ، وَطَرِيقَ الْقَوِيمِ إِلَى الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، وَالنَّهْجَ السَّلِيمَ لِبُلُوغِ الْأَهْدَافِ السَّامِيَةِ، وَلِذَلِكَ

جاء فى الحديث عن الرسول إنه قال: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَّهْدَاهُ.» (١)

ص: ٣٩٠

(١-١) نور الثقلين/ ج ٣- ص ٤٦٦.



و تتميز رساله نبينا الأكرم صلى الله عليه و آله بأنها رحمه للعالمين جميعا سواء الأبيض أو الأسود،العربي و الأعجمي،و الفقير و الغنى،و الرجال و النساء،و أنها-كما السحب الهطول،كما أشعه الشمس،كما سائر نعم الله-تشمل الجميع بلا استثناء.

و لأنها رحمه للعالمين،فان الله سبحانه و تعالى يريد لها تسود العالم جميعا حتى تكون وراثه الأرض كل الأرض للصالحين التابعين لهذه الرحمه..و هذه بشرى لا بد أن يسعى كل مؤمن لتحقيقها.

و هناك تفسير آخر لهذه الآيه جاء به الأثر الشريف و هو: إنَّ الرسل من قبل سيدنا محمد صلى الله عليه و آله بعثوا بالتصريح فاذا كذب الواحد منهم أنزل الله على قومه العذاب،بينما بعث نبينا بالتعريض فلا يأخذ الله أهل الأرض فى عهده بالبلاء الماحق،و يدلّ على ذلك ما

جاء فى حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام وجهه الى بعض الزنادقه:و أما قوله لنبيه و مَا أَرْضَيْتَنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ و انك ترى أهل المال المخالفه للإيمان و من يجرى مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم الى هذه الغايه، و انه لو كان رحمه عليهم لاهتدوا جميعا و نجوا من عذاب السعير،قال:فان الله تبارك اسمه إنّما عنى بذلك انه جعله سبيلا لإنظار أهل هذه الدار،لأنّ الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض،و كان النبى صلى الله عليه و آله منهم إذا صدع بأمر الله و أجابه قومه سلموا و سلم أهل دارهم من سائر الخليقه،و ان خالفوه هلكوا و هلك أهل دارهم بالآفه التى كانت بينهم يتوعدهم بها و يتخوفهم حلولها و نزولها بساحتهم،من خسف أو قذف أو رجف أو ريح أو زلزله و غير ذلك من أصناف العذاب الذى هلكت به الأمم الخاليه،إنّ الله علم من نبينا و من الحجج فى الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله، فبعثه الله

بالتعريض لا بالتصريح، وأثبت حجه الله تعريضا لا تصريحاً. (١)

[١٠٨] لما ذا كانت رسالات الله رحمه، وما هو جوهر هذه الرحمة الالهيه؟ إنَّ جوهر الرحمة الدعوه الى توحيد الله، ونبذ الشركاء من دونه، ذلك لأنَّ تحرر الإنسان من عباده الهوى، وتمرده على الضغوط، و خلاصه من نير الطغاه و المستكبرين، و ارتفاعه الى مستوى (عباده الله وحده) هو قمة الاستقلال و الحريه و الكرامه.

إنَّ حب الاستقلال و الحريه و الكرامه غريزه فطريه عجت بها طينه البشر، و لكن لم يتخلص الناس عمليا من الظلم و الاستعباد، لماذا؟ لأنَّ البشر بحاجة الى من يوقظ هذه الفطره و يثيرها و يعثها و يعطيه عزمه إرادته و منهج عمل و ضياء أمل، و ليس ذلك إلاَّ عند الرسل، فهم و من سار على نهجهم من عباد الله الصالحين يحررون- بإذن الله- البشر من القهر و الاستعمار و سيطره الأقوياء.

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ إِنَّهَا دَعْوَةُ الصِّرَاحَةِ إِلَى اسْتِقْلَالِ وَ الْحَرِيَةِ وَ الْكِرَامَةِ، وَ أَنَّهَا لِعَهْدِ بَيْنِ الرَّسُولِ وَ مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ لَا يَرِيدُ اسْتِعْبَادَهُمْ، بَلْ تَحْرِيرَهُمْ، وَ لَكِنَّهُ يَطَالِبُهُمْ بِالتَّسْلِيمِ لِلْحَقِّ لِكَيْ يَنْجِيَهُمْ مِنْ عِبُودِيَةِ الْبَاطِلِ.

[١٠٩] و لا يطالبهم الرسول بأجر، و لا يدعوهم لمصلحه عنده انما يمنَّ الله عليهم إذ يندرهم بعذاب عظيم هم غافلون عنه و يقطع عذرهم بالجهد لهم بالإنذار، و هو

ص: ٣٩٢

سواء معهم فى انه مخاطب أيضا بالإنذار كما ان القريب و البعيد منهم شرع سواء.

فَمَنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مِّمَّا تُوعَدُونَ إِيذَانٍ شَامِلٍ لِّكُلِّ النَّاسِ وَ إِنْذَارٍ مُّبِينٍ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا دخل للرسول بتفاصيله، فهو أيضا لا يدري متى يأمر الله بالعذاب، و إذا لم يكن رسول الله حامل الإنذار يدري فمن- يأتري- يدري؟ لا أحد، و لقد قرأنا فى سورة طه قوله: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ»، فجاءت الروايه تفسير الآيه: أكاد أخفيها من نفسى لان الله لم يحدد للساعه وقتا.

يا هول المفاجأه، الساعه آتية بما فيها من فظائع الهول، و عظام الأحداث، و لا يعرف أحد متى!! إن إخفاء علم الساعه أبلغ أثرا لكى تحسس الإنسان بالمسؤوليه، فلو حدد الله ميقات الساعه أو ميقات الموت، لتكاسل الإنسان عن واجبه متعللا بأنه سيتوب قبيل موته، مثلما قال عمر بن سعد عند ما أراد قتل الحسين عليه السلام، و بعد أن عرضت عليه السلطه الأمويه: (ملك الرى) إن هو قتل الحسين عليه السلام، قال و هو يناجى نفسه و يحاول تبرير قراره الاجرامى:

و و الله لا أدري و إنى لحائر أفكر فى أمرى على خطرين

أترك ملك الرى و الرى منيتى أم أرجع مأثوما بقتل حسين

حسين ابن عمى و الحوادث جمه و لى فى الرى قره عين

يقولون: إن الله خالق جهنم و نار و تعذيب و غل يدين

فإن صدقوا فيما يقولون إننى أتوب إلى الرحمن من سنتين

و إن إله الكون يغفر زلتى و إن كنت فيها أرذل الثقلين

و إن كذبوا فزنا بدنيا عظيمه و ملك عظيم دائم الحجلين

إن الله سبحانه ينسف هذه الفكرة بإخفاء الساعة، فمن يقول إنك تعيش الى سنتين حتى تتقرب فيها الى الله.

و هكذا

نقرأ فى وصيه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب لابنه الحسن (عليهما السلام) :

«...و اعلم يا بنى إنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا و للفناء لا للبقاء، و للموت لا للحياه و انك فى منزل قلعه-أى لا يدري ساكنه متى ينتقل عنه-و دار بلغه-أى يؤخذ منه الكفايه للآخرة-و طريق الى الآخرة، و انك طريد الموت الذى لا ينجوها ربه، و لا يفوته طالبه، و لا بدّ انه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك و أنت على حال سيئه، قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبه، فيحول بينك و بين ذلك، فاذا أنت قد أهلكت نفسك. » (1) إن وفاه الإنسان كما وفاه المجتمعات غير معلومه، و هكذا الساعه.

[١١٠] و بإزاء جهلنا نحن البشر بيوم الحسره و ساعه قيام الناس للحساب يعلم الله ما ظهر منا و ما بطن.

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ و لعلّ الإنسان يخفى غير ما يقول، و يبرر جرائمه بشتى الاساليب، فالله محيط علما بما يكتبه و لذلك عليه ألا يظن انه يخدع ربه أو يلتف على قوانينه و يتهرب من

ص: ٣٩٤

(١-١). ٣١/٠ وصايا أمير المؤمنين عليه السلام نهج البلاغه ٤٠٠.

مسئوليّاته الشرعيه إنّما عليه أن يطهّر قلبه من الأفكار الباطله، و وساوس الشيطان و تسولات النفس الأماره بالسوء.

[١١١] أما نعم الحياه التي يرفض بها الظالمون المستكبرون اليوم، و يحسبون انها تخلدهم، بل يزعم بعضهم انها دليل رضا الله عنهم، فانها قد تكون فتنه و بلاء و لعلّ متاعها قليل و الى أمد قريب.

وَإِنْ أُذِرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ [١١٢] الحقّ محور خلق الكائنات و قد أمهل الرب برحمته عباده، فلا يأخذهم بما يكسبون اليوم، و لو أخذهم لما ترك على ظهر الأرض من دابه.

بيد ان الحقّ بالتالي مقياس أعمال الناس و ميزان جزائهم، إليه يعودون آجلا أم عاجلا.

قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ بِاللَّهِ الرَّحْمَنُ يَسْتَعِينُ الرَّسُولَ وَ مَنْ يَسِيرَ عَلَىٰ نَهْجِهِ عَلَىٰ الْأَفْوِيلِ الْبَاطِلِ، وَ التبريرات الزائفه و الحجج الواهيه.

و نستوحى من الآيه فكرتين:

١- إنّ الله يحكم بالحقّ، استجاب له دعاء الرسول، حيث جاء في الأثر إنه صلى الله عليه و آله كان يدعو بهذا الدعاء كلما خاض معركة ضد المشركين، مما يدل بأن على الإنسان ألا يتكاسل عن الجّد و الجهاد ثمّ يكتفى بالدعاء.. و العكس غير صحيح أيضا فلا يصح أن يعتمد الإنسان على عمله فلا يدعو ربّه.

٢- وهو الذى يرزق عباده الصالحين-إذا دعوه-نورا يمشون به بين الناس، و يميزون به الحقّ عن الأباطيل التى يصفها الكفار،و يعطيهم قوه لردّها،و مقاومه الاعلام المضلل الذى يدعم الطغاه و الكفره.

ص:٣٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة



نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

